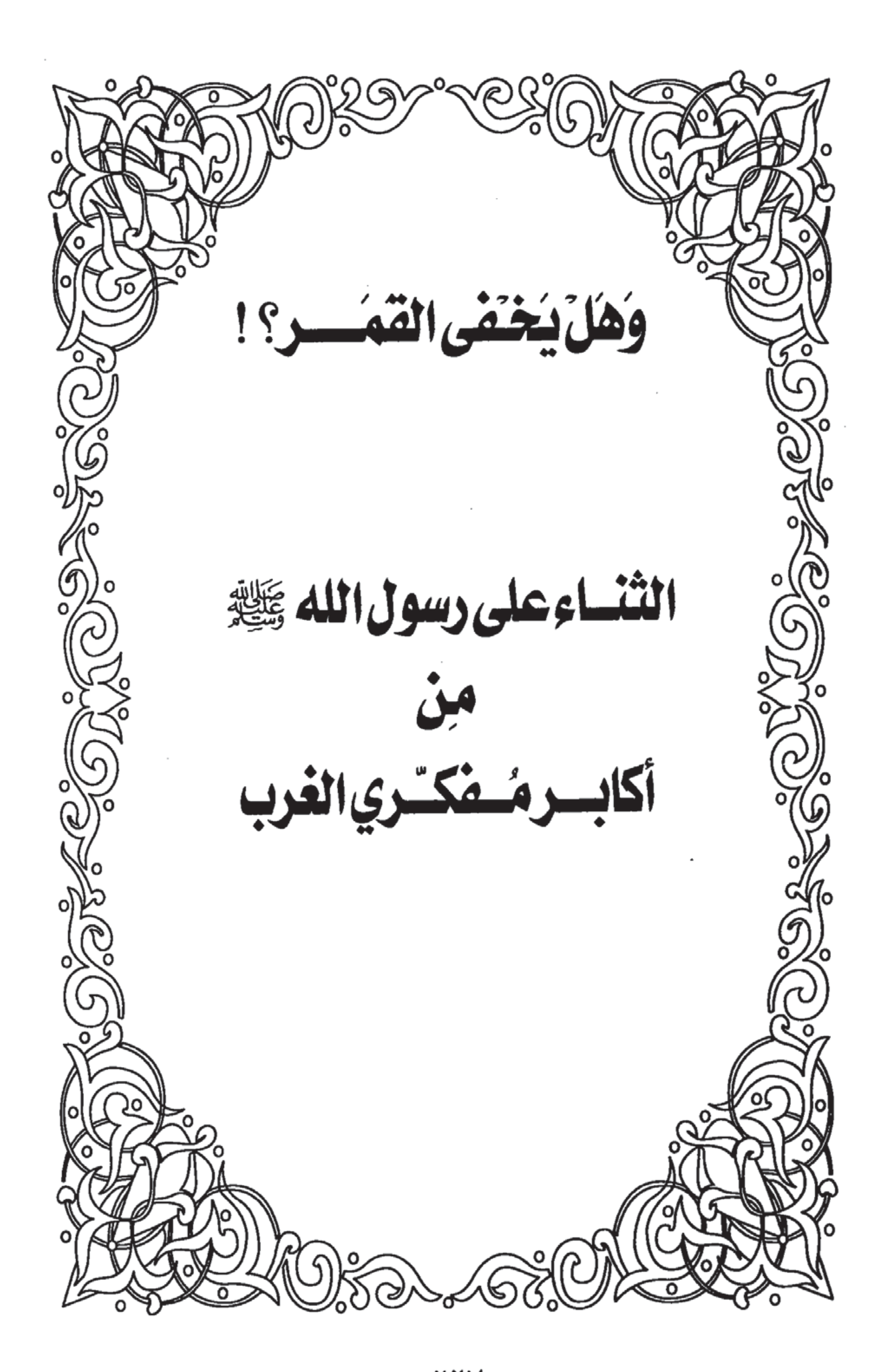


وَهَلْ يَخْفَى القمَــــر؟!

الثنــاء على رسول الله ﷺ
مِنْ
أكابــر مُـفكّـري الغرب

وهل يَخفَى القمر؟!!

لا يستطيعُ أيُّ مُنصِفٍ أن يحجُبَ الحقيقةَ والنور.. ومَن يحاولُ حَجْبَ النورِ فهو كمن يحاولُ بكفِّ طفلٍ صغيرٍ أن يُخفِيَ شُعاعَ الشمسِ أو ضوءَ القمرِ أو إدراجَ الشمسِ في قبرٍ أو كهفٍ من كهوفِ الزمن.. ولقد مَدَح وأثنىٰ علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ كثيرٌ من مُفكِّري الغرب، وعَدَلتُ في عنوان هذا الفصل عن تسميته «المنصِفون للنبي ﷺ في الغرب».. فإنَّ قولَ بعضِ أهلِ الفكرِ فيه بأنه كان «عبقريًّا، عظيمًا، ما شَهِدت مِثلَه البشرية، أو مُصلِحًا عظيمًا ما جاء مِثْلُه مَدَىٰ الأيام في بلادِ العرب».. هذا ليس إنصافًا، بل حَطًّا من مرتبته، فهو رسولُ اللَّه ﷺ إلىٰ الناس كافةً، وهو خاتَمُ النبيِّين.. وأيُّ إنكارٍ لهذه المرتبةِ والمنزلةِ ليس إنصافًا، فتمامُ الإنصاف الاعترافُ بنبوَّتِه الخاتمةِ والدخولُ في دينه.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«والذي نفسُ محمد بيده، لا يَسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة، لا يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ، ثم يموتُ ولم يُؤمنْ بالذي أُرسِلتُ به، إلاَّ كان من أصحابِ النار»**[1].

وأيُّ ثناءٍ علىٰ الإسلامِ والقرآنِ أذكرُه هنا، فهو ثناءٌ علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ، فلا يمكنُ الفَصلُ بين الرسولِ ﷺ، وبين الدينِ العظيمِ الذي جاء به، وبين الكتابِ المُبين والذِّكرِ الحكيمِ الذي أُنزل عليه.

ولكنْ قبلَ الشروعِ في بيانِ أقوالِ هؤلاء؛ لابدَّ من ذِكرِ أصلٍ وقاعدةٍ

---

(١) رواه أحمد ومسلم.

في غاية الأهمية.. وهي أن الإسلامَ ليس بحاجةٍ إلىٰ شهادةِ غيره من أهل المِلَلِ الأخرىٰ، ذلك لأن «الإسلام يعلُو ولا يُعلَى» ـ كما قال الحبيبُ المصطفىٰ ﷺ[1] ـ. وإنما أوردنا شهادتَهم من باب ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: ٢٦]، وليكون كلامُهم حجةً علىٰ أنفسهم أولاً، ثُم حُجَّةً علىٰ بَنِي قومهم ثانيًا عند اللَّه تبارك وتعالَىٰ غدًا.. وقد كفانا اللَّه سبحانه بإسلامنا العظيم عن شهادة أيِّ مِلَّةٍ ونَهجٍ آخرَ.

* قال سبحانه مُمتنًّا علىٰ عباده: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ونحن ـ بحمد اللَّه ـ نكتفي ونرضَىٰ بما رَضِيَ لنا به ربُّنا العظيمُ جلَّ جلالُه، ولو فَرَضْنا أن الكلماتِ القادمةَ في مدح الإسلام ونبيِّه ﷺ لَم تصدُرْ من هؤلاء، فإن نبيَّنا ﷺ لن يَنقُصَ قَدْرُه، ولن يَنْزِلَ ـ قِيْدَ شَعْرةٍ ـ من سُمُوِّه.. وسيظلُّ دينُه ـ رغمَ أنفِ الدنيا كلِّها ـ هو الدينَ الحقَّ المصانَ من التبديل والتحريف.. وسيظلُّ مُحمَّدٌ ﷺ ـ شاء المتكبِّرون أم أبَوْا ـ خاتَمَ الأنبياء والمرسلين، والمبعوثَ بالحقِّ من عند ربِّ العالَمين، وشريعتُه الغرَّاءُ ناسخةً لِجميع الشرائع من قبله.. ومَن زكَّاه اللَّهُ عزَّ وجل لا يَحتاجُ لتزكيةِ مَن فوقَ التراب.. وكيف وهو الشاهدُ علىٰ الأُممِ والرُّسُلِ يومَ القيامة!!.

فذِكرُنا لكلام هؤلاء إذن ليس احتجاجًا به، ولا تعظيمًا له، وإنَّما هو زيادةٌ في الحُجَّةِ والبيان.. علىٰ أن مَدحَ هؤلاء له ﷺ مدحٌ ناقص.. إذ لا

---

(١) حسن: رواه الدارقطني (٣/ ٢٥٢) والبيهقي (٦/ ٢٠٥).. وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٧٧٨).

يتمُّ المَدحُ والتعظيمُ إلاَّ بالدخول في دينه والانصياع لأمره.. واللَّه المستعان، وعليه التُّكلان.

وها نحن نَشرعُ في ذكرهم:

*** چورچ بِرنارد شو:**

كاتبٌ ومفكِّرٌ أيرلنديٌّ، وُلد عام ١٨٥٦ في مدينة «كانيا»، وتُوفِّي عام ١٩٥٠، اشتُهر بنقدِه اللاذعِ للمجتمعِ البريطانيِّ، وخاصةً في عصرِ الملكة فكتوريا (تُوِّجت ملكةً عام ١٨٣٧، وتُوفيت عام ١٩٠١)، وقد بلغت الإمبراطوريةُ البريطانيةُ أَوْجَهَا في العصرِ الفِكتوري، كذلك اشتُهر «برنارد شو» بنَقده للغربِ بوجهٍ عام، وقد حَصل على جائزة «نوبل» في الأدب عام ١٩٢٥م.

❑ يقول چورچ برنارد شو: «لقد كنتُ دائمًا أحتفظُ لدينِ محمدٍ عندي بأعلى التقدير، وذلك بسببِ حيويتِه المدهشة، إنه الدينُ الذي يبدو لي أنه يَمتلكُ القُدرةَ على استيعابِ تغيُّرِ أطوارِ الحياة، بما يَجعلُه مَحِلَّ إعجابٍ لكلِّ العصور.

لقد دَرستُ محمداً ـ ذلك الرجلَ العجيبَ ـ، وفي رأيي أنه أبعدُ ما يكونُ عمن يُسمَّى «ضد المسيح»[1]، ويجبُ أن يُسمَّى: «مُنقِذَ الإنسانية».

إني أعتقدُ لو أن شخصًا مِثلَه تولَّى الحُكمَ المُطلَقَ للعالَم المعاصِر، لَنَجَح في حلِّ مشاكله بطريقةٍ تجلِبُ له ما هو في أشدِّ الحاجة إليه من سلامٍ وسعادة.

---

(١) -He must be called the Savior of Humarity.

لقد تنبَّأتُ بأن دينَ محمدٍ سيكونُ مقبولاً في أوربا الغد، كما أنه بدأ يكونُ مقبولاً في أوربا اليوم»[1] .

◻ وله مؤلَّف أسماه «محمد» أحرقته السلطةُ البريطانيةُ . . قال برنارد شو : «إنَّ العالمَ أحوجُ ما يكونُ إلىٰ رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبيُّ الذي وَضع دينَه دائمًا موضعَ الاحترامِ والإجلال، فإنه أقوىٰ دينٍ علىٰ هَضمِ جميع المدنيَّات، خالدًا خلودَ الأبد، وإني أرىٰ كثيراً مِن بني قومي قد دخلوا هذا الدينَ علىٰ بيِّنةٍ، وسيجدُ هذا الدينُ مجالَه الفسيحَ في هذه القارة ـ يعني أوروبا ـ، وإذا أراد العالَمُ النجاةَ من شروره، فعليه بهذا الدين، إنه دينُ السلام والتعاونِ والعدالةِ في ظلِّ شريعةٍ متمدِّنةٍ محكمة، لم تَنْسَ أمراً من الدنيا إلاَّ رسمَتْه ووزنته بميزانٍ لا يُخطئُ أبدًا، وقد ألَّفتُ كتابًا في «محمد»، ولكنه صُودِر لخروجه عن تقاليد الإنكليز» .

* **هاملتون جب :**

يُعتبر واحدًا من أكبرِ المستشرقين الإنجليزِ في العصر الحديث، وهو عضوُ المجمعِ العِلميِّ العربيِّ في دمشق ومجمعِ اللغةِ العربيةِ في القاهرة، وهو أستاذُ الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة «هارفارد» الأمريكية، ومن كبارِ محرِّري وناشري «دائرة المعارف الإسلامية» .

◻ يقول «هاملتون جب» في كتابه : «الإسلام إلىٰ أين؟» : «لا يزالُ لدىٰ الإسلامِ فَضلٌ آخَرُ يبذُله مِن أجل قضيةِ الإنسانية، فهو يَقفُ ـ علىٰ كلِّ حال ـ أقربَ إلىٰ الشرقِ أكثَرَ من موقفِ أوربا منه، كما أنه يَمتلكُ تقاليدَ

(١) - G. B. Shaw: the Genuine Islam, Vol.1, No. 81938

رائعةً فيما يتعلَّقُ بالتفاهم والتعاونِ بين أجناسِ البشر، فلم يُحرِزْ أيُّ مجتمعٍ آخَرَ - غير إسلامي - مثلَ هذا السِّجِلِّ من النجاح في التوحيدِ بين ذلك القَدْرِ الهائلِ والمتنوِّعِ من الأجناسِ البشريةِ بتحقيق المساواة أمامَ القانون، وتكافؤِ الفُرصِ للجميع.

ولا يزالُ الإسلامُ قادراً على تحقيقِ مُصالحةٍ بين عناصرِ الجِنسِ البشريِّ وتقاليدِها التي تَستعصي على التصالح[1].

وإذا قُدِّر أن يَحِلَّ التعاونُ يوماً ما مَحِلَّ التعارضِ القائمِ بين المجتمعاتِ الكبيرة في الشرق والغرب، فإنَّ وساطةَ الإسلامِ تُصبحُ شَرطًا لا غِنًى عنه، إذ يَكمُنُ بين يديه - إلى حدٍّ كبيرٍ - حلُّ المشكلةِ التي تواجِهُ أوربا في علاقتِها بالشرق»[2].

*** مايكل هارت:**

عالمٌ أمريكيٌّ معاصِر، يتمتعُ بسَعَةِ تخصُّصِه في مجالاتٍ علميةٍ متعددةٍ مثل الفَلَك والرياضياتِ والفيزياء، كما أنه مُحامٍ ومؤرِّخٌ من الهُواة، يَعملُ في وكالةِ أبحاثِ الفضاءِ الأمريكية المعروفة اختصاراً باسم: «ناسا».

❑ يقول «مايكل هارت» في كتابه: «المائة: تصنيف لأعظم

---

(١) - If ever the opposition of the great societies of East and West is to replacced by cooperation, the mediation of Islam is an indispensible condition. In its hands Lies very largly the solution of the problem with which Europe is faced in its relation with East.

(٢) - H. Gibb: Whither Islam?, London, 1932, P. 379

الشخصيات أثرًا في التاريخ» - وقد وضع محمدًا رسولَ اللَّه على رأس هذه القائمة -: «إنَّ اختياري محمدًا ليكونَ على رأسِ القائمة لأعظمِ الشخصيات العالَمية في التاريخ، قد يُدهِشُ بعضَ القُرَّاء، كما أنه قد يكونُ مَحلَّ تساؤلٍ من البعضِ الآخر، لكنَّ محمدًا كان هو الإنسانَ الوحيدَ في التاريخ الذي بَلَغ أعلى درجاتِ النجاحِ على المستويَينِ الدينيِّ والدنيويِّ.

لقد استطاع محمدٌ - رغمَ أنه جاء من أصولٍ متواضعة[1] - أن يؤسِّسَ وينشرَ واحدةً من أعظمِ دياناتِ العالَم، كما أصبح زعيمًا سياسيًّا ذا تأثيرٍ هائل، واليوم - وبعدَ مرورِ ثلاثةَ عَشَر قرنًا على وفاته - لا يزالُ تأثيرُه قويًّا واسعَ الانتشار.

إن أغلبَ الشخصياتِ المذكورةِ في هذا الكتاب «المئة» تتميَّزُ بأنها وُلدت وتربَّت في مراكزِ الحضارة، ونشأت في أُممٍ عاليةِ الثقافة، أو ذاتِ أهميةٍ عُظمى في السياسة، لكنَّ محمدًا وُلد عام ٥٧٠ في مدينةِ «مكة»، جنوبَ بلادِ العرب التي كانت آنَذَاك منطقةً متخلِّفةً بين بلاد العالم، وبعيدةً عن مراكزِ التجارةِ والفنِّ والمعرفة، ولقد أصبح يتيمًا وهو في السادسةِ من عُمره، ونشأ في بيئةٍ متواضعة، وكان أغلبُ العرب آنَذَاكَ وثنيِّينَ يَعبدون آلهةً كثيرةً، وعندما بَلَغ محمدٌ الأربعينَ مِن عُمرِه صار مقتنعًا بأن الإلهَ الواحدَ الحقَّ - اللَّه - يُكلِّمُه، وأنه اختاره لنشرِ الدين الحق، غيرَ أن تلك الجيوشَ العربيةَ الصغيرة - وقد وَحَّدها محمدٌ لأولِ مرةٍ في التاريخ، ونَفَخ

(١) بل هو أشرفُ الناس نسبًا ﷺ.

فيها الإيمانَ بالإلهِ الواحدِ الحقِّ رُوحًا جديدة ـ ما لبثت أن قامت بسلسلةٍ من الفتوحات تُعتبر واحدةً من أكثرها مَدْعاةً للدهشةِ في تاريخ البشرية، وعلى الرغم مِن أن القوةَ العدديةَ للعرب في مَيدانِ المعركةِ لا يُمكنُ أن تكونَ مَحلَّ مقارنةٍ مع القوةِ العدديةِ الهائلةِ لخصومهم، فإنَّ أولئك العربَ المتحمِّسينَ سَرعانَ ما فَتحوا كلَّ بلاد ما بين النَّهرين وسوريا وفلسطين، وفي عام ٦٤٢ كانت مصرُ قد انتُزعت من قبضة الإمبراطورية البيزنطية، بينما تم سَحقُ الجيوشِ الفارسيةِ في المعارك الحاسمة: في «القادسية» عام ٦٣٧، و«نهاوند» عام ٦٤٢.

لكنَّ هذه الفتوحاتِ العظيمةَ ـ التي تمَّت تحتَ قيادةِ صاحِبَيْ محمدٍ الحميمَينِ وخليفتَيهِ المباشِرَينِ، وهما أبو بكرٍ وعمرُ بن الخطاب ـ لم تكن هذه الفتوحاتُ نهايةً لزحفِ العرب، ففي عام ٧١١ اكتَسحت الجيوشُ العربيةُ شَمالَ إفريقيا بالكامل حتى وصلت إلى المحيطِ الأطلسي، ومِن هناك استدارت شَمالاً، فعَبَرت مَضِيقَ جبل طارق، ثم سَحقت مملكة «القوط الغربيين» في أسبانيا، ولقد بَدا آنَذاك أنَّ المسلمين على وَشَك أن يَسحقوا أوربا المسيحيةَ بالكامل، ولكنْ أخيراً ـ وفي عام ٧٣٢ ـ هَزم الفرنجةُ جيشًا إسلاميًّا كان قد زَحف إلى قلبِ فرنسا، وذلك في معركة «بواتيه» الشهيرة.

وعلى الرغم من ذلك، فإنَّ أولئك البَدْوَ القَبَلِيِّينَ الذين نَفَخت فيهم كلماتُ النبيِّ رُوحًا جديدةً، قد استطاعوا خلالَ أقلَّ مِن قَرنٍ من الحرب أن يُقيموا إمبراطوريةً تمتدُّ مِن حدودِ الهندِ إلى المحيطِ الأطلسي، وكانت أكبرَ

الإمبراطوريات التي عَرَفها العالم.

وخلالَ القرونِ المتلاحقة، كان من الطبيعيِّ أن يستمرَّ الدينُ الجديدُ في الانتشار بعيداً فيما وراءَ الحدودِ الأصلية للفتوحاتِ الإسلامية.

ويَعتنقُ هذا الدينَ حاليًا عشراتُ الملايين في إفريقيا وآسيا الوسطىٰ، وأيضًا في باكستان وشمالِ الهند وأندونيسيا، ولقد كان هذا الدينُ الجديدُ عاملاً لتوحيدِ أندونيسيا.

ونظرًا لأن عددَ المسيحيين في العالَم يُقدَّرُ تقريبًا بضِعفِ عددِ المسلمين، فقد يَبدو غريبًا أنْ يُوضَعَ محمدٌ في القائمةِ قبل عيسىٰ، لكنْ هناك سببانِ رئيسانِ لهذا القرار:

أولهما: أن محمداً لَعِب دوراً هامًّا أبعَدَ أثرًا في نَشرِ الإسلام وبيانِه أكثرَ مما فعله عيسىٰ في المسيحية، فعلىٰ الرغم من أن عيسىٰ كان مسؤولاً عن المبادئِ الأساسيةِ للسلوك والتعاليم الأخلاقية في المسيحية، فإنَّ القديسَ «بولس» كان هو المسؤول عن وضعِ قواعدِ اللاهوت المسيحي، وناشرَ المسيحيةِ الأول، ومؤلِّفَ الجزءِ الأكبرِ من أسفارِ العهد الجديد.

أما محمدٌ، فقد كان هو المسؤولَ عن وضعِ قواعدِ الإسلام والمبادئِ الأساسيةِ والتعاليمِ الأخلاقية، وبجانبِ هذا، فقد لَعِب الدورَ الرئيسيَّ في نشرِ العقيدةِ الجديدةِ وترسيخِ الممارسةِ الدينيةِ للإسلام، والقرآنُ يُمثِّلُ كلماتِه بالضبط إلىٰ حدٍّ بعيد، علىٰ حينِ أنه لم يَبْقَ لنا مِثلُ هذا التصنيفِ التفصيليِّ لكلماتِ المسيح وتعاليمه.

وربَّما كان التأثير النِّسبيُّ لمحمدٍ علىٰ الإسلام أكبرَ من التأثيرِ المشتركِ

ليسوعَ المسيح والقديس بُولس على المسيحية، وعلى المستوى الدينيِّ الخالص، يُمكن أن يكونَ تأثيرُ محمدٍ في تاريخِ الإنسانية مِثلَ تأثيرِ عيسى ـ وأكثر من هذا ـ.

وعلى العكس من عيسى، فإن محمداً كان زعيمًا دنيويًا كما كان زعيمًا دينيًا، وفي حقيقةِ الأمر وبصفته القوةَ المحرِّكَةَ للفتوحات العربية، يمكنُه أن يكونَ أكثرَ الزعماءِ السياسيين تأثيراً عَبْرَ كلِّ العصور، وقد يمكنُ القولُ: إن كثيراً من الأحداثِ التاريخيةِ الهامةِ كان محتَّمًا وقوعُها حتى دونَ وجودِ الزعيمِ السياسيِّ المعيَّن الذي وَجَّهها، ولكنْ مِثلُ هذا القولِ لا يُمكنُ أن يَنطبقَ على الفتوحاتِ العربية، فلم يَحدُثْ مِثلُ ذلك قبلَ محمدٍ، ولا يُوجد سببٌ يدعو للاعتقادِ بأن تلك الفتوحاتِ كان يُمكنُ حدوثُها دونَ محمد.

إن الفتوحاتِ الوحيدةَ في تاريخِ البشرية ـ والتي يمكنُ مقارنتُها بالفتوحاتِ العربية ـ، هي فتوحاتُ «المغول» في القرنِ الثالثَ عشَر، والتي يَرجعُ الفضلُ فيها إلى تأثيرِ «چنكيزخان»، لكنَّ فتوحاتِ المغول ـ رغمَ امتدادِها أكثَرَ من الفتوحاتِ العربية ـ لم يُكتب لها الدوام، ويحتلُّ المغولُ اليومَ نفسَ المساحةِ التي كانوا فيها قَبلَ عصرِ «چنكيزخان».

إنَّ هذا يختلفُ تمامًا عمَّا حَدَث للفتوحات العربية، إذ تمتدُّ من العراق إلى المغربِ سلسلةٌ متَّصِلةٌ من الأمم العربية، لم تتَّحِدْ فقط في إيمانِها بالإسلام، ولكنْ وَحَّدها أيضًا لُغتُها العربيةُ وتاريخُها وثقافتها، وفوق ذلك، نرى أن الفتوحاتِ العربيةَ التي حَدَثت في القرنِ السابع، لا تزالُ

تلعبُ دوراً هاماً في تاريخِ البشرية حتىٰ اليوم[١] .

وبسبب هذا الجَمْعِ الذي لا نَظيرَ له بين الدين والدنيا، أرىٰ أن محمداً من حقِّه أن يُعتبَرَ أعظمَ الشخصياتِ البارزةِ أثراً في تاريخ الإنسانية»[٢] .

* **برنارد لويس:**

وُلد عام ١٩١٦، وحَصل علىٰ الدكتوراة من جامعة «لندن» عام ١٩٣٩م، وهو أستاذُ دراساتِ الشرقِ الأدنىٰ بجامعةِ «برنستون»، وأستاذٌ زائر في كاليفورنيا وكولومبيا وإنديانا، وعُضوُ شرفٍ في الجمعية التاريخية التركية، وعضوُ الجمعيةِ الفلسفيةِ الأمريكية والمعهدِ المَلَكيِّ للشؤون الدولية، وعددٍ آخَرَ من الجمعيات العلمية العالمية.

□ كَتَب «برنارد لويس» عن الإسلام يقول: «أرسَلَ اللَّهُ المَلَكَ جبريلَ ليُمليَ القرآنَ علىٰ محمد، وبهذا يُكمِلُ القرآنُ سلسلةَ الوَحْي التي سَبقت إلىٰ أنبياءِ اليهودِ وإلىٰ عيسىٰ، ومِن ثَمَّ يكونُ محمدٌ أعظمَ الأنبياءِ وخاتَمَهم، ويكونُ القرآنُ هو «الكتابَ» الأخيرَ والتعبيرَ الكاملَ عن إرادةِ اللَّهِ فيما يتعلَّقُ بحياة الناس.

إنَّ المسيحيةَ في إخلاصِها إلىٰ «إنسان ـ إله» إنما تُلهِمُ مُثُلاً عُليَا دنيويةً،

---

(١) It is this umparalled combination of secular and religious influence - which I feel entitles Muhammad to be considered the most influential single figure in human history.

(٢) M. Hart: the 100: A Ranking of the Most influential persons in History, pp. 33-40 -

بينما الإسلامُ في إخلاصِه للقرآن، إنما هو حضارةٌ، إذ لا يُمكنُ فَصلُ محتواه الدينيِّ عن تنظيمِ حياةِ البشر، ذلك التنظيمُ الذي كان يُوضَعُ مَوْضعَ التنفيذِ فوراً بمجرد التنزيل.

لقد كان «قيصر» هو إلهَ روما الإمبراطورية، وبالنسبة للمسيحيِّ، يَعترفُ بأنْ «يُعطَىٰ ما لقيصرَ لقيصر، وما للّه للّه»، أما بالنسبة للمسلم، فإن اللّهَ هو قيصر[1]، لن يعترفَ بأيِّ مصدرٍ آخَرَ للسلطةِ سوىٰ اللّه.

ويتَّفقُ المسلمون وغيرُ المسلمين ـ بوجهٍ عامٍّ ـ علىٰ إعطاءِ كلمةِ «الإسلام» معنىٰ «التسليم للّه»، وبخاصةٍ استسلام المؤمن لمشيئةِ اللّه، ولقد فُهِم الإسلامُ ـ في نظر محمدٍ نفسِه، وفي نظرِ المسلمين الأوائل ـ علىٰ إنه ليس دينًا جديدًا، وإنما هو استمراريةٌ تمثِّلُ المرحلةَ الأخيرةَ في الصِّراع الطويلِ بين الشِّرك والتوحيد، ولقد كان الأنبياءُ الكثيرون الموحِّدون وتلاميذهم ـ الذين شاركوا في هذا الصراعِ قَبْلَ محمدٍ ـ، كانوا جميعًا مسلمين، وتدلُّ كلمةُ «الإسلام» علىٰ الدينِ الحقِّ الذي دعا إليه كلُّ المرسَلين الذين اختارهم اللّه.

واليهوديةُ مَثَلُها مَثَلُ المسيحية، كانت كلٌّ منها مرحلةً سابقةً في نفسِ سلسلةِ الوحي الإلهيِّ، وكانتا في أولِ أمرِهما ديانتَينِ صحيحتَينِ، ولكنْ بالنسبة للمسلمين فإن بَعثةَ محمدٍ قد نسختهما، فما كان فيهما من حقٍّ، قد

---

(١) يقصد أن المسلم يعتقد أن اللّه سبحانه هو الحاكم الأوحد.. ولكنَّ المسلمَ لا يُمكنُ أن يُشبِّه اللّه جل جلاله بقيصرَ أو بغيره.. تعالىٰ اللّه عن ذلك.. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١].

احتَوَته رسالةُ النبي، وما كان فيهما من غيرِ الحق، إنما جاء نتيجةً لِمَا لَحِقَ بهما مِن تحريفٍ.

وعلىٰ المستوىٰ الديني، يُعتبر الإسلامُ هو النهاية، ولكنْ من الجهة التاريخية يمكنُ النظرُ إليه باعتباره بداية، فقد كان تأسيسًا لدينٍ جديد، وإمبراطوريةٍ جديدة، وحضارةٍ جديدة[1] .

وهنا نقطةٌ هامةٌ كان بناءً عليها قَدَرُ محمدٍ مختلفًا جذريًا عمَّا قُدِّرَ لعيسىٰ والأنبياءِ الآخرين، وهي أن حياتَه قد تميَّزت بالنجاحِ الزمَني، ومن المؤكَّدِ أنه لم يكنْ في بَدءِ رسالته إلاَّ داعيةً متواضعًا ومضطَهداً ـ مِثلَ بقيةِ رُسلِ اللَّه ـ، ولكنه بدلاً من أن يُقاسيَ الاستشهادَ، فإذا به يرتفعُ إلىٰ السلطة[2] ، إنَّ الإسلامَ منذ بدايتِه وهو مرتبطٌ بممارسةِ السلطةِ السياسية، والذي حَدَث أنَّ جماعةَ المسلمين بالمدينة كَوَّنت أيضًا دولةً، ثم كان علىٰ الأحداثِ التي تَعقُبُ ذلك أن تَجعلَ منها نَواةً لإمبراطوريةٍ.

لقد كان اللَّهُ في نظرِ المسلمين هو المصدرَ الأسمىٰ للسلطة، ومنه استمدَّ النبيُّ سُلطتَه وشريعتَه في نفسِ الوقت، ولقد كان النبيُّ هو مُبلِّغَ وَحيِ اللَّه، ورسولَ العنايةِ الإلهية، والرئيسَ المفوَّضَ من اللَّهِ لقيادة جماعةِ

---

(١) - la fondation d`une nouvelle religiorr, d`un mouvel empire, d`une nouvelle civilisation.

(٢) - L` Islam, des ses debuts, s`engagea dans l`exercice du pouvoir politique. Il se trouvait que la communatue musulmane de Medine constituait aussi un Etat; les evenements qui allaient suivre devaient en faire le noyau d`un empire.

المؤمنين، لقد عَلَّم يسوعُ المسيحيين أن يُعطُوا لقيصرَ ما لقيصر، وأن يُعطوا للَّه ما للَّه، وخلالَ ثلاثةِ قرونٍ من الصراعات والاضطهادات، تَوطَّد بصلابةٍ هذا الفَصلُ بين السلطتينِ الدينيةِ والزمنيةِ في العقيدة المسيحية وممارستها، ولقد أقامت الديانةُ المسيحيةُ مؤسساتِها المنفصلةَ عن مؤسساتِ الدولة، إذ أقامت الكنيسةَ وطبقةَ الكهنوت المسيحي.

ولقد حَدَث التغييرُ الكبيرُ مع تحوُّلِ الإمبراطور الروماني «قسطنطين» إلىٰ المسيحية، وابتداءِ علاقاتٍ سيئةٍ في صَدرِ المسيحيةِ بين الكنيسة والدولة[١].

إن هذا الفَصلَ بين السُّلطتَين (الدينية والزمنية) غيرُ موجودٍ علىٰ الإطلاق في الإسلام، كما أن هناك زَوجَينِ من الكلماتِ مثل: «دنيويٌّ نجِسٌ، وديني»، «رُوحيٌّ، وزمني»، لا يوجَدُ لهما مكافِئٌ في العربية الفصحىٰ، وفي «روما» كان «قيصر» هو اللَّه، وفي المسيحية تقاسَمَ قيصرُ واللَّهُ المسيحيةَ، أما في الإسلام، فاللَّهُ هو قيصر.

وعندما مات محمد، كانت بَعثُته الروحيةُ والنبويةُ قد اكتملت، وكانت مُهمتُه ـ التي حَدَّدها اللَّه ـ هي: استعادةُ التوحيدِ الحقيقيِّ الذي علَّمه الأنبياءُ السابقون ـ لكنه ما لَبِث أن تَعرَّض للتحريفِ والفساد ـ، ثم القضاءُ

---

(١) - Cette separtion de deux pouvoirs n`existe nullement dans l' Islam; d`ailleurs, des couples de mots tels que "profane et religieux", "spirituel et temporel" n`ont pas d`equivalents en arabe classique. A Rome, Cesar Etait Dieu; dans la chretiente, Dieu et Cesar se partageaient le pouvoir. Dans l'Islam, dieu est Cesar.

علىٰ الوثنية، وتبليغُ الوحي الذي جَدَّد الدينَ الحقيقيَّ والشريعةَ الإلهية، وكان هذا ما فَعله محمدٌ أثناءَ حياته، وعند موته عام ١١هـ - ٦٣٢م كانت إرادةُ اللَّه قد أَوحىٰ بها كاملةً إلىٰ البشرية، ولن يكون بعد ذلك نبيٌّ أو وحيٌ آخَر.

وإذا كانت المهمةُ الروحيةُ قد انتَهت، فلا تزالُ هناك مهمةٌ دينيةٌ أخرىٰ يجبُ تحقيقُها، ألاَ وهي الحِفاظُ علىٰ الشريعةِ الإلهيةِ، والدفاعُ عنها، وإخضاعُ بقيةِ البشريةِ إلىٰ الدين[1]، ولقد تَطلَّب إنجازُ مِثلِ هذا العملِ ممارسةَ قوةٍ سياسيةٍ وعسكرية، أو باختصارٍ ممارسةَ سيادةٍ داخلَ دولة[2].

ويُزعَمُ أحيانًا أن الدينَ الإسلاميَّ قد فُرض بالقوة؛ لكنَّ هذا القولَ غيرُ صحيح - ولو أن عملياتِ الفتحِ قد ساهمت إلىٰ حدٍّ كبيرٍ في امتداد الإسلام والعروبة -، فبعد وفاةِ النبيِّ بقرن، وفي إمبراطوريةٍ واسعةٍ يحكمُها وَرَثةُ محمدٍ، وتَضُمُّ العديدَ من الأقطارِ والشعوب، كان الإسلامُ هو الدينَ السائدَ، وكانت اللغةُ العربيةُ تَحُلُّ سريعًا مَحلَّ اللغاتِ الأخرىٰ، وتَفرِضُ نفسَها، وخاصةً في الإدارة والتجارة والتعليم.

لقد قامتِ حضارةٌ أصيلةٌ مستوحاةٌ من العقيدة الإسلامية، ومتمتِّعةٌ بحمايةِ الدولةِ الإسلامية، ومدعَّمةٌ بثَراءِ اللغة العربية، حضارةٌ تنمو وتَتَّسعُ

---

(١) - L` accomplissement d`une telle tache exigeait l`exercice d`une pouvoir politique et militaire - en un mot, d`une souverainete - au sein d`un Etat.

(٢) - On Pretend parfois que la religion islamique s`est imposee par la force. Cela est inexact.

وتَعيشُ طويلاً وقد صنَعها الرجالُ والنساءُ من مختلفِ الأعراق والديانات، وقد اصطبغ كلُّ شيءٍ فيها بالعروبةِ والمبادئِ والقِيَمِ الإسلامية»[1] .

* **الفيلسوف الشهير لاون تولستوي الروسي:**

تولستوي (١٨٢٨ ـ ١٩١٠) مؤلِّفٌ قَصَصيٌّ، اشتَغل بالإصلاح، وهو كاتبُ روسيا الأعظم، ثار على الزعماءِ من حُكَّام «وا كليروس»، فمَهَّد السبيلَ للثورةِ ولانتشار الشيوعية.

❑ قال في كتابه «الإنسان والحياة»: «وقد صَدَّقَتْ عائلةُ النبيِّ محمدٍ برسالته، وكذلك عليُّ بنُ أبي طالب وزَيدٌ، وانضم إليه أبو بكر وخديجةُ بنتُ خويلد ـ وهي أولُ مَن أسلم من النساء ـ».

❑ إلى أن قال: «إنَّ محمداً نبيَّ الإسلام ـ الذي آمن به الآن أكثرُ مِن مِئَتَيْ مليون نَفْس ـ، قد قام بعملٍ عظيمٍ جداً، فإنه هَدى الوثنيين ـ الذين قَضَوا حياتَهم بالحروب الأهلية وسَفكِ الدماء وتقديمِ الضحايا البشرية ـ إلى معرفةِ الإلهِ الواحد، وأنار أبصارَهم بنورِ الإيمان، وأعلن أن جميعَ الناس متساوون أمامَ اللّه سبحانه.

والحقُّ الذي لا مِراءَ فيه، أن محمداً قام بعملٍ عظيمٍ وانقلابٍ كبيرٍ في العالم».

❑ وقال في كتابه «حكم محمد»: «ومَن أراد أن يَتحققَ ما عليه الدينُ الإسلاميُّ من التسامُح، عليه أن يُطالعَ القرآنَ الكريم بإمعان، ذلك الكتابُ

---

(١) - Bernard Lewis: L`Islam d`hier a Aujourd`hui,pp. 9-11, 16, 20

الذي جاء به محمدٌ، وقد جاءت فيه آياتٌ كريمةٌ تدلُّ على رُوحِ الإسلام السامية، فمنها الآية الكريمة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ٢]».

□ يقول الدكتور عبدالحليم محمود: «ومن مآثِرِه الكريمة أنه حينما رأى الحَمْلَةَ الظالمةَ على الإسلام، وعلى رسولِ الإسلام ﷺ، كَتَب رأيَه في هذا الدين الذي أُعجب به، وتحدَّث عن رسوله الذي نال إكبارَه، وكان جزاؤه على ذلك ـ أي على كلمةِ الحق التي يَدينُ بها ـ أنْ حَرَمه البابا من رحمة اللَّه، فكان ذلك ـ كما يقول الشيخ محمد عبده مخاطبًا الأديب الكبير ـ: فليس ما حَصَل لك من رؤساءِ الدين سوى اعترافٍ منهم ـ أعلنوه للناس ـ أنك لستَ من القومِ الضالِّين».

□ يقول «تولستوي»: «لا ريبَ أن النبيَّ محمداً عليه السلام من كبار (عظمـاءِ) الرجال المُصلِحين الذين خَدَموا الهيئـةَ الاجتماعيـةَ خِدمةً جليـلة.

ويكفيه فخراً أنه هَدَى أُمَّةً برُمَّتها إلى نورِ الحقِّ تجنَحُ (تخضع) للسكينةِ والسلامِ، وتُفضِّلُ عِيشةَ الزهد، وتكفُّ عن سَفكِ الدماء وتقديمِ الضحايا البشرية.

ويكفيه فخراً أنه فَتَح لها طريقَ الرُّقِيِّ والتقدُّم والمدنيَّة، وهذا عملٌ عظيمٌ لا يفوزُ به إلاَّ شخصٌ أُوتِي قوَّةً وحكمةً وعِلمًا، ورجلٌ مِثلُه جديرٌ

بالاحترام والإجلال»[١] .

* توماس كارليل الإنجليزي:

توماس كارليل (١٧٦٢ ـ ١٨٠٥م) مستشرقٌ إنجليزي، أحدُ كبارِ كُتَّاب الإنجليز، أخذ العربيةَ في بغداد، وكان أستاذًا للعربية في «كمبردج» ببريطانيا.

و«كارلايل» أحدُ كِبارِ كُتَّابِ الإنجليز، شاعريُّ النَّزْعةِ والفِطرة، متحرِّرٌ من الرياء والخَبَث، يتتبعُ البطولة، فيكتبُ عنها ويَمتدحُها، ويُحبِّبُ الناسَ في السموِّ بأنفُسهم إلىٰ منازلِ الأبطال ـ أو علىٰ الأقل إلىٰ التشبُّه بهم ـ، وقد أثار كتابه: «الأبطال» إعجابًا في ميدانِ الفكر العالمي، وتُرجم إلىٰ كلِّ اللغات الحية، وحينما ترجَمه محمدُ السباعي ـ رحمه اللَّه ـ إلىٰ اللغةِ العربية، أثار الكثيرَ من الإعجاب، وقد كان لأسلوب الأستاذِ «السباعي» البارعِ أثرٌ في انتشارِ الكتاب، ومَن لم يقرأْه لمعانيه قرأه لأسلوبه، وفي هذا الكتاب فَصلٌ مستفيضٌ عن حياة الرسول ـ صلوات اللَّه وسلامه عليه ـ، نقتطفُ منه ما يلي:

□ «مِن العار أن يَصغَىٰ أيُّ إنسانٍ متمدِّنٍ من أبناءِ هذا الجيل إلىٰ وَهمِ القائلين: «إن دينَ الإسلام كَذِبٌ، وإن محمدًا لم يكن علىٰ حق».

لقد آن لنا أن نحاربَ هذه الادعاءاتِ السخيفةَ المُخجِلة، فالرسالةُ التي

---

(١) «أوربا والإسلام» للدكتور عبدالحليم محمود (ص٦٤ ـ ٦٥) ـ دار المعارف، و«آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب» (ص١٢٠) للأستاذ أنور الجندي ـ مؤسسة الرسالة.

دعا إليها هذا النبيُّ، ظَلَّت سراجًا منيرًا أربعةَ عَشَرَ قرنًا من الزمان، لملايينَ كثيرةٍ من الناس، فهل من المعقول أن تكونَ هذه الرسالةُ التي عاشت عليها هذه الملايينُ وماتت، أكذوبةً كاذبةً، أو خديعةً مُخادع؟ ولو أن الكَذِبَ والتضليلَ يَرُوجانِ عند الخَلقِ هذا الرَّواجَ الكبيرَ، لأصبحت الحياةُ سُخفًا وعبثًا، وكان الأجدرُ بها ألاّ توجد.

هل رأيتم رجلاً كاذبًا يستطيعُ أن يَخلُقَ دينًا، ويتعهَّدَه بالنشرِ بهذه الصورة؟!.

إن الرجلَ الكاذبَ لا يستطيعُ أن يَبنيَ بيتًا من الطوب، لجهلِه بخصائصِ موادِّ البناء، وإذا بناه فما ذلك الذي يَبنيه إلاّ كَومةً من أخلاطِ هذه المواد، فما بالُك بالذي يَبني بيتًا دعائمُه هذه القرونُ العديدة، وتَسكنُه هذه الملايينُ الكثيرةُ من الناس؟!.

وعلى ذلك، فمن الخطإ أن نَعُدَّ محمدًا رجلاً كاذبًا متصنِّعًا متذرِّعًا بالحِيَلِ والوسائلِ لغايةٍ أو مَطْمَع، أو يَطمحُ إلى درجةِ مَلِكٍ أو سلطانٍ أو غيرِ ذلك من الحقائرِ والصغائر.. وما الرسالةُ التي أداها إلاّ الصدقُ والحقُّ الصُّراحُ، وما كَلِمتُه إلاّ صوتُ حقٍّ صادقٍ صادرٍ من العالَم المجهول.. كلاَّ، ما محمدٌ بالكاذب، ولا الملفِّق، وإنما هو قطعةٌ من الحياة قد تفطَّر عنها قلبُ الطبيعة، فإذا هو شهابٌ قد أضاء العالَمَ أجمعَ، ذلك أمر اللّه.. وذلك فَضلُ اللّهِ يؤتيه من يشاء.

أُحبُّ محمدًا لبراءةِ طبعِه من الرياء والتصنُّع، ولقد كان ابنَ الصحراء، مستقلَّ الرأي، لا يَعتمدُ إلاّ على نفسه، ولا يَدَّعي ما ليس فيه،

ولم يكن متكبِّراً ولا ذليلاً، فهو قائمٌ في ثوبِه المرقَّع، كما أوجَده اللَّهُ يُخاطِبُ بقوله الحُرِّ المبينِ أكاسرةَ العَجَم وقياصرةَ الروم، يُرشِدُهم إلىٰ ما يجبُ عليهم لهذه الحياةِ والحياةِ الآخرة.

وما كان محمدٌ بعاشقٍ قط، ولا شابَ قولَه شائبةُ لَعِبٍ ولهو، فكانت المسائلُ عنده مسألةَ فَناءٍ وبقاء.. أما التلاعبُ بالأقوال، والعبثُ بالحقائق، فما كان من عادتِه قط.

ويَزعُمُ المتعصِّبون أن محمداً لم يكن يريدُ بدعوته غيرَ الشهرةِ الشخصيةِ ومفاخرَ الجاهِ والحياةِ والسلطان.. كَلاَّ واسمِ اللَّه، وأيمِ اللَّه، لقد كان في فؤادِ ذلك الرجل الكبير، ابنِ القفارِ والفَلَوات، المتوقِّدِ المُقلَتَيْنِ، العظيمِ النفسِ، المملوءِ رحمةً وخيراً وحَنانًا وبِرًّا وحِكْمةً وحِجًى: أفكارٌ غيرُ الطمعِ الدنيويِّ، وأهدافٌ ساميةٌ، (ونواياه) غيرُ طلبِ الجاهِ والسلطانِ، وكيف وتلك نَفسٌ صافيةٌ كبيرةٌ، ورجلٌ من الذين لا يُمكنُهم إلاَّ أن يكونوا مخلِصِين جادِّين، فبينما ترىٰ آخَرين يَرضَوْن بالاصطلاحاتِ الكاذبة، إذْ ترىٰ محمَّدًا لم يَرْضَ أن يلتفَّعَ بمألوفِ الأكاذيب، ويتوشَّح بمتَّبَعِ الأباطيل، لقد كان منفرداً بنفسِه العظيمةِ وبحقائق الأمور.

ويزعمُ الكاذبون أن الطمعَ وحُبَّ الدنيا هو الذي أقام محمداً وآثارَه»!! حُمقٌ وسخافةٌ وهَوَسٌ إنْ رَأَيْنا رأيَهم، أيَّةُ فائدةٍ لرجلٍ علىٰ هذه الصورةِ في جميعِ بلاد العرب، وفي تاجِ قيصرَ وصَوْلَجانِ كسرىٰ جميعُ ما بالأرض من تِيجان؟!.

لم يكن كغيره يَرضىٰ بالأوضاعِ الكاذبة، ويَسيرُ تَبَعًا للاعتبارات

الباطلة، ولَم يَقبَلْ أن يتَّشحَ بالأكاذيب والأباطيل.

لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة، وبخالِقِ الكونِ والكائنات، لقد كان سِرُّ الوجودِ يَسطَعُ أمامَ عينِه بأهوالِه ومحاسنِه ومخاوفه.

لهذا جاء صوتُ هذا الرجلِ منبعِثًا من قلبِ الطبيعةِ ذاتها.. ولهذا وَجَدْنا الآذانَ إليه مُصغِيةً، والقلوبَ لِمَا يقولُ واعيةً.

لقد كان زاهداً متقشِّفًا في مَسكنِه ومأكلِه ومَشْرَبِه ومَلْبَسِه وسائرِ أموره وأحواله، فكان طعامُه عادةً الخبزَ والماء، وكثيراً ما تتابعت الشهورُ ولم تُوقَدْ بداره نار.

فهل بعد ذلك مَكرُمةٌ ومَفْخَرةٌ؟ فحبَّذا محمدٌ من رجلٍ متقشِّفٍ، خَشِنِ الملبسِ والمأكل، مجتهدٍ في طاعةِ اللَّه، دائبٍ في نشرِ دينِ اللَّه، غيرِ طامعٍ إلىٰ ما يَطمعُ إليه غيرُه من رتبةٍ أو دولةٍ أو سلطان.

ولو كان غيرَ ذلك، لَمَا استطاع أن يَلْقَىٰ من العربِ الغِلاظِ احتراماً وإجلالاً وإكباراً، ولَمَا استطاع أن يقودَهم ويُعاشرَهم مُعظَمَ وقتِه، ثلاثًا وعشرين حِجَّةً وهم ملتفُّون حولَه، يقاتِلون بين يديه ويجاهدون معه.. لقد كان في قلوبِ العرب جَفَاءٌ وغِلظة، وكان من الصعبِ قيادتُهم وتوجيهُهم، لهذا كان مَن يَقدِرُ علىٰ ترويضِهم وتذليلِهم بطلاً ـ وأيم اللَّه ـ.

ولولا ما وَجدوا فيه من آياتِ النُّبلِ والفضلِ لَمَا خَضَعوا لإرادته، ولَمَا انقادوا لمشيئته.

وفي ظنِّي أنه لو وُضع قيصرُ بتاجِه وصَوْلجانِه وَسَطَ هؤلاءِ القومِ بَدَلَ هذا النبي، لَمَا استطاع قيصرُ أن يُجبِرَهم علىٰ طاعتِه، كما استطاع هذا النبيُّ

في ثوبه المرقَّع».

◻ وقال (ص٧) منه: «لقد أصبح من العار علىٰ أيِّ متمدِّنٍ أن يُصغيَ إلىٰ ما يُظنُّ من أن دينَ الإسلام كذب، أو أنَّ محمداً كذاب، وقد آن لنا أن نحاربَ ما يُشاعُ مِن مِثلِ هذه الأقوالِ السخيفة، فهل رأيتم رجلاً كاذبًا يستطيعُ أن يُوجِدَ دينًا؟! واللَّه إن الرجلَ الكاذبَ لا يستطيعُ أن يبنيَ بيتًا من الطوب».

◻ وقال (ص٥٣) منه ـ تحت عنوان: تأثيرُ الإسلام علىٰ العرب، وفضلُه عليهم ـ: «لقد أخرج اللَّهُ العربَ بالإسلام مِن الظلمات إلىٰ النور، وأحيا به من العربِ أُمةً هامدةً، وهل كانت إلا فئةً من جوَّالةِ الأعراب، خاملةً فقيرةً تَجوبُ الفَلاة، منذُ بَدءِ وجودها لا يُسمع لها صوت، ولا تُحَسُّ منها حركة، فأرسل اللَّهُ لهم نبيًّا بكلمةٍ من لدُنْه، ورسالةٍ مِن قِبَلِه، فإذا الخمولُ قد استحال شُهرةً، والغموضُ نباهةً، والضَّعَةُ رفعةً، والضَّعفُ قوةً، وَسع نورُه الأنحاءَ، وعَمَّ ضَوؤُه الأرجاء، وعَقَد شعاعُه الشمالَ بالجنوب، والمَشرِقَ بالمغرب، وما هو إلاَّ قرنٌ بعد هذا الحادث، حتىٰ أصبح لدولةِ العرب رِجلٌ في الهند ورِجلٌ في الأندلس، كلُّ ذلك بنورِ الفضلِ والنُّبلِ والمروءةِ والبأسِ والنجدة ورَونَقِ الحقِّ والهدىٰ، وما زال للأمةِ العربية رقيٌّ في دَرَجِ الفضل، وتَعريجٌ إلىٰ ذُرىٰ المَجد، ما دام مذهبُها اليقين، ومنهاجها الإيمان».

وقد وَصف المستشرقُ المذكور (محمدًا) أكمل وصفٍ، وأثنىٰ عليه أعظمَ الثناء في كتابه «الأبطال»، فقد أسهب في وصفِ عبقريتهِ وبطولتِه في نبوته.

* **ڤولتير :**

بعد أنْ كَتب «ڤولتير» مسرحيتَه الشهيرةَ «التعصب أو محمد النبي»، ووَصَفه بأنه كان «دجَّالاً، ومستبدًّا، تُحركه الشهواتُ الحسِّيةُ، ومتعطِّشًا للدماء». . تراجع «ڤولتير» رويدًا رويدًا عن أباطيله في الإسلام ونبيِّه.

لقد جَمع «القاموسُ الفلسفيُّ» لـ «ڤولتير» مقالاتِه في مختلفِ الموضوعات، مرتبةً ترتيبًا أبجديًا، ونجدُ في «المجلد السابع» من هذا القاموس حديثًا عن القرآن، يقول فيه «ڤولتير»[١] : «لا يزالُ القرآنُ في واقعِ الأمرِ يَشتهرُ إلىٰ اليوم بأنه الكتابُ الأكثرُ تميُّزًا وسُمُوًّا، الذي كُتب بهذه اللغة «العربية»، لقد أَلْصَقْنا بالقرآنِ ما لا نهايةَ له من السفاهاتِ التي لم تكن به علىٰ الإطلاق، لقد كان هذا موجَّهًا بالدرجةِ الأولىٰ ضدَّ التُّركِ الذين أصبحوا من أتباعِ محمدٍ، فكَتب رُهبانُنا الكثيرَ من كُتبِ المطاعِنِ هذه، إذ لم تكن هناك وسيلةٌ تُمكِّنُهم من مواجهةِ فاتِحِي القسطنطينية خلافَ ذلك، كما أن مؤلِّفينا والذين هم في كثرتهم الهائلةِ أكبرُ عددًا من جنودِ الإنكشارية، لم يَجدوا صعوبةً تُذكرُ في جعل نسائنا تقفُ في صَفِّهم[٢] .

---

(١) - En effet, l`Alcoran passe encore aujourd`hui pour le livre le plus elegant et le plus sublime qui ait encore ete ecrit dans cette langue. Nous avons impute a l`Alcoran une infinite de sottises qui n`y furent jamais.

(٢) - ils leur persuaderent que Mahonet ne les regardait pas comme des animaux intelligeents; qu` elles etaient toutes es- chaves par les lois de l`Alcoran; qu`elles ne possedaient aucun bien dans ce monde, et que dans l` auter elles n`avaient aucun part au pardis. Tout cela est une faussete, evidente; et tout cela a ete cru fermement.

لقد أقنعوهنَّ بأن محمداً لم يَعْتَبِرْهُنَّ ضَمْنَ الحيوانات الذكية، وأنهنَّ جميعًا إماءٌ وِفقَ شريعةِ القرآن، ولن يَنَلْنَ أيَّ خيرٍ في هذه الحياة، وفي الحياةِ الأخرىٰ لا نصيبَ لهنَّ في الفِردوس علىٰ الإطلاق!.

مِن الواضح أن كلَّ هذا كَذِبٌ وبطلانٌ اعتقدوا فيه بكلِّ قوة.

كان يكفي مع ذلك قراءة السورتين ـ الثانية والرابعة ـ من القرآن، حتىٰ يَهتديَ الناسُ إلىٰ الحق، ففيهما التشريعاتُ التاليةُ[1] التي تَرجَمَها كلٌّ مِن:

---

(١) ذكر «ڤولتير» ثماني مجموعات من الآيات نوردها كما هي، مع بيان اسم السورة ورقم الآية في الهامش:

[١]

﴿وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ [البقرة: ٢٢١].

[٢]

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦].

[٣]

﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا .. (٢٢٩) فَإِن طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾

[البقرة: ٢٢٩ـ٢٣٠].

[٤]

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً .. وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٤ـ٣٥].

[٥]

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ..

«دي رير» الذي عاش مدةً طويلةً في القسطنطينية، و«ماراكي» الذي لم يَزُرْها أبدًا، ثم «سال» المستشرقُ (الإنجليزي) الذي عاش خمسةً وعشرين سنةً بين العرب.

إن في هذا ما يكفي لعملِ مُصالحةٍ بين النساءِ ومحمدٍ الذي لم يعاملْهُنَّ أبدًا بمثلِ تلك الشِّدةِ المزعومة، كما أننا لا نستطيعُ أن نُدينَه على عقيدتِه في الإله الواحد، فهذه هي كلماتُ السورة رقم (١١٢) تقول: ﴿ **اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾[1].

وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً.. وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴾ [النساء: ٣ـ٥].

[٦]

﴿ **لا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ.. وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا** ﴾ [النساء: ١٩ـ٢٠].

[٧]

﴿ **وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ.. وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ** ﴾ [النساء: ٢٥].

[٨]

﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.. فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ** ﴾

[البقرة: ٢٣٣].

(١) - Ces paroles dis - je, lui ont soumis l` Orient encore plus que son epee.

إنني أقولُ: إن هذه الكلماتِ أَخضعت له الشرقَ أكثَرَ مما فَعَل سَيفُه.

وفي كلمةٍ موجزةٍ، فإن شريعتَه صالحة، وعقيدتَه تدعو إلى الإعجاب»[1].

□ كذلك كَتب «ڤولتير» مقالاً جاء في «المجلد الثامن» من قاموسه الفلسفي، بعنوان: «المحمديين»، قال فيه مخاطبًا مواطِنيه ـ وخاصةً طبقةَ الكهنوت الذين يَتزعَّمون حَمْلَةَ التشهيرِ بمحمدٍ ودينِه وأتباعه ـ[2]: «أُكرِّر لكم القولَ ـ أيها الجَهَلَةُ الأغبياءُ الذين خَدَعهم جَهَلَةٌ آخَرون، إذ أقنعوكم بأن الديانةَ المحمديةَ ديانةٌ شهوانيةٌ ولذَّاتٌ جَسَدية، بينما هي ليست شيئًا من ذلك، ولقد خُدعتم في هذا الموضوع، كما خُدعتم في موضوعاتٍ أخرى كثيرة ـ:

أيها الأساقفةُ والرهبانُ والقُسُس، إذا فَرض عليكم الإيمانُ أن تَمتنِعوا عن الطعامِ والشرابِ من الساعةِ الرابعةِ صباحًا حتى العاشرةِ مساءً في شهر يوليو، عندما يَحِلُّ الصومُ في هذا الوقت القائظ، وإذا حُرِّم عليكم لَعِبُ الميسر وإلاَّ حَلَّت بكم اللعنةُ، وإذا حُرمت عليكم الخمرُ تحت التهديدِ بالجزاءِ نفسه، وإذا فُرض عليكم الحجُّ مرةً في الصحارِي المُحرقة، وإذا فُرض

---

(1) DICTIONNAIRE PHIL OSOPHIQUE de VOLTAIRE, TOME VII, PP. 46 - 8 -

(2) Je vous le dis encore, ignorants, imbeciles, a qui d`autres ignorants ont fait accroire que la religion mahometane est vo- lupteuse et sensuelle, il n`en est rien; on vous a trompes sur ce point comme sur tant d`autres. -

عليكم إعطاءُ ٥ , ٢٪ على الأقلِّ من دَخْلِكُمُ السُّنويِّ إلى الفقراء، وإذا كنتم معتادِين على التمتُّعِ بثمانيةَ عَشَرَ امرأةً، فإذا بمن جاء في ضربةٍ واحدةٍ ليَقتطعَ منهن أربع عَشْرَةَ امرأةً (ليبقى منهنَّ أربعةٌ فقط)، فهل تجرؤُون بعد ذلك على القولِ ـ مُخلِصِين ـ: إن هذه الديانةَ ديانةٌ شهوانية؟!.

إنني أَمقتُ الافتراءَ على الناس، لدرجةِ أني لا أَقبلُ إلصاقَ التُّهَمِ حتى بالأتراكِ ـ مهما كانت كراهيتي لهم لسوء معاملتهم للنساء، ولعداوتهم للفنون ـ، لكن هناك مَن يؤمنون بضرورةِ القتالِ دون توقُّف! وإذا ما تم هَدمُ ضلالة، فإنه يُوجَدُ دائمًا مَن يَعملُ على بَعثِها من رَقْدَتِها واستبقائها!»[1].

❑ لقد دافع «ڤولتير» عن الإسلام ونبيِّه والمسلمين قَدْرَ استطاعته، وحَسْبَ ما توافَرَ لديه من معلوماتٍ ودراسات، وذلك في عصرِ الاستعمار العاتي وسَطْوَةِ الكنيسةِ وشيوعِ التعصُّبِ الأعمى، وإذا كان «ڤولتير» قد أبطل الفِرْيَةَ التي تَزعُمُ أنه لا مكانَ للمرأة في الجَنَّة، وأنها في الإسلام حِكْرٌ على الرجال، فمِن عَجَبٍ أنَّ هذا الزعمَ الباطلَ لا يزالُ يتردَّدُ إلى الآن في الغرب!!.

❑ ففي يناير ١٩٩٣ يسأل شابٌّ مسلمٌ في ألمانيا كاتبَ هذه السطور عن لردِّ العلمي على ذلك الزعم الباطل!!.

لقد أجاب «ڤولتير» عن ذلك قبلَ أكثَرَ من مِئَتَيْ عام، وأجاب غيرُه إجاباتٍ أخرى أكثَرَ استفاضةً وتنوُّعًا.

❑ ويقول «ڤولتير» عن الإسلام والقرآنِ ومحمدٍ: «إنَّ معتقداتٍ بمِثلِ

---

(١) ibid, TOME VIII, P. 43 -

هذه البساطة قد جَذَبت بسرعةِ الاحترامَ والثقةَ في دينه، وإنَّ عقيدةَ الإيمانِ بوحدانيةِ اللَّه دونَ غموض ـ والتي هي متوافِقةٌ مع الفَهم البشري ـ قد جَلبت تحتَ شريعتِه جماهيرَ كبيرةً من الأمم ما بين الشعوبِ السوداء في إفريقيا إلىٰ شعوبِ الجُزر المتناثرةِ في المحيط الهندي.

هذا الدينُ يُسمَّىٰ «الإسلام» ـ أي: الخضوعُ لإرادة اللَّه ـ، وهذه الكلمة الفريدة ـ «الإسلام» ـ، لابد لها أن تَجلِبَ مُهتدينَ كثيراً إلىٰ هذا الدين[1].

إنَّ الإسلامَ الذي يَعتنقُه أكثرُ مِن نصفِ مَن يَعيشون في نصفِ الكرةِ الأرضيةِ، ما كان أبداً باستخدامِ السلاح، وإنما انتشر بالحماس، وبالقدرةِ علىٰ الإقناع، ثم علىٰ وجهِ الخصوص بالمثال الذي ضَرَبه المنتصِرون.

فبمجرد أنِ اجتازَ العرب (المسلمون) حدودَ بلادهم التي لم يكونوا قد بارحوها مِن قبلُ حتىٰ ذلك الوقت، فإنهم لم يُجبروا أحداً من الأجانب علىٰ الدخول في الإسلام، لقد أعطَوُا الشعوبَ التي خَضعت لهم حُرِّيَّةَ الاختيار ما بين أن يكونوا مسلمينَ، أو أن يَدفعوا لهم الجزية.. وعندما فقدوا حيازتَهم بعد ذلك لأقاليمَ في آسيا استولىٰ عليها الأتراكُ والتتار، فإنهم جَعلوا من قاهرِيهم مهتدِين جُدُداً إلىٰ الإسلام، وصار الفوضويون التتارُ شَعباً مُسلِماً كبيراً، ومِن هنا يَظهرُ الواقعُ أنهم حوَّلوا إلىٰ الإسلام شعوباً أكثرَ في البلادِ التي لم تَخضعْ لهم.

---

(١) Ce ne fut point par les armes que l`Islamisme s`etait dans plus de la moitie de motre hemisphere, ce fut par l`entheɔusiasme, par la persuation, et surtout par l`exemple des vainqueurs. -

والقليلُ الذي أريدُ أن أقولَه إنما يُكذِّبُ تمامًا كلَّ ما يقولُه لنا مؤرِّخونا وخُطباؤنا وأحكامُنا المسبقة، ولكنَّ الحقيقةَ لابد أن تُقالَ وأن تصفعهم».

□ وفي استعراضٍ مقارنٍ لِمَا يُوجَدُ في بعضِ الدياناتِ، يقول «ڤولتير»: «لا توجدُ أبدًا ديانةٌ لم تأمرْ بإعطاءِ الصدقات، لكنَّ الإسلامَ هو الدينُ الوحيد الذي جَعل منها أمرًا شرعيًّا إيجابيًّا لا غنًى عنه.

وبينَ القواعدِ السلبية - وأعني بذلك التي تحضُّ على الامتناعِ عن فِعل شيءٍ ما -، سوف لا نجدُ سوى التحريمِ العامِّ على كلِّ الأُمةِ المسلمةِ أن تشربَ الخمر، وهذا شيءٌ جديدٌ بين الديانات، وتشريعٌ خاصٌّ بالإسلام والمسلمين فقط.

ولربما كان تحريمُ جميعِ أنواعِ المَيسرِ والقمارِ هو التشريعُ الإسلاميُّ الذي لا نجدُ له نظيرًا في أيِّ دينٍ آخَرَ سوى الإسلام»[1].

□ وقال في كتابه «محمد»: «إنَّ في نفس محمدٍ لشيئًا عجيبًا طريفًا رائعًا، يَحملُ الإنسانَ على الإعجابِ والتقدير، ولعَمْري إن الرجلَ وَقف وحدَه يدعو إلى اللَّه، ويتحمَّلُ الأذى في سبيل هذه الدعوة سنواتٍ عديدةً، وأمامَه الجُموعُ المُشركة، تَعملُ جَهْدَها لمعاكستِه وقَتلِ فِكرتهِ، إنه إذًا يستحقُّ كلَّ تقديرٍ وتمجيد، ثم إنك لتراه في أدوارِ حياته هو نفسُه لا يَسحبُ يَدَه مِن صديقٍ، محبَّبٌ للأطفال الذين كان لا يمرُّ بهم إلا تلطَّف معهم ووقف بينهم باسمًا متواضعًا، والواقعُ أن المزايا التي كان يَنعتُهم بها محمدٌ تَمحَقُ الانتقادَ مَحْقًا، ولا تتركُ مكانَه إلاَّ الإعجابَ به والتقديرَ لِشخصيَّته»اهـ.

(١) OEUVRES de VOLTAIRE, TOME 3, PARIS, 1835, PP.99 ` 100 -

* إدوارد جيبون:

وُلد «إدوارد جيبون» في إنجلترا عام ١٧٣٧، كان عضواً في البرلمان، وقد بدأ حياتَه الأدبيةَ عام ١٧٦١، وظَهر الجزءُ الأولُ من مُصنَّفه الضخم «انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» عام ١٧٧٦، ثم استكمل بقيةَ الأجزاء حتى ظَهر آخِرُها عام ١٧٨٨، وقد تُوفِّي في لندن عام ١٧٩٤.

أفرَدَ «إدوارد جيبون» البابَ الخمسينَ من كتابه «انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها»، للحديث عن الإسلام، وقد كَتب مُصنَّفه هذا في عصرِ حروبٍ وتوسُّعٍ استعماريٍّ، ووَسَطَ مخارفَ تجتاحُ أوربا من قوةِ الإسلام المتمثِّلةِ آنذَاك في الإمبراطورية العُثمانية التي كانت قد تَوسَّعت في بلادٍ أوربيةٍ كثيرة، فاحتَلَّت شِبْهَ جزيرةِ «البلقان»، وهَدَّدت إيطاليا والفاتيكان، وأخضعت المَجَرَ، وحاصرت فِيينَّا عام ١٦٦٣.

❏ فكان الخوفُ من الإسلام هو الشغلَ الشاغلَ لصانِعي القرارِ في الغرب، وكانت محاولاتُ التشويهِ ونَشرِ الأكاذيبِ حولَ الإسلامِ ونبيِّه هي السلاحَ الرخيصَ في أيديهم، ولم يستطع «جيبون» التخلُّصَ من أَسرِ الأفكارِ الشائعةِ حولَ الإسلام ونبيِّه - مِثلَ كثيرٍ غيرِه -، ومع ذلك، فهذا بعضُ ما كتبه: «إن عبقريةَ النبيِّ العربيِّ، وسلوكياتِ أُمَّتِه، ورُوحَ ديانتِه، كلُّ ذلك يتضمَّنُ أسبابَ انحدارِ الإمبراطوريةِ الرومانيةِ الشرقيةِ وسقوطِها، وإنَّ أنظارَنا لَتتَّجهُ في دهشةٍ نحوَ واحدةٍ من أكبرِ الثَّوْراتِ الجديدةِ بالذِّكرِ في العالَم، والتي طَبعت بعمقٍ أثراً جديداً وخالداً في أُمم الأرض.

❏ إنَّ مسيحيِّي القرنِ السابع (عند ظهور الإسلام) قد ارتدُّوا - دون أن

يَدْرُوا ـ إلى ما يُشبهُ الوثنيةَ، وكانوا يَحلِفون ـ في أمورِهم الخاصةِ والعامة ـ بالصورِ والآثارِ الدينيةِ التي كانت تَملأُ بالخِزي كنائسَ الشرق، وبَدَتْ أسرارُ التثليثِ والتجسُّدِ في تناقضٍ مع توحيد اللَّه، فالمعنى الواضحُ لذلك هو القولُ بثلاثةِ آلهةٍ متساوية، وتحويلُ الإنسانِ «يسوع» إلى جَوهرِ ابنِ اللَّه، وكانت كلُّ طائفةٍ من الطوائفِ الشرقيةِ في هَوَسٍ بالغٍ مِن أجل الإقرار بأنَّ جَميعَ مَن عداها من المسيحيين يستحقُّون اللَّومَ والخِزْيَ بسببِ وثنيَّتهم وشِرْكِهم[١] .

▫ إن عقيدةَ محمدٍ خاليةٌ من الشكِّ أو الغموض، والقرآنُ شهادةٌ مجيدةٌ على وحدانيةِ اللَّه، ومِن الهند حتى مراكشَ يَشتهرُ المهتدون إلى دِينه باسم «الموحِّدين»، وقد انزاح خطرُ الوثنيةِ بتحريم الإسلام للصور.

إن مواهبَ محمدٍ تجعلُنا نَكيلُ له المديحَ، إلاَّ أن نَجاحَه ربما كان هو الذي جَذَب بقوةٍ انتباهَنا إليه، وإن ما يَستحقُّ إعجابَنا ليس انتشارَ ديانته، وإنما استمراريتُها[٢] ، إنَّ نَفْسَ الانطباعِ النَّقِيِّ الكاملِ الذي حَفَره في الأذهانِ في مكةَ والمدينةِ لا يزالُ مَصونًا إلى اليوم ـ بعد انقضاءِ اثنَيْ عَشَرَ قرنًا ـ عند الذين اهتَدَوا بالقرآن من هنودٍ وأفارقةٍ وتُرْكٍ، ولو عاد الرسولانِ المسيحيانِ ـ القدِّيس بطرس، والقديس بولس ـ إلى الفاتيكان اليومَ، فلربَّما تساءلاَ عمَّ يكونُ ذلك الإلهُ الذي يَعبدونه بمِثلِ تلك الطقوسِ التي تكتنفُها

---

(١) The creed of Mahomet is free from suspicion or am - bigui - ty; the Koran is a glorious testimony to the unity of Cod.

(٢) The same pure and perfect impression which he en- graved at Mec- ca and Medina is preserved after the revolutions of twelve centries.

الأسرارُ في هذه الكنائسِ الفخمة! ولعلَّه من الواجب عليهما أن يَدرُسَا بتمعُّنٍ كتابَ «تعاليم أساسيات العقيدة» الذي تُصدِرُه الكنيسةُ، وأن يَدرُسَا كذلك شروحَ المفسِّرين وتعليقاتِهم على ما كتباه، وعلى كلماتِ مُعلِّمِهما!.

لقد قاوم المسلمون باستمرارٍ غِوايةَ النزولِ بجوهرِ إيمانِهم وعبادته إلى مستوى حواسِّ الإنسانِ وتخيُّلاته، وإن إعلانَ الإسلامِ البسيطَ الثابتَ بلا تغيُّرٍ هو: «أشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللَّه، وأن محمداً رسولُ اللَّه».. إنَّ الصورةَ الذهنيةَ عن الإلهِ لم تَنحطَّ على الإطلاق إلى صورةِ صنمٍ يُرى، وإنَّ مظاهرَ التكريم للنبيِّ لم تَتجاوزْ أبداً معاييرَ الفضائلِ البشرية، ولقد أبْقَتْ تعاليمُه الأخلاقيةُ الحيَّةُ اعترافَ تلاميذِه بفضلِه في حدودِ العقلِ والدين.

لقد أُثيرت في مدارسِ المسلمين الفكريةِ تلك الأسئلةُ التي تتعلَّقُ بما وراءَ الطبيعة عن خواصِّ الإلهِ وحريةِ الإنسان، كما أُثيرت في مدارسِ المسيحيين، لكنها عند المسلمين لم تَشغَلْ أبداً عواطفَ الناس، ولم تُعكِّرْ صَفْوَ الدولة.

إنَّ سببَ هذا الاختلافِ الهامِّ بين الفِكرِ المسيحيِّ والفكرِ الإسلاميِّ، يُمكنُ إرجاعُه إلى مبدإِ الفصلِ بين الشخصياتِ القائمةِ بأمورِ المُلْك، والشخصياتِ القائمةِ بأمورِ الكهنوت، أو مبدإِ التوحيد بينهما.

لقد كان اهتمامُ الخلفاءِ الذين تَولَّوُا الحكمَ بعد النبيِّ، وكانوا أمراءَ المؤمنين: أن يَكبِتوا البِدَعَ الدينية، ذلك أن الرَّهْبَنَةَ وطموحَ الإكليروس الزمنيَّ والروحيَّ غيرُ معروفٍ عند المسلمين، وإن فقهاءَ الشريعةِ هم مُرشِدوهم وِفقَ الضميرِ والعقلِ، وهم المُجيبون على الأسئلةِ المتعلِّقةِ بأمورِ دينِهم.

ونجدُ أنه من المحيطِ الأطلسيِّ غربًا إلى أقاصي الهندِ شرقًا يُعترفُ بأن القرآنَ هو الدستورُ الأساسي، ليس فقط في مسائلِ الإلهياتِ، ولكنْ فيما يتعلَّقُ بالقوانينِ المَدَنيَّةِ والجنائيةِ، والقوانينِ التي تُنظِّمُ سلوكياتِ البشر.

لقد نَفَثَ محمدٌ بين المؤمنين رُوحَ الأُخوَّةِ والإحسان، وأوصى بممارسةِ الفضائل الاجتماعية، وكَبَحَ بشريعته وتعاليمه الأخلاقيةِ التعطُّشَ إلى الانتقامِ وظُلمِ الأراملِ واليتامى، ولقد تَوحَّدتِ القبائلُ التي كانت في عَداءٍ تحتَ مَظلَّةِ الدينِ والطاعة، وتوجَّهت شجاعةُ المقاتلين ـ التي أُنفقت هَدَرًا في صراعاتٍ داخلية ـ نحوَ العدوِّ الخارجيِّ، فانتَشرت بذلك أمصارُ الأمةِ الإسلامية شرقًا وغربًا»[1] .

إنَّ سُموَّ إحساسِ محمدٍ جَعَله يحتقرُ بَهْرَجَ المُلْك، وكان رسولُ اللَّه ﷺ يُخضعُ نفسَه لِمَا تَتطلَّبه حياةُ الأُسرةِ من عمل، فقد أَوقد النارَ، وكَنَس المنزل، وحَلَب الشاة، وخَصَفَ بيديه نَعْليه، ورَتَق ثوبَه، لقد كان قانعًا يأكلُ كما يأكلُ العربيُّ والجنديُّ، وكان في مناسباتٍ قليلةٍ يُولِمُ لرفاقهِ في سَعَةٍ، ولكنَّ الأسابيعَ الكثيرةَ كانت تَنقضي ولا يوقَدُ في بيتِه نارٌ لطعام، وكان يُحرِّمُ الخمر، كما يَقضي بذلك الدِّينُ، وكثيراً ما كان يُخفِّفُ وطأةَ الجوعِ بكِسرةٍ من خُبزِ الشَّعير[2] .

---

(١) E. Gibbon: Decline and Fall of the Roman Empire, pp. 649, 665-9, 693-5 -

وانظر «الإسلام في الفكر الغربي» للواء أحمد عبدالوهاب (ص٣٥ ـ ٣٨).

(٢) «آفاق جديدة للدعوة الإسلامية» للأستاذ أنور الجندي (ص١١٧ ـ ١١٨).

* المسيو «إميل درمنجم»:

«إميل درمنجم» (١٧٩٠ ـ ١٨٥٧م)، وُلِد في «تولوز»، وله عِدَّةُ مؤلَّفاتٍ، منها «حياة محمد»، وهو من كِبارِ الفرنسيين ورجالِ الفكر.

□ قال في مقدمة كتابه المذكور: «لا يُوجد في الدنيا واحدٌ يُمكنه أن يُنكِرَ وجودَ محمد، ولكنْ وُجِد مَن يُنكِرُ بعضَ ما جاء في ترجمةِ محمدٍ في الكُتب العربية، ومِن الناس مَن يتجاوزُ الحدَّ والنقدَ والاعتراضَ حتىٰ يَقَعَ في الظلم، أمَّا أنا، فقد جَعلتُ كتابي هذا سيرةً حقيقيةً، مبنيةً علىٰ المنابعِ العربيةِ الأصلية، بدونِ إهمالِ جميعِ ما وَصَلَت إليه تدقيقاتُ المتخصِّصين في هذا الموضوعِ في الأزمنةِ الأخيرة، وقد أردتُ أن أُمثِّلَ لمحمدٍ ـ نبيِّ المسلمين ـ صورةً مطابقةً له بقَدْرِ الاستطاعة، كما فهمتُه من الكتبِ التي قرأتُها وأنعمتُ النظرَ فيها، ومن مشافهةِ الأحياءِ من المؤمنين، فإذا كانت كلُّ حياةٍ بشريةٍ تَنطوي علىٰ تعليم، وكانت كلُّ حادثةٍ تَشتملُ علىٰ مَشهدٍ يُمثِّلُ حقيقةً من الحقائق، فكم يكونُ مؤثِّرًا ومفيدًا التلاقي مع رجلٍ عظيمٍ من الرجالِ العِظامِ الذين يَقتدي بهم جانبٌ عظيمٌ من الإنسانية»!.

□ وقال (ص١٨٣): «وإن كان بَعضُهم يَعيبُ محمدًا في كثرةِ مَيله إلىٰ النساء، فإنه مما لا مُشاحَّةَ فيه أن محمدًا لم يكن شَرِهًا ولا فخورًا ولا متعصبًا ولا منقادًا للمطامع، بل كان حليمًا، رقيقَ القلب، عظيمَ الإنسانية، وكان بشوشًا دَمِثَ الأخلاق، حَسَنَ المُعاشرة، ساذَجَ المَعيشة، يَكنِسُ غُرفتَه بيده، ويُصلِحُ ثيابَه، ويَخصِفُ نَعْلَه، ويَحلِبُ شياهَه، ويَضطجعُ في أرضِ المسجد، ويَنهضُ ويَفتحُ البابَ لأجلِ هِرَّةٍ تُريدُ أن

تدخل، ويَمسح ببُرْدَتِه عَرَقَ جوادِه، ويُوزِّعُ الصدقات، ويَتجنَّبُ كلَّ شيءٍ يَظهرُ فيه بمَظهرٍ دنيويٍّ، وكان يَمنعُ الناسَ أن يَجعلوه سيِّدًا».

*** وليم موير:**

❑ قال «وليم موير»: «امتاز محمدٌ بوضوحِ كلامِه، ويُسرِ دِينه، وقد أتمَّ من الأعمالِ ما يُدهِشُ العقول، ولم يَعْهَدِ التاريخُ مُصلِحًا أيقظَ النفوس، وأحيا الأخلاق، ورَفَع شأنَ الفضيلة في زمنٍ قصيرٍ كما فعل محمد».

❑ وقد سُئِل السير «وليم موير» الإنجليزي عن محمدٍ نبيِّ المسلمين، فقال: «كان من عقيدةِ محمدٍ أنَّ الإنسانَ عاجزٌ عجزًا تامًّا أمامَ اللَّه سبحانه، وأنه لا عُذرَ له بين يديه، ولكنه يعفو عن كثير، ومن عقيدته أنَّ الإنسانَ أخو الإنسان[1]، وأن يومَ الدينونة لا يُضيعُ اللَّهُ مِثقالَ ذرَّةٍ على كلِّ عاملٍ مع اللَّه يومَ كان يَعيشُ في ظلِّ الحياة»[2].

*** دوزي:**

❑ عُني «دوزي» في بعضِ فصوله من كتاب «ملوك الطوائف» بالردِّ على ما ردَّده خصومُ الإسلامُ فقال (ص٤٠٥): «لو صحَّ ما قاله القساوسةُ من أنَّ محمدًا نبيٌّ منافقٌ كذَّاب، فكيف نُعلِّلُ انتصارَه؟! وما بالُ فتوحاتِ أتباعِه تترىٰ، وتتلو إحداها الأخرىٰ؟! وما بالُ انتصاراتُهم علىٰ الشعوب لا تَقِفُ عند حدٍّ؟! وكيف لا يَدُلُّ ذلك علىٰ معجزةِ هذا الرسول؟! لقد كانوا

(١) بل: «المؤمن» أخو «المؤمن».

(٢) المجلد الرابع من مجلة «الهلال» ـ الجزء السابع.

يعتقدون أوَّلَ أمرِهم أنَّ خُذلانَ المسلمين سيتمُّ بمعجزةٍ قريبة، فطالَما سَمِعوا عن مُعجزاتِ الكنيسة، وانتظروا هذه المعجزةَ التي تُخلِّصُ البلادَ المسيحيةَ من غَزَواتِ المسلمين، ولكنَّ انتظارَهم هذه المعجزةَ قد طال، وذهب أدراجَ الرياح، وأعجبُ مِن ذلك أنَّ مُعجزةً أعظمَ قد حَدَثت، وكانت معجزةً أعظمَ مما كان يتوهَّمُه القدِّيسُون أنفسُهم، وأيُّ معجزةٍ أعظمُ وأروعُ من أن نرىٰ شعبًا كان إلىٰ زمنٍ قليلٍ في غايةٍ من الخمول، ثم ظَهَر إلىٰ الدنيا فجأةً، وظَلَّ يتقدَّمُ بسرعةٍ لا مَثيلَ لها؟!».

* المؤرخ سيديو الفرنسي:

مستشرقٌ ومؤرِّخٌ كبير، وأحدُ أعضاء «جمعية العلماءِ الفرنسية»، وُلِد عام ١٨١٧م، وتُوفِّي عام ١٨٩٣، وله كتاب «خلاصة تاريخ العرب».

□ رَدَّ المؤرِّخُ «سيديو» علىٰ اتهامِ النبيِّ ﷺ بالقسوةِ أو الجُبنِ مما جاء في كتاباتِ خصومِ الإسلام فقال: «مِن التجنِّي علىٰ حقائقِ التاريخ ما كان مِن عَزْوِ بعضِ الكُتَّابِ إلىٰ محمدٍ القسوةَ والجُبْنَ، فقد نَسِيَ هؤلاء أنَّ محمداً لَم يَألُ جَهداً في إلغاءِ عادةِ الثأرِ الموروثةِ الكريهةِ التي كانت خُطوةً لدىٰ العرب، كخُطوةِ المبارزاتِ بأوروبا فيما مضىٰ، وكأنَّ أولئك الكُتَّابَ لَم يَقرؤوا آياتِ القرآن التي قَضىٰ محمدٌ فيها علىٰ عادةِ الوَأْدِ الفظيعة، وكأنهم لم يُفكِّروا في العَفْوِ الكريمِ الذي أنعَمَ به علىٰ ألدِّ أعدائه بعدَ فتحِ مكة، ولا في الرحمةِ التي حَبَا بها كثيراً من القبائل عند ممارسةِ قواعدِ الحرب الشاقة، ولا إلىٰ ما أبداهُ من أسفٍ علىٰ بعضِ الأحكامِ المبتسَرة، وكأنهم لم يَعلَموا أنَّ محمداً لم يُسِئِ استعمالَ ما اتُّفق له من السلطان العظيم، قضاءً لشهوةٍ

القسوةِ الدنيئة، وأنه لَم يَأْلُ جَهداً ـ في الغالب ـ في تقويمِ مَن يجورُ من أصحابه، وكلٌّ يَعلمُ أنه رَفَض بعد غزوة «بدر» رأيَ عمر بنِ الخطاب في قَتلِ الأسرىٰ، وأنه عندما حَلَّ وقْتُ مُجازاةِ بني قُريظةَ تَرَكَ الحُكمَ في مصيرِهم لحليفِهمُ القديمِ سعدِ بنِ معاذ، وأنه صَفَح عن قاتِلِ عمِّه حمزة، وأنه لَم يَرفضْ قَطُّ ما طُلب إليه من اللطف والسماح، وليس بمجهولٍ أن خالدَ بنَ الوليد ـ الذي كان من أشجعِ قُوَّادِهِ ـ لَم يستطعْ أن يَرعويَ ـ بعد إسلامه ـ عن رُوحِ القسوةِ والصَّولةِ التي كانت تُلازمُه في زمنِ الجاهلية، فلاحت له الفرصةُ بأن يثأرَ لقريبِه القتيلِ، فأثخَنَ في بني خُزيمة، فأجمَعَ المسلمون علىٰ استفظاعِ عَمَلِه، فلمَّا نُبِّئ محمدٌ بما صَنَع خالد، أسرع في ذَمِّه جهاراً، فرفع يَدَيه إلىٰ السماء قائلاً: «**اللَّهم إنِّي أبرأُ إليك مما صَنَع خالد**». . ».

☐ وقال في كتابه «خلاصة تاريخ العرب» (ص٥٤): عن نومِ عليٍّ رضي الله عنه في فِراشِ النبيِّ وحِفظ اللَّه له: «دعا محمدٌ ابنَ عمِّه عليًّا، وأمره أن ينامَ علىٰ فراشه، مُتَّشِحًا ببُرد، فدَفع اللَّهُ شرَّهم عنه، وهو أوْلىٰ أن يَحفظَ نبيَّه القائمَ بالدعوة له، وأحقُّ أن يَجعلَ كَيدَهم في نحورهم، وما زال آخذاً بيمينه، حتىٰ غنَّىٰ له الزمنُ وصفَّق له الدهر».

☐ ثم قال: «وبعدَ ظهور محمدٍ ﷺ الذي جَعل مِن قبائلِ العربِ أُمَّةً واحدةً، تقصِدُ مقصداً واحداً، ظهرت للعيانِ أمةٌ كبيرة مَدَّت جَناحَ مُلكِها من «نهر تاج» في إسبانيا حتىٰ «نهر المانج» في الهند، ورَفعت علىٰ منارِ الإشادة أعلامَ التمدُّن في أقطار الأرض أيامَ كانت أوربا مُظلِمةً بجهالاتِ أهلِها في القرون المتوسطة».

*** المستشرق الإنجليزي «بودلي»:**

❑ رَدَّ المستشرقُ الإنجليزيُّ «بودلي» علىٰ الزعمِ القائلِ بأن محمَّدًا سَرَقَ ما في الإنجيلِ من تعاليم، فقال: «الزعمُ بأنه قد سَرق الإنجيلَ زَعمٌ باطل، فإنه ما رأىٰ الإنجيلَ أبدًا، والقولُ باطِّلاعِه علىٰ ترجمةِ الإنجيلِ الناقصةِ التي قام بها وَرقةُ بنُ نَوفل لا يَضَعُ أمامَه إنجيلاً ليراه، وحتىٰ هذه الترجمةُ لم يَرَها، فإنَّ أولَ ترجمةٍ عربيةٍ رسميةٍ للعهدَين - القديم والجديد - ظَهرت بعد وفاةِ محمدٍ بِعِدَّةِ قرون».

❑ وقال الكولونيل «بودلي» في كتابه «حياة محمد»: «إنَّ محمداً لَم يَدَّعِ لنفسهِ صِفةً إلهيةً، وإنه صَرَّح كثيراً بأنه بشرٌ يُوحَىٰ إليه، وإن السببَ في سرعة انتشارِ الإسلام عن غيره من الأديان، هو عدمُ ادِّعاء النبيِّ صفةً إلهيةً، وعدمُ دعوتهِ إلىٰ عبادةِ شخصِه، وكذلك تسليمُ القرآنِ بصحَّةِ الديانات المنزَّلة من قبلُ».

ونحا باللائمةِ علىٰ الذين لم يفهموا محمداً وشريعته.

*** الكاتبة الإيطالية الدكتورة لورا فيتشيا:**

❑ دافعت الكاتبةُ الإيطاليةُ الدكتورة «لورا فيتشيا» عن الرسول ﷺ بحماسٍ بالغٍ، فقالت: «قام أعداءُ الإسلامِ الألدَّاءُ الذين أعماهم الحِقدُ والتعصُّب، واتَّهموا رسولَ اللَّه ﷺ، ذلك الرجلُ النبيلُ الذي كان يُنظَرُ إليه قبلَ الرسالةِ نَظرةَ إكبارٍ وإجلالٍ من جميعِ مواطنيه لِمَا تَحلَّىٰ به من الأمانةِ والسجايا الكريمة، وكانت هذه التهمةُ التي رَموه بها مما لا يَقبَلُه عَقلٌ، ولا يُمكنُ أن يُسلِّمَ به عاقلٌ، فضلاً عن أنها لا تقومُ علىٰ أيِّ أساس، وهي تهمةٌ

الغِشِّ والخداع، وليتَ شِعري كيف أن هؤلاء الناسَ لم يسألوا أنفسَهم إذا كان النبيُّ في الحقيقةِ كاذبًا، فكيف اجترأ على أن يُوجِّه في القرآن إلى الكذَّابين والخادِعين أشدَّ عباراتِ الذمِّ وأقساها؟! وكيف تَوعَّدهم بالنار وسُوءِ العذاب؟! وإذا كان كاذبًا في دعوته - كما يَفترُون -، فكيف صَمَد للمقاومة أكثَرَ من عَشْرِ سنين، وهو في مكةَ احتَمل في أثنائها الشيءَ الكثيرَ من صُنوفِ الاضطهادِ والآلام، وهو ذلك الرجلُ الوديعُ الهادئُ الطباع؟! وكيف تَهيَّأ له أن ينحازَ إليه طواعيةً واختياراً - بل وبمنتهى التحمُّسِ - جماعاتٌ كبيرةٌ من رِجالاتِ قريشٍ ونُبلائهم، وأن يَنضَوُوا تحتَ لوائِه مع غيرِهم من السُّوقة والعَبيد.

أمَّا تهمةُ القَسوةُ التي يُوجِّهونها إليه، فمِن السهلِ دَفعُها، لأنَّ محمداً الذي كان على رأسِ حُكومةٍ، ويتولَّى الدفاعَ عن حياةِ الشعبِ وحُرِّيتِه، كان يُحاكِمُ الخارجين على القانون بصرامةٍ وشدةٍ اقتضتهما ظروفُ البيئةِ التي كان يَعيشُ فيها.

ولقد كان محمدٌ - كرسولٍ يدعو إلى اللَّه - رجلاً رحيمًا، ليِّنَ الجانب حتى لأعدائِه الشخصيِّين، وبذلك اجتَمَعت فيه فضيلتانِ كلتاهما أكبرُ الفضائلِ التي يتصوَّرُها العقلُ البشريُّ، وهما الرحمةُ والعدالة.

وبحَسْبه أنَّ الحربَ - التي هي أقصى ضروراتِ الحياةِ الإنسانية - قد صارت - بفضله - أقلَّ وحشيةً وقسوةً، إذ إنه كان يَطلبُ إلى جنوده ألاَّ يَقتُلوا شيخًا ولا امرأةً ولا طفلاً، ولا يَهدِموا بيوتًا لم تُتَّخذْ كمعاقلَ حربية، وقد أراد أعداءُ الإسلام أن يُظهِروا النبيَّ في صورةِ رجلٍ شَهْوانيٍّ إباحيٍّ، بأن اتَّخذوا مِن زِيجاته المتعدِّدةِ حِجَّةً لاتِّهامه بضَعفٍ خُلُقِيٍّ لا يَتَّفق ومركزَ النبوة.

ولكنْ فاتهم أمرٌ هامٌّ لم يَحسِبوا له حسابًا، وهو أن النبيَّ أيامَ فُتُوَّتِه وعُنفوانِ شبابه لم يتزوَّجْ إلاَّ مِن امرأةٍ واحدة، ولم يتزوَّجْ من غيرِها حتىٰ ماتت، مع أنه كان يَعيشُ بين قومٍ سادت فيهم كثرةُ الطلاق والزواج، وكان يَنذُرُ أن يَقتصرَ الرجلُ منهم علىٰ زوجةٍ واحدة، ولَمَّا فُقدت زوجتُه ـ وكانت سِنُّهُ حين ذاك خمسينَ سنةً ـ تزوَّج من أخرىٰ، كما عَقَد زِيجاتِه المختلفةَ التي كانت في أغلبِ الأحيان لدواعٍ اجتماعيةٍ أو سياسية؛ لأنه كان يُريدُ بهذه الطريقةِ أن يَكتسِبَ إلىٰ صَفِّهِ رجالاً أو نساءً تقيَّاتٍ، ويرتبطُ بروابطِ المصاهرةِ بأُسرٍ قويةٍ، وكان كلُّ ذلك بقَصْدِ نشرِ الإسلام»[1] .

* **الدكتور وغسطون كرستا الإيطالي :**

وُلد في «ترياسته» ١٨٤٠ ، وتوفي فيها ١٨٩٧ .

❏ قال في كتابه «الكياسة الاجتماعية» : «كان محمدٌ يُعلِنُ أنه رسولُ اللَّه تعالىٰ، لإصلاح دينِ إبراهيمَ المطهَّرِ الذي أفسده أبناؤه، وأقام العبادةَ الزكيةَ التي أنشأها ذلك النبيُّ، ثم فَسدت علىٰ مَمرِّ الزمن، ولِيؤيِّدَ ـ وهو خاتمةُ الرسل ـ ما كان اللَّهُ أنزله علىٰ مَن سَلَفه من الأنبياء موسىٰ وداودَ وإشعيا وعيسىٰ .

إنَّ هذه الجُدرانَ العاديَّة، لدليلٌ علىٰ قوةٍ عظيمةٍ لمحمد، مِثالَ القيادةِ ورَمزَ السياسة» .

* * *

---

(١) كتاب «محاسن الإسلام» ترجمة طه فوزي . . انظر «آفاق جديدة للدعوة» (ص١٢٠ ـ ١٢٢).

*** الكونت هنري دي كاستري:**

لقد دَرَس الكونت «هنري دي كاستري» الإسلامَ دراسةً عميقةً، وكَتب عنه كتابًا قيِّمًا، ترجمه فتحي زغلول، ونُشر بعنوان «الإسلام سوانحُ وخواطر».

❑ تحدَّث الكونت «هنري» في هذا الكتاب عن كثيرٍ من جوانبِ الإسلام، سواءٌ أكان ذلك فيما يتعلَّقُ بالرسول ﷺ، أم فيما يتعلَّقُ بالتعاليمِ الإسلامية، وقد تحدَّث - فضلاً عن ذلك - عن آراءِ مواطنِيه، خصوصاً القدماءَ منهم في صورةٍ من السخرية والتهكُّم: «وذهبوا إلىٰ أن محمداً وَضَع دينَه بادعائه الألوهية!.

ومن المستغرَبات قولُهم: «إن محمداً - الذي هو عدوٌّ الأصنام ومُبيدُ الأوثان - كان يدعو الناسَ لعبادتِه في صورةِ وَثَنٍ من ذهب، كما كان يعتقدُ «والكر لوفنجيون»!.

بل لقد أغرق خَيالُهم في الضلال، فذَهبوا إلىٰ أبعدَ مِن ذلك، وذهبوا إلىٰ أن صُورةَ «ماهوم»[1] كانت تُصنعُ من أنفَسِ الأحجار والمعادنِ بأحكمِ صُنعٍ وأدقِّ إتقان!».

❑ وبعد أن ذكر الكثيرَ من آرائهم قال: «ولقد أطَلْنا القولَ في تلك الأضاليل، لأن تاريخَ «إسكندر»[2] المذكور لم يُزِلْها، ولأنها تَركت أثرًا في

---

(١) المقصود محمد ﷺ.

(٢) ألف القسيس «إسكندر دويون» كتابًا ١٢٥٨م عن محمد، وكان الناس يعدونه تاريخًا صحيحًا للرسول مع أنه ليس كذلك.

الأذهانِ وَصَل إلىٰ أهلِ هذه الأيام، وتَشبَّعت به أفكارُهم في النبيِّ وكتابه.

ولكنْ ما سِرُّ هذه الحَمْلةِ الشَّعواءِ الشَّعواءِ الضالَّةِ التي تَهزأُ بالحقِّ والضمير، والتي لا يُقِرُّها دينٌ أيًّا كان؟!».

❑ «ولو سأل سائلٌ: هل كان أولئك المفسِّرون يَعتقدون صحةَ ما يقولون؟ لأجبناه جوابَ أهل «نورمندة»: «لا ـ ونعم»، إذ من المحقَّق أنَّ الاختلاطَ بين المسيحيين والمسلمين سَهلٌ للمُنشِدين معرفةَ الدينِ المحمديِّ علىٰ حقيقته، ولكنهم ما كانوا يقصِدون الحقائقَ التاريخيةَ في أناشيدهم، بل حِفْظَ رُوحِ البغضاءِ في نفوس قومهم.

هل هذه الروحُ التي كانت سائدةً عند المسيحيين تُجاهَ الإسلام، اقتَصرت علىٰ العصورِ الوسطىٰ؟ كلاَّ.

فلم يَزَل هذا الروحُ سائداً عند المسيحيين، حتىٰ إن المستشرق «بريدو» الإنكليزي ألَّف سنة ١٧٣٣ كتابًا في سيرة النبي ﷺ عنوانه: «حياة ذي البدع محمد»!.

وترجَمَه بعضُهم إلىٰ لُغتنا، وجَعل له مقدمةً بيَّن فيها مَقْصِدَ المؤلِّفِ، فقال: إنَّ غَرضَ واضعِ هذا الكتاب، هو خِدمةُ المَقصِدِ المسيحيِّ الحكيم».

❑ ثم يُعقِّبُ «الكونت» علىٰ ذلك بهذه الكلمة الحكيمة: «أولئك كُتَّابٌ ما قَصدوا التاريخ، ولكنهم أرادوا خِدمةَ المَقصِدِ المسيحيِّ الحكيم ـ كما يقولون ـ، وكان سلاحُهُمُ الوحيدُ في تأييدِ سواقِطِ حُجَجِهم، أنْ يُشبِعوا خَصْمَهم سَبًّا وشَتْمًا، وأن يُحرِّفوا في النَّقل مهما استطاعوا».

ثم يأخذُ «الكونت» في الردِّ علىٰ الافتراءات، ومِن أولىٰ هذه

الافتراءات: أن الرسولَ صلواتِ اللَّه وسلامه عليه، كان يَقرأُ ويكتب، فقرأ التوراةَ، وقرأ الإنجيل، وأخذ تعاليمَه منهما!.

* وقد رد القرآنُ علىٰ هذه الفرْيَة فقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

□ ويقول «الكونت» في هذا المعنىٰ: «ما كان يقرأُ ولا يكتب، بل كان ـ كما وَصَفَ نفسَه مراراً ـ نبيًّا أميًّا، وهو وَصفٌ لم يُعارِضْه فيه أحدٌ من مُعاصريه، ولا شك أنه يستحيلُ علىٰ رجلٍ في الشرقِ أن يتلقَّىٰ العِلمَ بحيثُ لا يَعلمُه الناسُ؛ لأنَّ حياةَ الشرقيين كلَّها ظاهرةٌ للعيان، علىٰ أنَّ القراءةَ والكتابةَ كانت معدومةً في ذلك الحينِ من تلك الأقطار، ولم يكن بمكةَ قارئٌ أو كاتبٌ سوىٰ رجلٍ واحدٍ، ذَكَره «جارسين دي تارس» في كتابه الذي طبعه سنة ١٨٧٤.

كذلك مِن الخطإِ ـ مع معرفةِ أخلاقِ الشرقيين ـ أن يُستدلَّ علىٰ معرفةِ النبيِّ للقراءةِ والكتابةِ باختيارِ «السيدة خديجة» ﵂ إياه لِمَتاجِرِها في الشام، ولم تكن لِتعهدَ إليه أعمالَها إن كان جاهلاً غيرَ مُتعلِّم.

فإنا نشاهدُ بين تُجَّارِ كلِّ قومٍ غيرِ العرب وُكلاءَ لا يقرؤون ولا يكتبون، وهم ـ في الغالب ـ أكثَرُ أمانةً وصدقًا».

□ ويقول: «أما فكرةُ التوحيد: فيستحيلُ أن يكونَ هذا الاعتقادُ وَصَلَ إلىٰ النبيِّ ﷺ من مطالعتهِ التوراةَ والإنجيل، إذ لو قرأ تلك الكُتبَ لَرَدَّها لاحتوائها علىٰ مذهبِ «التثليث»، وهو مُناقِضٌ لفطرته، مخالفٌ لوجدانه منذ خِلْقته، فظهورُ هذا الاعتقادِ بواسطتِه دَفعةً واحدةً هو أعظمُ مَظهرٍ في

حياته، وهو بذاته أكبرُ دليلٍ على صدقِه في رسالتِه وأمانتِه في نبوته».

◻ أمَّا صِدقُ الرسولِ وسُموُّ رسالته، فقد أخذ كثيرٌ من رجالِ الكنيسة ومِن رجالِ الاستعمار يُشكِّكون فيهما، وبرغمِ الوضوحِ الواضحِ في صِدقِ الرسولِ وفي سُموِّ الرسالةِ الإسلامية، فإنَّ رِجالَ الدينِ المسيحيين ورجالَ الاستعمارِ لا يزالون يُبدؤون ويُعيدون في تِردادِ التشكيك.

◻ إلى هؤلاء وأولئك يقول الكونت: «والعقلُ يَحارُ كيف يتأتَّى أن تَصدُرَ تلك الآياتُ عن رجلٍ أُمِّيٍّ، وقد اعترَف الشرقُ قاطبةً بأنها آياتٌ يَعجِزُ فِكرُ بني الإنسانِ عن الإتيانِ بمثلها لفظًا ومعنًى، آياتٌ لَمَّا سمعها «عُتبةُ بن ربيعة» حار في جَمالها، وكَفى رفيعُ عبارتها لإقناع «عمرَ بنِ الخطاب» رضي الله عنه، فآمَنَ بربِّ قائلِها، وفاضت عينُ نجاشيِّ الحبشةِ بالدموع لَمَّا تلا عليه «جعفرُ بن أبي طالب» سورةَ «مريم»، وما جاء في ولايةِ «يحيى»، وصاح القسيس[1] : «إنَّ هذا الكلامَ واردٌ من مواردِ كلامِ عيسى!» . .».

◻ قال ناقلُ هذه الرواية: «كوزان دي بير سوفال»: «فلمَّا كان اليومُ الثاني طَلَب النجاشيُّ جعفرًا، وأشار إليه بتلاوةِ ما في القرآن عن المسيح، ففعل، واستَغرب المَلِكُ لَمَّا سَمع أن «المسيحَ» عبدُ اللَّه ورسولُه ورُوحٌ منه نَزَل في أُمِّه «مريمَ»، وأُعجب أشدَّ الإعجابِ بهذه المعاني، وحَمَى المسلمين، ولَم يُسلِّمْهم إلى رُسُلِ قريش، ولم يَنْفِهم من بلاده».

أما هؤلاء الذين بَلَغ بهم التعسُّفُ مداه، فظنُّوا أن هذه الفَترَاتِ التي يَغيبُ فيها الرسولُ عن هذا العالَم ليكونَ بكُلِّيَّته مستغرِقًا في الملإ الأعلى،

(١) أي: النجاشي. . وانظر الخبر في «المسند» (١/ ٢٠١)، و«السيرة النبوية» (١/ ٣٧٥).

إنما هي فتراتٌ مَرَضيَّةٌ، أو هي الصَّرَعُ، وبرغمِ تكذيبِ الطبِّ لمزاعمهم مستنِداً إلىٰ الاختلافِ الكُلِّيِّ بين أعراضِ الصَّرَعِ وأعراضِ الوحي، فقد أعماهم التعصُّبُ عن رؤيةِ الحقيقة.

◘ وإليهم يقول الكونت: «ومن ذلك الحِينِ ـ أي البَعثة ـ أخذت شفتاه تَنطلقُ بألفاظٍ بعضُها أشدُّ قوةً وأبعدُ مرمًىٰ من بعض، والأفكارُ تتدفَّقُ من فَمِه علىٰ الدوامِ، إلىٰ أن يَقِفَ لسانُه ولا يُطيعه الصوت، ولا يَجِدُ من الألفاظِ ما يُعبِّرُ به عن فِكرٍ قد ارتفع عن مداركِ الإنسان، وسما عن أن يُترجِمَه قَلَمٌ أو لسان.

وكانت تلك الانفعالاتُ تَظهرُ علىٰ وجهِه باديةً، فظَنَّ بعضُهم أن به جِنَّةً!! وهو رأيٌ باطل؛ لأنه بدأ رسالتَه بعد الأربعين، ولم يُشاهَدْ عليه قَبلَ ذلك أيُّ اعتلالٍ في الجسمِ أو اضطرابٍ في القوة المادية، وليس مِن الناس مَن عَرف الناسُ جميعًا أحوالَه في حياته كلِّها مثلُ النبيِّ ﷺ، فلقد وَصل المُحدِّثون عنه إلىٰ أنهم كانوا يَعُدُّون الشَّعْرَ الأبيضَ في لِحيته، ولو أنه كان مريضًا لَمَا أَخفىٰ مَرَضَه؛ لأن المرضَ في مِثلِ تلك الأحوالِ يُعتبرُ أمرًا سماويًّا عند الشرقيين.

وليست حالةُ محمدٍ ﷺ وانفعالاتُه وتأثُّراتُه بحالةِ ذي جِنَّة، بل كانت مِثلَ التي قال نبيُّ بني إسرائيلَ في وصفها: لقد شَعُرتُ بأن قلبيَ انكسَرَ بين أضلُعي، وارتَعَشت منِّي العِظام، فصِرتُ كالنَّشوان، لِمَا قام بي من الشعورِ عند سماعِ صوتِ اللّه وأقواله المقدسة»[1].

---

(١) «أوروبا والإسلام» (ص٥٣ ـ ٥٨).

❑ ويردُّ «الكونت» علىٰ اتهامِ النبيِّ ﷺ بتأليفِ القرآن ويقول: «وكيف يُعقلُ أن النبيَّ ﷺ ألَّف هذا الكتابَ باللغة الفصحىٰ، مع أنها في الأزمانِ الوسطىٰ كاللغةِ اللاتينية، ما كان يَعقِلُها إلاَّ القومُ الصالحون[1]، وقد شاهَدْنا أُناسًا ـ وكان أكثرُهم أُمِّيين ـ قاموا في أُمَّـةِ العَرَب وادَّعَوُا النبــوةَ ـ منهم «مُسيلِمة» الذي زَعَم أنه قَرينُ محمدٍ ﷺ ـ أتىٰ بسُورٍ سَخِرٍ منها العربُ، ولو لم يكن في القرآن غيرُ بهاءِ معانيه وجمالِ مبانيه، لكفىٰ بذلك أن يستوليَ علىٰ الأقطار، ويأخذَ بمجامعِ القلوب.

أتىٰ محمدٌ بالقرآن دليلاً علىٰ صِدقِ رسالته، وهو لا يزالُ إلىٰ يومنا هذا سِرًّا من الأسرارِ التي تَعذَّرَ فَكُّ طَلاَسِمِها، ولن يَسبرَ غَوْرَ هذا السرِّ المكنون إلاَّ مَن يُصدِّقُ بأنه مُنزَّلٌ من اللَّه؛ اللهمَّ إلاَّ إذا اعتَمَدْنا علىٰ قولِ مُمجِّدي الدينِ المسيحيِّ مما كنَّا نرتاحُ إليه أيامَ شبيبتنا (وهو يَرجعُ إلىٰ أن القرآنَ تأليفُ فاتحٍ أراد تأييدَ سُلطته، فجَمَع مِن كُتب اليهود والمسيحيين قانونًا أودعه بعضَ قواعِدِ الأدبِ والدين، وأضاف إليه قَصصَ الوقائعِ العظيمةِ لتأييدِ رسالته).

وعلىٰ كلِّ حال ـ أي سواءٌ توصَّلْنا إلىٰ معرفةِ حقيقةِ القرآن أم لا ـ، فلا يُنكِرُ أحدٌ أنَّ مَظهَرَ محمدٍ كان مَظهرَ نبوَّةٍ بالفعل ـ بقَطعِ النظرِ عن صِدقِ تلك النبوة ـ وعدمِ صِدقها ـ، لأن النبوة ـ مِن حيث هي ـ عبارةٌ عن قيامِ رجلٍ يُملي علىٰ الناس أمرَ ربِّه، ويَعتقدُ حقًّا أن ما يقولُه آتٍ من عند اللَّه.

---

(١) هذا كلام غير صحيح.. فإن العرب كانوا جميعًا فصحاء، ولم يكن عندهم لهجةٌ عاميةٌ مثل لهجاتنا اليوم.. بل كل «لغاتهم» كانت فصيحةً، كما قال نابغة العربية مصطفىٰ صادق الرافعي في كتابه «تاريخ آداب العرب» (ج١).

ومحمدٌ ـ كما قال «إيوالد» عن أنبياءِ بني إسرائيل ـ أعتقدُ أن رُوحًا من اللَّه استولت علىٰ لُبِّه، فلم يَشعُرْ بأن له فِكرًا خاصًّا، بل إنه أُوتِيَه من عندِ ربِّه، واختَفت في نظرِه أنانيَّته، ولم يَعُدْ يَسمعُ غيرَ صوتِ ذاتٍ فوقَ ذاته، ومِن ذلك الحِينِ أَخذت شَفَتاهُ تَنطِقُ بألفاظٍ بعضُها أشدُّ قوةً وأبعدُ مرمًىٰ من بعضٍ، والأفكارُ تتدفَّقُ مِن فَمِهِ علىٰ الدوام، وكانت تلك الانفعالاتُ تَظهرُ علىٰ وجهه، فظنَّ بعضُهم أن به جِنَّةً، وهو رأيٌ باطل؛ لأنه بدأ رسالتَه بعد الأربعين، ولم يُشاهَد عليه قبلَ ذلك أيُّ اعتلالٍ في الجِسمِ، أو اضطرابٍ في القوة المادية».

□ ويقول: «إذن فليس محمدٌ من المبتدِعين، ولا من المنتحلين كتابَهم، وليس هو نبيًّا سلاَّبًا ـ كما يقول «سايوس» ـ، نعم، قد نرىٰ تشابُهًا بين القرآنِ والتوراةِ في بعضِ المواضع، إلاَّ أن سَبَبه ميسورُ المعرفة، ذلك أن محمدًا كان يُلصِقُ ديانةَ الإسلام بالديانتين المسيحية واليهودية (كذا)؛ وحينئذٍ لا عَجَبَ إذا تشابهت تلك الكتبُ في بعضِ المواضع، خصوصًا إذا لاحَظْنا أن القرآنَ جاء ليُتمِّمَها، كما أن محمدًا هو خاتمُ الأنبياء»[1].

□ يقول الدكتور عبدالحليم محمود: «ونختمُ الحديثَ عن آراء «الكونت» بهذا الوصفِ الرائعِ لتلك الساعةِ الأليمة التي فارق فيها الرسولُ عالَمنا الدنيويَّ، لِيَلحَقَ بالرفيق الأعلىٰ، ولِينعمَ برِضوانِ اللَّه، إذ يقول: ولَمَّا أَحسَّ بقُربِ الأجل، ذَكَر الفقراءَ، فإنه لم يَرغبْ طُولَ حياتِه في المال،

---

(١) «آفاق جديدة للدعوة الإسلامية» (ص١٢٢ ـ ١٢٤) نقلاً عن «الإسلام سوانح وخواطر» للكونت هنري ترجمة أحمد فتحي زغلول.

بل كان كلَّما جُمع إليه شيءٌ منه أنفقه في الصدقات، وكان قد أَعطىٰ عائشةَ مالاً يسيراً لِتَحفَظَه، فلما حَضَره المرضُ أَمَر بإنفاقه علىٰ المُعوزِين لساعته، وغاب في سِنَةٍ، ولَمَّا أفاق سألها إن كانت أنفذَت أمرَه، فأجابته: «كلاَّ»، فأمر بالنقود وأشار إلىٰ الأُسَرِ المُعوزات، فَوزَّع عليهم، وقال: «الآن استراح قلبي، فإنني كنتُ أخشىٰ أنْ أُلاقِيَ ربِّي وأنا أَملِكُ هذا المال».

وكان في مرضه يَخرجُ كلَّ يومٍ لِيُصلِّيَ الظُّهرَ بالناسِ، وآخِرُ يومٍ خَرَج فيه هو الثامنُ من شهرِ يونية سنة ٦٣٢م، وكانت مِشيتُه مضطربةً، فتوكَّأ علىٰ الفَضلِ بن العباسِ وعليِّ بنِ أبي طالب، وقَصَد مِنبرَ الخطابةِ الذي كان يَعِظُ الناسَ عليه قَبْلَ الصلاة، وحَمِدَ اللَّهَ، وأثنىٰ عليه، ثم خَطب في المسلمين بصوتٍ رفيعٍ سَمِعه مَن كان خارجَ المسجد، فقال: «يا أيها الذين تسمعون قولي، إن كنتُ ضَربتُ أحدَكم علىٰ ظَهرِه، فدونَه ظَهري فلْيَضْرِبْه، وإن كنتُ أسأتُ سُمعةَ أحدٍ فلْينتقمْ مِن سُمعتي، وإن كنتُ سَلبتُ أحدًا مالَه، فإليه مالي يقتصُّ منه، وهو في حِلٍّ من غَضَبي، فإنَّ الغِلَّ بعيدٌ عن قلبي».

ثم نَزَل مِن علىٰ المنبر، وصلَّىٰ بالجماعة، ولَمَّا أراد الانصرافَ أَمسك به رجلٌ مِن إزارِه، وطلب منه ثلاثةَ دراهمَ دَينًا له، فأدَّاها علىٰ الفور قائلاً: «لَخِزيُ الدنيا أهونُ من خِزي الآخرة».

ثم دعا لِمن حارَبَ معه في «أُحُد»، وسأل اللَّهَ لهم الرحمةَ والغفران.

وكان مَشهدُ النبيِّ ﷺ بين المؤمنين في ذاك اليومِ مَشْهَدَ جلالٍ ووقار، والناسُ يَلمَحون علىٰ وجهِه تأثيرَ السُّمِّ الذي شَرِبه من يدِ يهوديةِ خيبر، وقلوبُهم مُنفطِرةٌ من الوَجدِ عليه، ذلك أنه لَمَّا كان في واقعةِ «خيبر» قَدَّمت

إليه يهوديةٌ ـ اسمها «زينب» ـ شاةً مَشْويةً أضافت إليها سُمًّا، فأخذ منه النبيُّ قِطعةً واحدةً بين شفتيه، وأحسَّ بأنها مسمومة، فألقاها، ثم لَمَّا حَضَرَتْه الوفاةُ بعدَ حينٍ، كان يقول: «ما زالت تُعاوِدُني أَكْلَةُ خَيبر».

وكان أبو بكرٍ ﷺ نفسُه يبكي، ويقول للرسول ﷺ: «هلا افتَدَينا رُوحَك بأرواحنا؟».

ثم أوصله الصحابةُ إلىٰ بيتِ عائشةَ ﷺ، واضْطَجَع تَعِبًا مهزولاً، وصار المرضُ يشتدُّ عليه، فتَخلَّف عن الصلاةِ بالمسلمين، وقيل له: «قد جاء وقتُ الظهر»، فأشار إلىٰ أبي بكرٍ لِيُصلِّيَ بالناس، فكان مِن وراءِ هذه الإشارةِ خلافةُ أبي بكر بعد النبي ﷺ.

◻ وأَخبرت عائشةُ ﷺ عن حالةِ الاحتضارِ، فقالت: «كان رأسُ رسولِ اللَّه ﷺ مُسنَدًا علىٰ صدري، وبقُربِه قِدْرُ ماءٍ، وكان يقومُ لِيضعَ فيها يَدَه ويَمسحَ جَبينَه، ويقول: «ربِّ أعنِّي علىٰ تحمُّلِ سَكراتِ الموت، ادْنُ منِّي يا جبريل، ربِّ اغفِرْ لي، واجمَعْ بين أصحابي في السماء»، ثم ثَقُلت رأسُه، ومال ثانيةً إلىٰ صَدري».. !»[1].

* **فارس الخوري اللبناني:**

◻ يرىٰ «فارس الخوري» أنَّ محمَّدًا أعظمُ عظماءِ العالم، إذ يقول: «لم يَجُدِ الدهرُ بعدُ بمثله، والدينُ الذي جاء به أوفىٰ الأديانِ وأكملُها».

◻ ويقول: «إن محمدًا أودَعَ شريعتَه المطهَّرةَ أربعةَ آلافِ مسألةٍ علميةٍ

---

(١) «أوروبا والإسلام» (ص٥٨ ـ ٦٠).

واجتماعيةٍ وتشريعية، ولم يَسَع عُلماءَ القانون المُنصِفين إلاَّ الاعترافُ بفضلِ الشريعة التي دعا الناسَ إليها باسم «اللَّه»، وبأنها متَّفِقةٌ مع العلم، مطابقةٌ لأرقىٰ النُّظُم.

إن محمداً ـ الذي يَحتفِلون به ـ أعظـمُ عظماءِ الأرض ـ سابقِهم ولاحقِهم ـ، فقد استطاع توحيدَ العربِ بعد شتاتهم، وأنشأ منهم أُمةً واحدةً فَتحت العالَمَ المعروفَ يومئذٍ، وجاء لها بأعظمِ ديانةٍ عَيَّنت للناس حُقوقَهم، وواجباتِهم، وأصولَ تعامُلِهم علىٰ أُسسٍ مِن أرقىٰ دساتيرِ العالَم وأكملِها»[1].

* بشارة الخوري اللبناني:

❑ قال صاحب جريدة «البرق» لمناسبة حفلة ذِكري مولدِ الرسول محمد ﷺ ـ نقلاً عن المجلد السابع والعشرين من مجلة «العرفان» ـ: «إنَّ للرسول محمدٍ في عُفنوان شبابه من المعجزاتِ ما يَقِفُ دونَه الفكرُ صاغراً، ولكنْ له ـ وهو في حَداثته ـ ما تَصغُرُ عندَه عَظَمَةُ العظيم، ويَبطُلُ عنده سِحرُ الساحر، إنه وقد أَخرج أُمةً بأسرها من ظُلماتِ الجاهلية إلىٰ أضواءِ المدنيَّة، إنه وقد أبدَلَ معائبَ الجاهليةِ بمحاسنِ الإسلام، إنه وقد أبطَلَ وأدَ البناتِ، وحَرَّم الزنىٰ، ونَقَّىٰ القلوبَ من العداوات، إنه وقد أذلَّ لِسَيْفِه كلَّ سيف، ولعرشه كلَّ عرش، إنه ـ وهو كذلك ـ ليس في عيني أعظمُ منه، وهو الابنُ الناشئُ فقيراً، الدارجُ يتيماً، الحاملُ السَّعْدَ في وجهه، والطُّهْرَ في قلبِه، والأملَ في عينيه، والحكمةَ في شفتيْه».

(١) «آفاق جديدة للدعوة» (ص١٢١).

* **الدكتور شبلي شميّل اللبناني:**

طبيب لبناني شقيق «أمين شميّل»، وُلد سنة ١٨٦٠م، وتُوفِّي سنة ١٩١٧.

❑ كتب إلىٰ صاحب «المنار» ـ كما ورد في المجلد الثالث العدد العاشر منها ـ قال: «أنت تنظرُ إلىٰ محمدٍ [كنبيٍّ] وتجعلُه عظيمًا، وأنا أنظر إليه كرجُلٍ وأجعلُه أعظمَ».

* **الدكتور نظمي لُوقا:**

❑ قال في كتابه «محمد الرسالة والرسول» المطبوع في مصر الطبعة الأولىٰ ١٩٥٩م صفحة (٢٥): «إن موقفَ الناسِ من الوحي واحد، أيًّا كانت الرسالةُ المُوحَىٰ بها والرسولُ المخبِرُ عنها، لم يُطلَبْ مِن رسولٍ قَبْلَ محمدٍ بُرهانٌ عيانيٌّ علىٰ وَحيه كي يطالَبَ به محمد، فمَن اعترف بوحيٍ من السماءِ إلىٰ رسولٍ من البشر، لَزِمَتْه الحُجَّةُ أنْ لا يُنكِرَ نزولَ الوحيِ علىٰ محمدٍ من حيثُ المبدأ، فوجهُ الامتناعِ هنا غيرُ قائمٍ بمبررٍ نزيهٍ، ومِن هنا وَجب النظرُ النزيهُ في رسالةِ محمدٍ، والبحثُ في مضمونها، لنلتمسَ فيها آياتِ الصدقِ التي صَدَّق الناسُ بِمِثلها مَن سَبَقه من المرسلين، ولنرىٰ هل فيها ما يدعو للريْب، ويُبرِّرُ دَمْغَها بالزيف أو الدَّجَلِ أو البطلان.

ذلك هو الحدُّ القوَّامُ الذي لا افتئاتَ فيه علىٰ إنصاف، ولا يَنبغي أن يَحيدَ عنه مَن له في النزاهة مَطْمَع».

❑ وقال صفحة (٨٨) ـ منه: «صَدَق رسولُ الإسلام، وما غادره

صِدقُ الإلهام، وهو القائل: «مَن رأى منكم منكرًا فلْيُغيِّرْه بيده، فإن لم يَستطعْ فبلسانه، فإن لم يَستطعْ فبقلبه ـ وذلك أضعف الإيمان ـ»، أجل ـ يا رسولَ الخير والصِّدقِ والحقِّ، فالناسُ بخيرٍ وحكومتُهم ما بَقِيَ للحقِّ في قلوبهم مكان، وللغَيرةِ علىٰ العَدلِ في قلوبهم الكلمةُ والسلطان».

◻ وقال صفحة (٥٦): «إن رسولَ الإسلام هو أولُ رسولٍ بُعث إلىٰ الناس، وانبَرىٰ لدعوتهم إلىٰ دينه، مِن غير مَدَدٍ من المعجزاتِ الخاطفةِ للأبصار الخالبةِ للألباب، فقد أُريد للناس أن يَشعُروا أن رسولَهم مِثلُهم حقًّا وصِدقًا ـ كما جاء في سورة «الكهف» ـ، لا يَملِكُ من الخوارقِ أكثرَ مما يَملِكون، وليس له مِن سلطانٍ عليهم، وإنما الأمر إليهم».

◻ وقال صفحة (٩٧): «وليس التنظيمُ الإسلاميُّ لأُمورِ الدنيا بنظامٍ مُقفَلٍ جامد، بل هو التنظيمُ الجوهريُّ الذي لُبابُه قولُ صاحب الرسالة الكريم: «لا ضررَ ولا ضرار»، و«أنتم أعلمُ بأمورِ دُنياكم»، فما لم يَرِدْ فيه نصٌّ بتحريمٍ لسببٍ من أسبابِ العقيدةِ الروحيةِ، فلا بأسَ علىٰ الناس فيه، ما لم يكن فيه ضررٌ لصاحبه، أو إضرارٌ بسواه.

خُلقٌ كريم، وإيثارٌ، ونجدةٌ ابتغاءَ وجهِ اللّه واتقاءً لغضبه في معاملةِ الناس، وإصلاحٌ لحال الدنيا من غيرِ إضرارٍ بالناس، وحِرصٌ علىٰ مصالحِ الجماعة، وتعاوُنٌ علىٰ البرِّ والتقوىٰ، وترفُّعٌ عن التَّرَفِ والإسرافِ في البَذَخ، حتىٰ لا تَستسلِمَ الروحُ لشهوات الجسد، فذلك هو النموذجُ الكاملُ للإنسان».

❑ وقال صفحة ١٠٧: «فإذا نظرنا إلىٰ الرسالة الإسلامية، وجدناها أبعدَ ما تكون عن شُبهةِ تَعلُّقِ الشهوات، أو إباحةِ الأهواء، أو رِشوةِ المنافع.

كان العربُ في الجاهلية أهلَ إباحة، لا رادعَ لهم ولا وازع، قَصْفهم مُجون، ولَهوُهم فجور، وحياتُهم عدوان، وكَسبُهم سُحْت، ولَيلُهم خَمرٌ وميسر، فكيف يقالُ [ما يُقال] عن دينٍ اقتَلَع جُذورَ هذا كلِّه، ووَضع الحدودَ لكلِّ وجهٍ من وجوهِ النشاط البشري؟! إنْ لم يكن هذا الدينَ والتنظيمَ والسموَّ، فما عسىٰ أن يكون؟!».

*** الشاعر بولس سلامة اللبناني:**

❑ قال في مقدمة ملحمته المعروفهِ باسم «ملحمة الغدير» - صفحة (٢٤) -: «إن العروبةَ المستيقظةَ اليومَ في صُدورِ أبنائها من المغربِ الأقصىٰ إلىٰ جزيرة العرب، لأَحوجُ ما تكونُ إلىٰ التمثُّلِ بأبطالها الغابرين، وهم كثيرون، علىٰ أنه لم يَجتمعْ لواحدٍ منهم ما اجتَمع لعليٍّ من بطولةٍ وعِلمٍ وصلاح، ولم يَقُمْ في وجهِ الظالمين أشجعُ من الحُسين، فقد عاش الأبُ للحقِّ، وجَرَّد سَيفَه للدفاعِ عنه، واستُشهد الابنُ في سبيلِ الحُرية يومَ «كربلاء»، ولا غَرْوَ، فالأولُ ربيبُ محمدٍ، والثاني فَلْذَةٌ منه».

❑ وقال صفحة (٢٦): «مسيحيٌّ يَنحني أمامَ عظمةِ رجلٍ يَهتفُ باسمه مئاتُ الملايين من الناس في مشارقِ الأرض ومغاربها خمسَ مراتٍ كلَّ يوم، رجلٌ ليس في مواليد حَوَّاءَ أعظمُ منه قَدْرًا وأخلَدُ ذِكرًا وأبعدُ أثرًا، رجلٌ أطلَّ من غياهبِ الجاهليةِ، فأطَلَّتْ معه دنيًا أظلَّها بلِواءٍ مَجيد، كَتب عليه بأحرُفٍ من نور: لا إلهَ إلاَّ اللَّه، اللَّه أكبر».

☐ وقال في «ملحمته» المشهورة صفحة (٤٧) ـ تحت عنوان «مولد محمد» ـ:

مَن تُرى ذلك الصبيُّ الذي إنْ ... ذَرَّ دَمْعًا فالجوُّ في إعطاء؟
مَبْسَمٌ من لآلئِ الفجرِ أنقى ... وجبينٌ كالنَّجمةِ الغرَّاءِ

☐ إلى أن قال:

هلَّ يومٌ في صفحةِ الدهرِ فذٌّ ... طيِّبُ الفَوحِ رافلٌ بالبهاءِ
لم يَشُبْ ذلك النهارَ مساءٌ ... فهو يومٌ مُسْتمرُ الأضواءِ
وانزوى الليلُ خاشعًا كيتيمٍ ... ضَيَّعته مباهجُ الأغنياءِ
أرهفَ الكونُ سَمْعَه وتَمشَّت ... في الجمادات نَشوةُ الصهباءِ
واستفاقت جزيرةُ العُرْبِ حَيرى ... «فمَناة» و«اللاتُ» في الدقعاءِ
أخرسَ الناسَ خَطبُها فتبارَوا ... في استلامِ الآلهة الصماءِ
أين «ودٌّ» وأين بطش «سُواعٍ» ... كان ذاك النذيرُ بَدْءَ انتهاءٍ
وتوالت في أرضِ فارسَ أرزا ... ءٌ جسامٌ فنارُها في انطفاءِ
وارتجاسُ الإيوانِ هزَّ قلوبَ الفُر ... سِ هزَّ السَّنابِلِ العَجْفاءِ
تُحفةُ العالَمِ القديمِ ومَجدُ الـ ... ـعَينِ والفنِّ والعُلى والبناءِ
إنْ تداعى فشمسُ كسرى كَسُوفٌ ... مؤذنٌ بالنهايةِ السوداءِ
حُلْمُ الموبذانِ بالنورِ يَجري ... والصحاري مَرُعَةٌ بالرُّغاءِ
والخيولُ العرابُ سَيلٌ أتى ... ضابحات في مَسْمَعِ الزَّوراءِ
أجفلَ السُّورُ في المدائن خوفًا ... من صَهيلِ السوابحِ الجَرْداءِ
وإذا الفُرسُ والمدائنُ صرعى ... في مجالِ السنابكِ الحمراءِ

***

حُسب الرملُ ذلك اليومَ تِبْرًا ... يُنبتُ الحُلْمَ في عيونِ الرائي

فسهولُ الحجاز بحرٌ نُضارٌ ... من نثيرِ السبائكِ الصفراءِ

ضَحك السَّبْسَبُ الخليُّ وشَقَّت ... أَنْمُلُ الوردِ صفحةَ الدهناءِ

ذاك عُرسُ الدنيا ولا غَرْوَ أنْ ... بَثَّتْ صلاها ونمنمت في الكساءِ

رَحَّبت بالوليدِ جاء يتيمًا ... فهو والفقرُ توأمٌ في رداءِ

يا فقيرًا ودونَه الشمسُ عزًّا ... سوف تعلُو مناكبَ الجَوزاءِ

خَلْفَك النسرُ والسُّها والثريَّا ... سائراتٌ في الركبِ سَيْرَ الإماءِ

فقرُ كَفٍّ والنَّفسُ كَنزٌ خَلودٌ ... هكذا كان مولدَ الأنبياءِ

***

❑ وقال فيها (ص٥٤) تحت عنوان «البعثة»:

وأَشبَّ الغلامُ فامتدَّ صِيتًا ... كامتداد الشُّعاعِ في الدَّيجورِ

طَبعُه الصدقُ والأمانةُ فالآ ... راءُ تَهدي هَدْيَ الصباحِ المنيرِ

واصطفته خديجةُ لاتِّجارٍ ... عاد منه والربحُ فَيضُ بُحُورِ

فاصطفته لنفسها فحَبَاها ... شَرَفًا أن تكونَ فوقَ الحُورِ

كلَّ عامٍ يرتادُ غارَ حراءِ ... مُفعَمَ الروحِ مُلهَمَ التفكيرِ

يُرسلُ الطرْفَ في السماءِ كلامًا ... ليس تجلُوه صَنعةُ التعبيرِ

ذلك الصمتُ دونَه جهرُ موسى ... بالدعاءِ الحميمِ فوقَ الطُّورِ

فالصلاةُ الصلاةُ خفقةُ قلبٍ ... وهُيامٌ مُغلغَلٌ في الشعورِ

قال عيسى مُلكُ الإله لديكم ... لو نَبَشتم عن كَنزِه في الصدورِ

***

هذا الكونُ وامَّحى الصوتُ حتى   لَتُحسَّ الآذانُ هَمْسَ العصورِ
وإذا صوتُ هاتفٍ يهتفُ: «اقرأ»   فيردُّ الصَّـدى نـداءَ البشيرِ
فتـهـادى محمـدٌ وتمشَّت   في حنايـاه رِعشـةُ المَقـرورِ
قال جبريل: يا محمدُ كبِّـر   باسمِ ربٍّ ملْءَ الوجودِ قديرِ
صفحةُ الكونِ بَدَّلت في ثوان   بين مرآتها ضميرَ الدهـورِ
فإذا أحمـدُ العظيـمُ نبـيٌّ   والمجيدُ القرآنُ حُلمُ العصورِ

* صموئيل زويمر الإنكليزي:

البروتستانتيُّ الإنكليزي المبشِّرُ، وهو مستشرقٌ، محرِّرُ مجلة «عالم الإسلام» الإنكليزية، له مؤلفاتٌ ذاتُ شأنٍ في العلاقات بين الإسلام والمسيحية، منها: «يسوع في «إحياء» الغزَّالي».. تُوفي في بلدته «ليدس» ١٩١٤.

◻ قال - وهو من أشدِّ الناسِ عداوةً للنبي ﷺ - في كتابه «يسوع في «إحياء» الغزَّالي»: «إن عبقريةَ محمدٍ هي السببُ في نجاحِه واستطارةِ شأنِه، يُضافُ إلى هذا كلِّه معرفتُه العظيمةُ بالدياناتِ في عصرِه، وقُوَّتُه في اجتذاب القلوبِ إليه، ومقدرتُه في الإدارة والحرب، ولباقتُه في السياسةِ الفائقة، لم يَكَدْ يَقْدِرُ على البرِّ وإسداءِ المعرفةِ وإظهارِ شكرِه للنعمة واعترافِه بالجميلِ حتى ضَرَبَ للناس في ذلك أروعَ الأمثال».

* المسيو ديسون الألماني:

وُلد في مدينة «كولونيا» عام ١٨١٧، ولم نعثُرْ على تاريخ وفاته.

◻ قال في كتابه «الحياة والشرائع»: «وليس يَزعمُ أحدٌ اليومَ أن محمداً

راح يُزوِّرُ دينًا، وأنه كاذبٌ في دعواه وأفَّاكٌ في دعوته، إذا عَرَف محمداً ودَرَس سيرتَه، وأشرف على ما يتمتَّعُ به دينُه من تشريعاتٍ تَصلُحُ أن تَظَلَّ مع الزمن مهما طال، وكلُّ مَن يكتبُ عن محمدٍ ودينِه ما لا يجوز، فإنما هو من قِلَّةِ التدبُّرِ وضَعفِ الاطلاع».

*** برتلمي سانت هليار السويسري:**

أستاذ الفلسفة الإغريقية في «كوليج دي فرانس»، وقد وُلد عام ١٨٠٧، وتوفي ١٨٧٣.

❑ قال في كتابه «مع الشرق»: «لقد كان محمدٌ أذكى العربِ في عهدِه، وأكثرَهم تقوىً ودينًا، وأرحَبَهم صدراً، وأرفقَهم بأعدائهِ وخصومِ دِينه، وما استقامت إمبراطوريتُه إلاَّ بسبب تفوُّقه على رجالِ عصره، وأما الدينُ الذي راح يدعو إليه، فقد كان خيراً كثيراً على الشعوب التي اعتنقته وآمنت به».

*** القَسُّ لوازون الفرنسي:**

❑ قال في إحدى محاضراته: «وآخِرُ جميعِ الأنبياء ـ كما يعتقد المسلمون ـ هو محمدٌ الذي وُلد في مكة لعشرِ ليالٍ مَضَت من أبريلَ سنة ٥٧٠ للميلاد، وكانت عائلتُه أشرفَ عائلةٍ في قريش، وهي إحدى القبائلِ الشهيرة في بلادِ العرب، وصاحبُ النسب المرتقي إلى إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليل، وقد كان جَدُّه متولِّيًا سَدَانةَ الكعبة، وكانت دارَ حكومتهم، ومَعبَدَ ديانةِ العرب الوثنية، وتُوفِّي والدُه عبدالله قبلَ ولادته، وتُوفِّيت أُمُّه وهو ابنُ ستَّةِ أشهرُ، وكان على أعظمِ ما يكونُ من كريمِ الطِّباعِ، وشريفِ

الأخلاق، ومنتهىٰ الحياء، وشدَّةِ الإحساس، وقد كَفَله عمُه وهو ابنُ ستٍّ سنواتٍ، وأثناءَ كَفالتِه بدأت تظهرُ من محمدٍ علاماتُ الذكاء ورَجاحةُ العقلِ، ومرَّ بصِبيانٍ يلعبون، فدَعَوه للَّعِبِ معهم، فأجابهم: «إن الإنسانَ خُلق للأعمال الجليلة، والمقاصدِ الشريفة، لا للأعمالِ السافلةِ والأمورِ الباطلة»، وكان علىٰ خُلقٍ عظيم، وشِيَمٍ مَرضيَّة، شَفُوقًا علىٰ الأطفال، مطبوعًا علىٰ الإحسان، غيرَ مُتمشدِقٍ في نفسه، ولا صَلِفٍ في معاملته مع الناس، وكان حائزًا قوةَ إدراكٍ عجيبة، وذكاءً مُفرِطًا، وعواطفَ رقيقةً شريفة»[1] .

❑ وقال في كتابه «الشرق» (ص٦١): «إنَّ محمداً ـ بلا التباسٍ ولا نُكران ـ كان من النبيين والصِّدِّيقين، وهو رسولُ اللَّه القادرِ علىٰ كلِّ شيء، بل إنه نبيٌّ جليلُ القَدْر، ومهما تحدَّثْنا عنه، فليس بالكثير في حقِّه، لأنه جاء إلىٰ العالَم بدينٍ جَمَع فيه كلَّ ما يَصلُحُ للحياة».

* **چورچ سيمون:**

❑ قال: «إنَّ محمداً قد رَفع أعلامَ التمدُّن».

* **اللورد هيدلي وإسلامه:**

❑ قال الشيخ الدكتور عبدالحليم محمود شيخ الأزهر: «كان لإسلام اللورد «هيدلي» ضجَّةٌ كبيرة ـ لمركزه، ولِمَا يَعلمُه فيه عارفوه من نُضجٍ في التفكير، وتَروٍّ في الأمور ـ، وحينما أراد الحجَّ مرَّ بالإسكندرية، فأقام له أهالي الثغرِ حَفلةً كُبرىٰ وُضعت تحت رعايةِ الأمير السابق «عمر طوسون»

(١) نقلاً عن مجلة «المقتطف» ـ المجلد الرابع ـ العدد السابع.

الذي ألقىٰ كلمةً حيًّا فيها الضيفَ الكريمَ، ابتدأها بقوله: «مرحبًا مرحبًا وأهلاً وسهلاً، لقد خَفَّت مصرُ إلىٰ استقبالكم، وابتهجت بمقدَمِكم الكريم، وكان سُرورُها بذلك عظيمًا، حتىٰ لقد تمنَّت كلُّ مدينةٍ أن تسعىٰ بأهلِها إليكم، أو يكونَ لكم مُتَّسَعٌ من الوقتِ لزيارتها، فتقومُ بما يجبُ لكم من الإجلالِ والإعظام، والترحيبِ والإكرام».

وكانت الحفلةُ برئاسةِ صاحب الفضيلة الشيخ «عبدالغني محمود» شيخِ علماء الإسكندرية».

*** كيف أسلم اللورد «هيدلي»؟.**

ما هي العواملُ التي دَعَتْه إلىٰ اعتناق الإسلام؟.

إننا في الصفحاتِ التاليةِ سنذكرُ جُملةً من النصوص تُرشِدُ القارئَ إلىٰ سبب رفضِه المسيحيةَ وإلىٰ سببِ إسلامه، وإلىٰ تصوُّره لكثيرٍ من وجهاتِ النظر الإسلامية.

□ يقول اللورد: «عندما كنتُ أقضي ـ أنا نفسي ـ الزمنَ الطويلَ من حياتي الأولىٰ في جوِّ المسيحية، كنت أشعُرُ دائمًا أن الدينَ الإسلامي به الحُسنُ والسهولةُ، وأنه خِلْوٌ من عقائِدِ الرومانِ والبروتستانت.

وثَبَّتني في هذا الاعتقاد زيارتي للشرقِ التي أعقَبَت ذلك، ودراستي للقرآن المجيد».

له اللَّه.. لكم تألَّم وقاسىٰ في سبيلِ وصوله إلىٰ الحق.

□ استمعْ إليه يقول: «فكَّرتُ وصلَّيتُ أربعينَ سنةً، كي أصلَ إلىٰ حَلٍّ صحيح، ويجبُ عليَّ أن أعترفَ أيضًا أن زيارتي للشرق ملأتني احترامًا

عظيمًا للدين المحمديِّ السَّلِسِ الذي يَجعلُ الإنسانَ يَعبدُ اللَّهَ حقيقةً طُولَ مُدَّةِ الحياة، لا في أيامِ الآحاد فقط».

◻ ويرىٰ أن الإسلامَ هو الدينُ العالَميُّ حقًّا، إذ يقول: «أيُمكنُ إذن أن يوجَدَ دينٌ يُمكِّنُ العالَمَ الإنسانيَّ من أن يُجمعَ أمرَه علىٰ عبادةِ اللَّه الواحدِ الحقيقي - الذي هو فوقَ الجميع وأمامَ الجميعِ - بطريقةٍ سهلةٍ خاليةٍ من الحشو والتلبيك؟.

فكِّرْ لحظةً - وذلك تفكيرٌ لازمٌ لكمالِ البشر في الحقيقة -، إنه إذا أصبح كلُّ فردٍ في الإمبراطوريةِ الإنجليزيةِ محمديًّا حقيقيًّا - بقلبه ورُوحه -، أصبحت إدارةُ الأحكامِ أسهلَ من ذلك؛ لأن الناسَ سيُقادون بدينٍ حقيقي».

◻ وها هو ذا يُعبِّرُ عن الشكرِ حينما هداه اللَّه: «رُوحُ الشكرِ هي خلاصةُ الدينِ الإسلامي، والابتهالُ أصلٌ في طلب الهداية والإرشاد من اللَّه.

إنه - وإن كان شُكري للَّهِ علىٰ كَرَمِهِ وعنايتِه كان متأصِّلاً فيَّ من صِغَري وأيامِ حداثتي -، فإنني لا أستطيعُ أن أشاهِدَ ذلك من خلال السنينَ القليلةِ الماضية، التي قَرَعَ فيها الدينُ الإسلاميُّ لُبِّي حقًّا، وتَملَّك رُشدي صِدقًا، وأقنعني نقاؤُه، وأصبح حقيقةً راسخةً في عقلي وفؤادي، إذِ التقيتُ بسعادةٍ وطمأنينةٍ ما رأيتُهما قطُّ مِن قبلُ، كما أستنشقُ هَواءَ البحرِ الخالصَ النقيَّ، وبتحقُّقي من سلاسةِ وضياءِ وعَظمةِ الإسلام ومَجْدِه، أصبحتُ كرجلٍ فَرَّ من سِرداب مُظلِمٍ إلىٰ فسيحٍ من الأرضِ تُضيؤُه شمسُ النهار».

□ ومما يَذكرُ من تعاليم الإسلام مُشيداً به: «ليس هناك في الإسلام إلاَّ إلهٌ واحد، نَعبدُه ونَتْبَعُه، إنه أمامَ الجميع، وفوقَ الجميع، وليس هناك قُدُّوسٌ آخَرُ نُشرِكُه معه، إنه لَمِنَ المُدهِشِ حقًّا أن تكونَ المخلوقاتُ البشريةُ ذواتُ العقول والألباب على هذا القَدْرِ من الغَباوةِ، فيسمحون للمعتقَداتِ والحِيَلِ الكهنوتيةِ أن تَحجُبَ عن نظرِهم رؤيةَ السماء، رؤيةَ ربِّهمُ القَهَّار، المتَّصِلِ دومًا بكلِّ مخلوقاتِه، سواءٌ كانوا عاديِّين، أو أولياءَ مقدَّسين.

مفتاحُ السماء موجودٌ دائمًا في مكانه، ويُمكنُ إدارتُه بأذلِّ وأقلِّ المخلوقاتِ دون أيَّةِ مساعدةٍ من نبيٍّ أو كاهنٍ أو مَلَكٍ، إنه كالهواء الذي نَستنشقُه مجانًا لكلِّ خَلقِ اللَّه.

أما هؤلاء الذين يَجعلونَ الناسَ يَفهمون غيرَ ذلك، ما دعاهم إلى هذا العملِ إلاَّ حبُّ الفائدة.

ليس غَرضي الرئيسيُّ أن أُهاجمَ أيَّ فرعٍ معيَّنٍ من فُروع الديانة المسيحية، لأُبيِّنَ جلالَ وسلاسةَ الديانةِ الإسلامية ـ التي هي خاليةٌ في نظرِ الكاتبِ المُنصِفِ من العوائقِ الظاهرةِ ـ جليًّا في كثيرٍ من الديانات الأخرىٰ».

□ ولقد افترىٰ كثيرون على الإسلام، وها هو ذا يَردُّ على افتراءاتهم: «ليس في وُسعِ الإنسان في الحقيقةِ إلاَّ أن يَعتقدَ أنَّ مُدبِّجي وناسِجي هذه الافتراءاتِ، لم يتعلَّموا، حتى ولا أولَ مبادِئِ دينِهم، وإلاَّ لَمَا استطاعوا أن يَنشُروا في جميع أنحاء العالم تقاريرَ معروفٌ لديهم أنها مَحضُ كذبٍ واختلاق.

إنَّ تعاليمَ القرآنِ الكريم قد نُفِّذت ومُورست في حياة محمدٍ الذي ـ سواءٌ في أيامِ تَحمُّله الألمَ والاضطهادَ، أم في زمنِ انتصارِه ونجاحِه ـ أظهرَ أشرفَ الصفاتِ الخُلقيةِ التي لا يَتسنَّىٰ لمخلوقٍ آخرَ إظهارُها.

فكلُّ صفاتِ الصبرِ والثباتِ في عصرِه كانت تُرىٰ في أثناء الثلاثَ عَشْرَةَ سنةً التي تألَّمَها في مُجاهداته الأولىٰ بمكة، ولم يَشعُرْ في كلِّ زمن هذا الجهادِ بأيِّ تزعزُعٍ في الثقةِ باللَّه، وأتمَّ كلَّ واجباته بشَمَمٍ وحَمِيَّة.

كان ﷺ مثابِراً، ولا يَخشىٰ أعداءَه؛ لأنه كان يَعلمُ بأنه مكلَّفٌ بهذه المأمورية مِن قِبَلِ اللَّه، ومَن كَلَّفه بهذا العمل لن يَتخلَّىٰ عنه.

لقد أثَّرت تلك الشجاعةُ التي لا تَعرفُ الجُفولَ ـ تلك الشجاعةُ التي كانت حقًّا إحدىٰ مميِّزاتِه وأوصافِه العظيمة ـ إعجابَ واحترامَ الكافرين، وأولئك الذين كانوا يَشْتَهون قَتْلَه.. ومع ذلك فقد انتبهت مشاعرُنا وازدادَ إعجابُنا به بعد ذلك في حياتِه الأخيرة، أيامَ انتصارِه بالمدينة، عندما كانت له القوةُ والقُدرةُ علىٰ الانتقامِ واستطاعتُه الأخذَ بالثأرِ ولم يفعل، بل عفا عن كلِّ أعدائه.

العفوُ والإحسانُ والشجاعة، ومِثلُ هاتيكَ الصفات، كانت تُرىٰ منه في كلِّ تلك المُدَّة، حتىٰ إنَّ عدداً عظيماً من الكافرين اهتَدَوا إلىٰ الإسلامِ عند رؤية ذلك.

عفَا بلا قَيدٍ ولا شَرطٍ عن كلِّ هؤلاء الذين اضْطَهَدوه وعَذَّبوه، آوىٰ إليه كلَّ الذين كانوا قد نَفَوه من مكة، وأغنىٰ فقراءَهم، وعَفَا عن ألدِّ أعدائه، عندما كانت حياتُهم في قبضةِ يَدِه وتحتَ رحمته.

تلك الأخلاقُ الربانيةُ التي أظهَرَها النبيُّ الكريمُ، أقنَعت العربَ بأن حائزَها يجبُ ألاَّ يكونَ إلاَّ مِن عندِ اللَّه، وأن يكونَ رجلاً على الصراطِ المستقيم حقًّا، وكراهيتُهم المتأصِّلةُ في نفوسهم حوَّلتها تلك الأخلاقُ الشريفةُ إلى مَحبَّةٍ وصداقةٍ متينة».

◻ محمدٌ المَثَلُ الكامل: «نحن نعتبرُ أن نبيَّ بلادِ العربِ الكريمَ ذو أخلاقٍ متينة، وشخصيةٍ حقيقةٍ وُزِنَت واختُبرت في كلِّ خُطوةٍ من خُطَى حياته، ولم يُرَ فيها أقلُّ نقصٍ أبدًا.

وبما أننا في احتياجٍ إلى نموذجٍ كاملٍ يَفي بحاجاتِنا في خُطواتِ الحياة، فحياةُ النبيِّ المُقدَّسِ تَسُدُّ تلك الحاجة.

حياةُ محمدٍ كمرآةٍ أمامنا تَعكِسُ علينا التعقُّلَ الراقيَ، والسخاءَ والكرمَ، والشجاعةَ والإقدام، والصبرَ والحِلمَ، والوداعةَ والعَفْوَ، وباقيَ الأخلاق الجوهريةِ التي تُكوِّنُ الإنسانية، ونرى ذلك فيها بألوانٍ وَضَّاءة.. خُذْ أيَّ وجهٍ من وجوهِ الآدابِ وأنت تتأكَّدُ أنك تَجِدُه موضَّحًا في إحدى حوادثِ حياته.

ومحمدٌ وَصَلَ إلى أعظمِ قوةٍ، وأتى إليه مُقاوِموه، ووَجدوا منه شَفقةً لا تُجَارَى، وكان ذلك سببًا في هدايتهم ونقائهم في الحياة».

رَحِمَ اللَّه اللورد «هيدلي»، وجزاه عن الإسلام خير الجزاء[1].

* چون وانتبورت السويسري:

وُلِد في مدينة «لوزان» سنة ١٧٩٥م، وتُوفِّي سنة ١٨٦٣م.

---

(١) «أوروبا والإسلام» (ص٦٧ - ٧٢).

❑ قال في كتابه «محمد والقرآن»: «بقَدرِ ما نرىٰ صفةَ محمدٍ الحقيقيةَ بعين البصيرة والتروِّي في المصادر التاريخية الصحيحة، بقَدْرِ ما نرىٰ مِن ضَعفِ البُرهانِ وسُقوطِ الأدلةِ لتأييدِ أقوالِ الهَجْوِ الشديدِ والطعنِ القبيح الذي اندفن علىٰ رأسه وانهار عليه من أفواهِ المُغرضين والذين جَهِلوا حقيقةَ محمدٍ ومكانتَه، ذلك الرجلُ العظيمُ عند كلِّ مَن دَرَس صفاتِه العظيمةَ، كيف لا، وقد جاء بشرعٍ لا يَسَعُنا أن نتَّهِمَه فيه؟!».

*** البرنس كاتيان الإيطالي:**

❑ قال في كتابه «أديان العرب» (ص٣٤): «إن مَزِيَّةَ محمدٍ هي كفاءتُه العجيبةُ كسياسيٍّ محنَّكٍ أكثَرَ منه كنبيٍّ موحًىٰ إليه!! وليس في وُسعِ أحدٍ فَهِمَ محمدًا أن يَحُطَّ مِن كرامته، ومَن فعل ذلك فقد ظَلَم نفسَه وظَلم محمدًا».

*** العلاَّمة كارل ماكس الألماني:**

ولد العلاَّمة «كارل ماكس» في «تريف» بألمانيا ١٨١٧، توفي ١٨٨٣، من رجال السياسة والفلسفة الاجتماعية، ومحرِّر «البيان الشيوعي».

❑ قال في كتابه «الحياة»: «إن الرجلَ العربيَّ الذي أدرك خطايا المسيحيةِ واليهودية، وقام بهمةٍ لا تخلو من الخطرِ بين أقوامٍ مُشرِكين يَعبُدون الأصنام، يدعُوهم إلىٰ التوحيد، ويَزرعُ فيهم أبَدِيَّةَ الروح، ليس من حقِّه أن يُعدَّ بين صفوفِ رجالِ التاريخ العِظامِ فقط، بل جَديرٌ بنا أن نعترفَ بنُبوَّته، وأنه رسولُ السماء إلىٰ الأرض».

ومن ألمانيا

* **الشاعر المعروف جايتي الألماني:**

□ قال في كتابه «الإسلام» (ص٦٧) بعد تِعدادِ ما جاء به الإسلام: «إذا كان ذلك هو الإسلام، فَكُلُّنا إذًا مسلمون، نعم كلُّ مَن كان فاضلاً شريفَ الخُلُقِ فهو مسلم، ألاَ إنَّ دينَ محمدٍ كلُّه إخلاصٌ ودينُ اجتماعٍ وأخلاقٍ ورعايةٍ لبني الإنسان، فإذًا يمتازُ شرعُ محمدٍ ودينُه عن غيره».

* **الكاتب الشهير دريترسي الألماني:**

وُلِد في «برلين» ١٨٢١م، وتُوفِّي ١٨٨٨م، مستشرقٌ ألماني.

□ قال: «إنَّ علومَ الطبيعةِ والفَلَكِ والفلسفةِ والرياضياتِ التي أَنْعَشَتْ أوروبا في القرن العاشرِ للميلاد مُقتبسةٌ من قرآنِ محمد، بل إن أوروبا مَدِينةٌ للإسلام الذي جاء به محمد».

□ وقال: «إننا لو أنصفنا الإسلامَ، لاتَّبَعْنا ما عنده من تعاليمَ وأحكام، لأن الكثيرَ منها ليس في غيره، وقد زاده محمدٌ نموًّا وعَظَمةً، بحُسنِ عنايتِه وعظيمِ إرادته، ويَظهرُ من محمدٍ أن دعوتَه لهذا الدينِ لم تكن إلاَّ عن سببٍ سماويٍّ. إننا نقول هذا لو أنصفناه فيما دعا إليه ونادىٰ به، وإنَّ مَن اتَّهم محمداً بالكذب، فليتَّهم نفسَه بالوَهْن والبلادةِ وعدمِ الوقوفِ علىٰ ما صَدَع به من حقائق».

* **الهر ماركوس الألماني:**

دكتور بالفلسفة، وُلد في «تريف» عام ١٨١٨، وتوفِّي عام ١٨٨٤، محرِّر «البيان الشيوعي»، ومن رجال السياسةِ والفلسفة.

□ قال في محاضرةٍ له ألقاها عام ١٨٧٢ نقلتها عنه مجلة «المقتطف» المصرية المجلد الخامس منها: «تعالَوا إلىٰ كلمةٍ سواءٍ بيننا نُنصِفْ بها الإسلامَ الحنيفَ، ونَبيَّه العظيمَ محمداً، ولْنَجعلْ موضوعَنا اليومَ «الحكومة الإسلامية في صدر الإسلام»، ولْنستعرضْ تنظيماتِها في عهدِ سيِّدِها وقائدِها وزعيمِها ذلك الرسولِ الكريم، لنبيِّنَ أن الصحابةَ والخُلفاءَ الراشدين وقادةَ الإسلام كانوا يقُومون بواجباتهم بكلِّ أمانةٍ ودقَّةٍ، وفقًا للشريعة الغرَّاء التي جاء بها محمدٌ، لم يكنْ في فجرِ الإسلام شِيَعٌ ولا أحزاب، بل علىٰ العكسِ من ذلك، كانت الحكومةُ الإسلاميةُ تُمثِّلُ جَميعَ لمسلمين تمثيلاً صحيحًا، وهي عبارةٌ عن هيئةٍ منظَّمةٍ مشتَرَكة، تَنطقُ بحقٍّ بلسان كافةِ المسلمين، كلُّ مسلمٍ يَشُدُّ أَزْرَ أخيه المسلم، وكان عَدلُ محمدٍ منتشراً بين المسلمين، بحيث كان المسلمُ الواحدُ مطمئنًا إذا كان هو رافلاً في بُحبوحةٍ من العَيش، وهناءِ بالٍ، ولم يكن مُخطئًا في ذلك، بل كان هذا هو الحقَّ الواقع».

□ إلىٰ أن قال: «وهذه البدعةُ التي اشتَرَعها محمدٌ، كانت بمثابةِ يُنبوعٍ فيَّاضٍ يَكفُلُ حاجةَ المسلمِ الفقير، فيتناولُ نصيبَه من بيتِ المال بانتظامٍ، وفي ذلك مساعدةٌ عظمىٰ لأمته».

*** العلامة برتلي سانت هيلر الألماني:**

مستشرقٌ ألماني، ولد في «درسدن» ١٧٩٣، وتُوفي ١٨٨٤.

□ قال في كتابه «الشرقيون وعقائدهم»: «كان محمدٌ رئيسًا للدولة، وساهرًا علىٰ حياةِ الشعبِ وحُرِّيته، وكان يعاقِبُ الأشخاصَ الذين

يَجترِحون الجنايات حَسبَ أحوالِ زمانه وأحوالِ تلك الجماعاتِ الوحشية التي كان يَعيشُ النبيُّ بين ظَهرانَيها، فكان النبيُّ داعيًا إلىٰ ديانة الإلهِ الواحد، وكان في دعوته هذه لطيفًا ورحيمًا، حتىٰ مع أعدائِه، وإنَّ في شخصيتِه صِفَتَينِ هما من أجلِّ الصفاتِ التي تَحمِلُها النفسُ البشريةُ، وهما العدالةُ والرحمة».

*** الدكتور تيودور نولدكه الألماني:**

☐ هو من مشاهير المستشرقين الألمان، وُلد في «همبورغ» عاصمة ألمانيا التجارية عام ١٨٣٦، وتُوفي ١٩٢٠، اشتَغل في اللغاتِ السُّريانيةِ والفارسيةِ والعربية. . له «تاريخ القرآن»، قال فيه، (ص٨٣): «نزل القرآنُ علىٰ محمدٍ نبيِّ المسلمين -بل نبيِّ العالَم-؛ لأنه جاء بدينٍ إلىٰ العالَم عظيم، وبشريعةٍ كلُّها آدابٌ وتعاليمُ، وحَرِيٌّ بنا أن نُنصِفَ محمداً في الحديثِ عنه؛ لأننا لم نقرأْ عنه إلاَّ كلَّ صفاتِ الكمالِ، فكان جديراً بالتكريم».

*** العلامة كارل هينرش بكر الألماني:**

مستشرق ألماني، وُلد في بلدته «لا كازا» من ألمانيا الغربية عام ١٨٧٦، وتُوفي ١٩٣٧، له عِدَّةُ مؤلَّفاتٍ، وهو المؤسِّسُ لمجلة «العالم الإسلامي»، وكان يُفضِّلُ الأدبَ الإسلاميَّ علىٰ الأدب المسيحي.

☐ قال في كتابه «الشرقيون»: «لقد أخطأ مَن قال: إن نبيَّ العرب دَجَّالٌ أو ساحرٌ؛ لأنه لم يَفهم مَبدأَه السامي، إنَّ محمداً جديرٌ بالتقدير، ومبدؤه حَرِيٌّ بالاتباع، وليس لنا أن نحكمَ قبلَ أن نَعلم، وإن محمداً خيرُ رجلٍ جاء إلىٰ العالَمِ بدينِ الهدىٰ والكمال، كما أننا لا نرىٰ أن الديانةَ

الإسلامية بعيدةٌ عن الديانة المسيحية».

* ويلكي كولنز الألماني:

◻ الرُّوائي المعروفُ. . قال في كتابه «جوهرة القمر»: «لقد جاء محمدٌ بصيانةِ النساءِ وحَثِّهِنَّ علىٰ العفاف، وحَذَّر من السير علىٰ خلافِهما، مُشيراً إلىٰ ما في هذين من النقصِ والخِسَّة، وكم لِمِثْلِ هذا من نظيرٍ في شريعته السامية».

* القَسُّ ميشون الألماني:

◻ قال في كتابه «سياحة دينية في الشرق» (ص٣١): «إنه لَمِنَ المُحزنِ أن يتلقَّىٰ المسيحيون عن المسلمين رُوحَ التعاملِ وفضائلَ حُسنِ المعاملة، وهما أقدسُ قواعِدِ الرحمةِ والإحسانِ عند الشعوبِ والأمم، كلُّ ذلك بفضلِ تعاليم نبيِّهم محمد».

* شاعر ألمانيا الكبير «جوته» (١٧٤٩ ـ ١٨٣٢):

◻ مَرَّ بنا سابقًا ما قاله «جوته» عن القرآن الكريم: «إنه الكتاب الذي يكرِّرُ نفسَه تكراراتٍ لا تنتهي، فيُثيرُ اشمئزازنا دائمًا كُلَّما شَرَعنا في قراءته».

◻ وهو القائلُ عن رسولِ اللَّه ﷺ ـ كما سَبَق ـ: «نَصَب حَولَ العربِ غُلافًا دينيًّا كئيبًا، وعَرَف كيف يَحجُبُ عنهم الأملَ في أيِّ تقدُّمٍ حقيقيٍّ»[1].

وهنا وِجهةُ نظرٍ أخرىٰ لدىٰ الباحثةِ الألمانية «د. كاثرينا ممسين» عن

(١) «صورة الإسلام في التراث الغربي» (ص٥٧).

«جوته» في كتابها «جوته والإسلام»، ترجمة «شيرين حامد فهمي»، وأصدرته مكتبة «الشروق الدولية»، تتحدثُ «د. كاثرينا ممسين» عن إعجابِ «جوته» بالقرآن.. وكان مفهومُ «التسامح» هو الذي جَذَب «جوته» إلىٰ الإسلام، ولكي يَفهمَ لُغةَ القرآن تَعلَّم اللغةَ العربيةَ والخطَّ العربي، وكان يَصِفُ لُغةَ القرآنِ بالقوَّةِ والعظمةِ والرهبةِ والسكونِ في خليطٍ عجيب.

◻ وتذكرُ «د. كاثرينا ممسين» أمثلةً من كتاباتِ «جوته» ورسائلِه التي تدلُّ علىٰ مدىٰ احترامِه للإسلام؛ فقد كتب رسالةً وهو في الثانية والعشرين من عمره قال فيها: «أُريد أن أدعوَ كما دعا موسىٰ ربَّه في القرآن ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥]»، مما يدلُّ علىٰ أنه قرأ القرآن وتأثَّر به.

وعندما بَلَغ السبعين أَعلن عن قرارِه بالاحتفال بتلك الليلةِ المقدَّسةِ التي نَزل فيها القرآنُ مِن أعلىٰ السماوات إلىٰ النبيِّ محمدٍ ﷺ، وهذه اللغةُ في الحديث عن الإسلام كانت بعيدةً كلَّ البُعدِ عن اللغة التي كان العالَمُ الغربيُّ يتحدَّثُ بها عن الإسلام.

◻ تقول «د. كاثرينا ممسين»: «إن «جوته» رأىٰ ـ خلافًا للعالَم الغربي ـ التأثيرَ الإلهيَّ للقرآن علىٰ البشرية، وإن اقتباسات «جوته» من القرآنِ في مواضعَ كثيرةٍ في كتاباتِه تَعكِسُ تقديرَه الشخصيَّ واقتناعَه بأمورٍ كثيرةٍ في الإسلام، وكانت سورةُ «البقرة» من أكثرِ السورِ التي أثَّرت في هذا الشاعر الكبير، وهو يذكُرُ عدَّةَ آياتٍ يتوقفُ عندها ويُشيدُ بما فيها من الفكرِ الرائعِ العميق[1] مثل: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا

(١) القرآن ليس فكرًا، بل هو كلامُ العليِّ الكبير، وهو سبحانه لا يُوصَفُ بالتفكير.

خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ [البقرة: ١١٢].

* كما يتحدَّثُ عن آيةٍ أخرىٰ من نفسِ السورة، يقول: إنها تُعبِّرُ عن دليلِ وجودِ اللَّه في الكون كلِّه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥]. والآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

* وسَجَّل «جوته» إعجابَه بما في الإسلام من الدعوةِ إلىٰ الخير، فقال: «إنَّ اللَّه يقولُ في القرآن: إنه لم يَبعث رسولاً إلىٰ قومٍ إلاَّ أن يكونَ منهم، ويتحدَّثَ بلُغتهم، ويَعرفَ ثقافتَهم». ويَستشهدُ بالآية: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]. والآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

☐ وكتب «جوته» رسالةً إلىٰ المفكِّر والمؤرِّخ البريطاني «توماس كارليل» في سنة ١٨٢٧م قال له فيها: «إن القرآنَ يقول: إن اللَّه أرسلَ لكلِّ قومٍ رسولاً يتحدَّثُ بلُغتهم»، وأشار إلىٰ الكفار الذين طالبوا الرسولَ محمداً ﷺ بأن يأتيَ بمعجزات، وعلَّق علىٰ ذلك بأبياتٍ من الشِّعر قال فيها: قال لهم: المعجزاتُ لا أستطيعُ الإتيانَ بها، المعجزةُ الكبرىٰ هي وُجودي بينكم رسولاً»[1].

(١) «المنصفون للإسلام في الغرب» (ص٢١٦ـ٢١٧) لرجب البنا ـ دار المعارف.

◻ كان للشاعرِ الفرنسيِّ الشهير «فولتير» مسرحيةٌ بدأ عَرضُها عام ١٧٤٢، واشتُهرت في الغرب، اسمها «تطرُّف النبيِّ محمد»، وأعلن «جوته» أن هذه المسرحيةَ قَدَّمت أبشَعَ صُورةٍ يمكنُ تصوُّرُها عن نبيٍّ، وألَّف مسرحيةً تُعارضُها بعنوان «الدراما المحمدية» من مشهَدين:

في المشهد الأول: يُصوِّرُ بَعثةَ النبيِّ محمدٍ ﷺ، وكيف جاءه الوحيُ بتكليفِه بالرسالة.

والمشهد الثاني: يُصوِّرُ معاناةَ الرسولِ ﷺ مع قومهِ في تبليغِ رسالةِ التوحيد، وقَدَّم «جوته» بعد ذلك «أغنية محمد» التي تُعتبر أولَ تبجيلٍ للرسول ﷺ من شاعرٍ أوروبي.

وفي هذه الأغنية يَظهرُ انبهارُ «جوته» بشخصيةِ النبيِّ ﷺ، ثم انبهارُه بجهادِه وعدمِ اكتفائه بالدعوةِ، وكفاحِه لتأسيسِ مجتمعٍ قائمٍ على مبادئِ الدينِ الذي جاء به، ورَبَط بين النبيِّ ﷺ المُعلِّم الرُّوحيِّ، والنبيِّ الإنسانِ ذِي الصفاتِ العالية.

ويَعكِسُ «جوته» في أشعاره عُمومًا إعجابَه بما في شخصِ الرسول ﷺ من المَزْجِ بين الشخصيةِ التي تؤسِّسُ دِينًا جديدًا، وبين نفسِ الشخصيةِ وهي تُكرِّسُ جَهدَها لتربيةِ البشرِ رُوحيًّا.

وجاء في أشعارِ «الدراما المحمدية» الكثيرُ من تعبيراتِ الإعجابِ والتقديرِ للرسول ﷺ مثل:

بين مضايقِ الجبالِ سار

وبخُطى أقدامِ القائدِ شدَّ معه أصحابَه

تنتعشُ الورودُ تحت أقدامه

وفي غيرِ ظلِّه لا توجدُ الورود

وها هو ذا يسيرُ في الوادي متلألئًا بهيًّا

والأنهارُ والجداولُ تهتفُ به صائحةً: يا أخانا

خُذ إخوانَك وخُذْنا معك إلى ربِّك الدائم

والآن يعلُو ويُكبِّرُ ويَحملُ معه الأمراء

وفي وسطِ انتصاراته دانت المُدنُ تحتَ قدميه وهو يسيرُ تاركًا التَّرَفَ والثراء

لا يَعبأُ بهما.. وهكذا حَمَلَ أصحابَه وأطفالَه

✍ ولا يكتبُ هذه الصورةَ المليئةَ بالتقديرِ إلاَّ مَن يؤمنُ بأن محمداً ﷺ رسولٌ بحقٍّ، وأن دينَه هو دينُ الحق.

◻ وتذكرُ «كاثرينا ممسين» مواقفَ كثيرةً تدلُّ على اعتقادِ «جوته» بالتسليم للَّه كما في العقيدة الإسلامية؛ ففي عام ١٨٢٠م مَرِضت أختُه غيرُ الشقيقة بمرضٍ خطيرٍ، فكتب إلى صديقٍ له: «لا أستطيعُ إلاَّ أن أقول: إنني أجدُ نفسي - مرةً أخرى - باحثًا عن الإسلام».

◻ وفي عام ١٨٣١ انتشر وباءُ الكوليرا، فكتب: «هنا لا يستطيعُ أحدٌ أن يَنصحَ غيرَه فيما يفعلُه، فنحن جميعًا نَعيشُ في الإسلام الذي يُعطينا الشجاعةَ في مواجهةِ الحياة».

◻ وقبل موته بأربعةِ أسابيع - وهو في عامِه الثاني والثمانين - كتب: «من أجلِ أن يتحرَّر البشرُ من الخوف انتهوا بإلقاءِ أنفُسِهم في حِضنِ الإسلام واثقين في اللَّهِ وفي أقدارِه غيرِ المكشوفة لنا».

☐ فهو مؤمنٌ بما في الإسلام من الخضوعِ للَّه والرضا بما كتبه، ويُعَبِّرُ عن ذلك بقوله: «إنه لمن اللافتِ للانتباه أن نرىٰ كيف كان المؤمنون بمحمدٍ ﷺ يقومون بتربيةِ الأجيالِ المسلمة، وكان الدرسُ الأولُ هو تثبيتُ عقيدةِ القضاءِ والقدر، والإنسانُ لا يواجهُ أمرًا إلاَّ وقد كَتَبه اللَّهُ له، ومِن ثَمَّ يعيشون حياتَهم آمنين مطمئنين».

☐ ولقد واجه «جوته» الكثيرَ من الانتقاداتِ والاتهاماتِ لإعجابِه بالإسلام، ومعارضتِه للتيارِ العَدائيِّ الغالبِ للإسلام وللرسول ﷺ، وكان ردُّه علىٰ ذلك في كتاب «المقولات» بأبيات قويةٍ وصريحةٍ قال فيها:

مِن حماقةِ الإنسانِ في دنياه

أن يتعصَّبَ كلٌّ منا لرأيه

وإذا كان الإسلامُ معناه التسليمُ للَّه

فعلى الإسلام نحيا ونموتُ أجمعون

✍ هل كان الشاعرُ العظيم «جوتـــه» معجَبًا برُوحانيةِ الإســـلام فقط ـ وهو الذي نشأ في أُسرةٍ بروتستانتية ـ؟ أو كان مسلمًا بقلبه ـ كما يقول البعض ـ؟.

☐ تقول الباحثة الألمانية: «د. كاثرينا ممسين»: «إن «جوته» عندما أصدر ديوان «الغرب والشرق» في مايو ١٨١٤ ثار معظمُ الألمان عليه؛ لأن هذا العملَ لا يَصدرُ إلاَّ عن شخصٍ علىٰ علاقةٍ رُوحيةٍ وثيقةٍ بالإسلام، ثم ازدادت ثورتُهم عليه عندما قال بعد ذلك بعامَين ـ أي في عام ١٨١٦ ـ: «إن مؤلِّفَ هذا العمل لا ينَفي الفكرةَ بأن يكون هو نفسُه مسلمًا».

وهو يتحدَّثُ في هذا الديوانِ عن الأصالةِ الدينيةِ في الشرق، وعن رغبتهِ في تجاوزِ التناقضاتِ العَدائيةِ بين الديانتين، والجمعِ بين هذين العالَمين تحتَ مَظلَّةٍ واحدة، كما يتحدَّثُ به عن شخصياتٍ إسلاميةٍ أحبَّها مثل: السلطان سليم، والمتنبي، وحاتم الطائي، والفردوسي وغيرهم».

ويبدو في ديوان «الغرب والشرق» أن «جوته» كان دارسًا للقضايا التي شَغلت المُفكِّرين المسلمين على مدَىٰ العصور، فهو ـ على سبيل المثال ـ يُشيرُ إلىٰ المعركةِ التي قامت حول «هل القرآن مخلوق أو هو قديم»، والتي تعرَّض فيها الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل للتعذيبِ لأنه تمسَّك برأيه في أن القرآنَ قديم.

❏ يقول جوته في إشارته إلىٰ «القرآن المقدس»:

هل القرآنُ قديم؟[1]

شيءٌ لا أسألُ عنه

هل هو مخلوقٌ

شيء لا أدريه

وكثيرٌ من أبيات الديوان عن القرآن، فهو يَستلهمُ من الآية ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ في سورة الفاتحة مناجاته:

يُنازعُني الغَيُّ والضلال

لكنك تعرفُ كيف تَهديني

---

(١) هذا ما يقوله.. وهي مسألة هامة في عقيدة أهل السنة والجماعة.. والقرآن من كلام اللَّه وكلام اللَّه غير مخلوق، كما أنه لا يوصف اللَّه سبحانه ولا كلامه ولا سائر صفاته بوصف «القديم».

اهدني أنت في أعمالي الصراطَ المستقيم

ويُردِّد «جوته» الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] فيقول:

للَّه المشرق

للَّه المغرب

وله الأرض شَمالاً وجنوبًا

وكان «جوته» يُعبِّرُ دائمًا عن حُبِّه للحروف العربية والخطِّ العربي.

◻ وفي كتابات «جوته» ما يدلُّ على تأثُّره بالقرآن ويقول: «إنه كتابٌ ليس له مثيلٌ على وجه الأرض، ولا مثيلَ لِمَا فيه من ذِكرٍ لأسماءِ اللَّه الحسنى».

◻ وقد رأى في القرآنِ الرؤيةَ الإسلاميةَ للذاتِ الإلهية، كما كان أسيرَ الإعجابِ بشخصيةِ الرسول ﷺ، ويقول: «إنه جَمَع بين الإنسان والنبي».

◻ وقد اكتشف أحدُ الباحثين مخطوطةَ ديوانٍ لم يُنشر كَتَبه «جوته» بعنوان «بعثة محمد»، نُشرت في باريس عام ١٩٠٧م يقول فيها:

حينما كان يتأمَّلُ في الملكوت

جاءه المَلاكُ ومعه النور

اضطَرَب، فهو لم يقرأ أبداً

كلمة «اقرأ» تعني الكثيرَ بالنسبة له

---

(١) كيف هذا.. أهو مذهب وحدة الأديان الذي دعا إليه من بعد رجاء جاروي !!.

لكنَّ المَلاَكَ بَلَّغه الرسالةَ وبدأها بالأمر «اقرأ»

واستَمَع إلى الأمر.. وبدأ طريقه

□ وعلىٰ رغم إعجاب «جوته» بالإسلام وكتابِه ورسوله، فإنه يُوجِّهُ اللَّومَ إلىٰ المسلمين لابتعادِهم عن رُوح الإسلام، ويوجِّهُ هذا اللومَ إلىٰ المسيحيين أيضًا، ويتَّهِمُهُم بالابتعادِ عن رُوح المسيحية، مقارنًا بين ما كان عليه المسيحيون عند ميلادِ المسيحية، وما صاروا إليه بعد ذلك، عندما تحوَّلت الكنيسةُ إلىٰ سُلطةٍ سياسةٍ وانشغلت بجَمعِ الأموالِ وتملُّكِ الأراضي وبَحثِها عن أمور الدنيا، وهو ينتقدُ الانقسامَ الذين حَدَث بين الكاثوليك والبروتستانت، وفي ذلك كَتب في عام ١٨١٦م يقترحُ إقامةَ احتفالٍ واحدٍ يَجمعُ المؤمنين بالأديان جميعًا أسماه «احتفال الإنسانية النقية»، وفيه لا يُسأل أحدٌ عن دينه، «الجميعُ يذهبون يتلمَّسون الضَّوءَ من شُعاعٍ واحد، وتَسمُو أرواحُهم، ويتذكَّرُ كلٌّ منهم عِيدَه فيحتفلُ به»[١].

□ ولقد كان تأثيرُ «جوته» عظيمًا، وما زال كذلك حتىٰ اليوم، فقد تأثر به الشاعرُ الروسي الكبير «ألكسندر بوشكين» (١٧٩٩ ـ ١٨٣٧م)، والشاعرُ البولندي «آدم ميليفكس» (١٧٩٨ ـ ١٨٥٥)، فكانت أشعارُهما تعكِسُ تعاطُفًا تُجاهَ العالَم الإسلامي، وامتَدَّت أصداءُ شِعرِ «جوته» إلىٰ آسيا، فتأثَّر به الشاعرُ والفيلسوفُ الباكستاني «محمد إقبال» (١٨٧٧ ـ ١٩٣٨م)، وله كتابٌ شهير باسم «سفارة الشرق» يعتبرُه النقَّادُ الصَّدىٰ الصافيَ لديوان «الغرب والشرق».

(١) «المنصفون للإسلام في الغرب» (ص٢١٧ ـ ٢٢١).

❑ ونَختمُ الحديثَ عن «جوته» بما قاله في مقدِّمة كتاب «المحمديَّات» «لديسون» الألماني، والذي عرَّبه عن الفرنسية إلىٰ العربية الكاتبُ الشهير «عمر أبو النصر».

❑ قال تحت عنوان ـ نشيد محمد أو فيض الإسلام ـ: «انظر إلىٰ يُنبوعِ الجَبَل يضطرِبُ مليئًا صافيًا، كأنما هو شُعاعٌ دُرِّيٌّ فوقَ السُّحب، أَرْضَعَتْ ملائكةُ الخيرِ طفولتَه في مَهدِه يومَ كان بين أفلاقِ الصخور المُعْشَوْشِبة، إنه يَنحدرُ من السحابةِ فتيًّا نقيًّا، ثم يَتنزَّىٰ منها جَذلانَ فَرِحًا، إنه يَسيرُ في الأخاديدِ الوَعْرة، جارِفًا أمامَه مِن ألوان الحَصباءِ ما لا يُحصىٰ، ساحبًا في إثرِه أخواتٍ من العيونِ الثرَّارة، كأنما هو مُرشِدُها الأمين، وأما في الوادي، فالرياحينُ تنبثقُ عند قدميه، والمُروجُ تحيا من أنفاسِه، لا يَثنيه الوادي الظليل، ولا الرياحينُ التي تُطوِّق ساقيه، وتحاولُ أن تَسبِيَه وتستهويَه بلِحاظها الفواتِن».

❑ إلىٰ أن قال: «وها هو العُبابُ طاميًا زاخرًا، تَرفِدُه الروافدُ، فيَخلعُ في مجراه علىٰ الأمصار أسماءَها، وتَنشأُ عند أقدامه المُدُنُ، بَيْدَ أنه لا يَني، فلا يَبرحُ هادرًا يَندفعُ، لا يَثنيه ثانٍ، مُخلِّفًا وراءَه المنائرَ والصروح، نِتاجَ خِصبه وانتاجِه، ذلك هو محمدُ بن عبداللَّه».

* **العلاَّمة ديسون الفرنسي:**

❑ قال في كتابه «المحمديَّات» تعريب البحَّاثة «عمر أبو النصر» (ص١٩): «لقد وُلد محمدٌ نبيُّ العرب في قلبِ البلاد العربية عام ٥٧٠ بعدَ المسيح، وتَمكَّن الإسلامُ في أواخرِ القرن السابع أن يَقتحمَ سوريا وفارسَ

ومصرَ والمغربَ، وأن يَمتدَّ إلىٰ إفريقيا الشمالية، وأن يَحتلَّ كلَّ الجُزرِ الواقعةِ في البحرِ المتوسط، وأن يتَّصلَ بالهندِ والصينِ، فلما آذَنَت شمسُ القرنِ الثامن بشروقٍ، اقتَحم الإسلامُ إسبانيا، وأخذ «شارلمان» و«هارون الرشيد» يتبادلانِ السفراءَ والهدايا».

□ إلىٰ أن قال (ص٢٢) منه: «وليس يصحُّ أن يُنظرَ إلىٰ دينِ محمدٍ كدينٍ مليءٍ بالخرافات والأكاذيبِ وغيرِ ذلك، فهذا مخالفٌ للحقيقةِ بعيدٌ عن الواقع، فإن التعاليمَ الإسلاميةَ شريفةٌ سامية، والأخلاقَ رفيعةٌ عالية، وفي الإسلام من العقائدِ والآراءِ ما يستحقُّ احترامَ الفلاسفةِ وعُلماءَ الاجتماعِ له».

ثم يذهبُ «المسيو ديسون» إلىٰ أنَّ بَعضَ المؤرِّخين يَذكرُ عن محمدٍ أنه كان كارهًا للأصنام بعيداً عن عبادتها والتقرُّبِ منها، وإن كان لا يَعلمُ أنه سيُنشئُ في مُقبلاتِ الأعوامِ دينًا يُبدِّلُ الأرضَ غيرَ الأرض، ويُحدِثُ في العالَم ظاهرةً جديدةً لا تزالُ آثارُها بعيدةَ المدىٰ عظيمةَ الخطورة.. إلىٰ آخرِ كلامه.

* **الفيلسوف الألماني شبلنجر:**

□ قال الفيلسوفُ الألماني «شبلنجر» في كتابه «أُفُول الغرب»: «إنَّ حضارةَ الإسلام حضارةٌ جديدةٌ أوشكت علىٰ الظهورِ في أروعِ صورةٍ، والإسلامُ يَملِكُ اليومَ أقوىٰ قوةٍ رُوحانيةٍ عالَميةٍ نقيَّةٍ»[1].

---

(١) «المنصفون للإسلام في الغرب» (١٩).

*** بول ديورانت :**

◻ قال المُفكِّرُ الكبيرُ «بول ديورانت» : «إذا حكَمنا على العظَمة بما كان للرجلِ العظيم مِن أثرٍ في الناس، فلابُدَّ أن نقولَ : إن محمداً ﷺ كان أعظمَ عظماءِ التاريخ»[١] .

*** أنَّا ماري شيمل أعظم مَن أنصَفَ الإسلام في ألمانيا :**

«أَنَّا ماري شيمل» أعظمُ المستشرقات اللاتي أنصفن الإسلامَ في الغرب. . وما تقولُه له تأثيرٌ على كثير من المستشرقين والألمان بصفةٍ خاصة، ويمتدُّ تأثيرها إلى بقيةِ دول أوروبا، وهي حائزةٌ على جائزة «السلام للناشرين الألمان»، وهي أهمُّ الجوائز الثقافية ولفكرية في ألمانيا.

وبسبب موقفها من «سلمان رشدي» وروايته تعرَّضت لحملةِ اضطهادٍ شديدةٍ في ألمانيا.

◻ تقولُ : «ولولا أن الرئيسَ الألمانيَّ في ذلك الوقت كان يُساندني لكانت الذئابُ قد افترستني، ولكنني مع ذلك قضيتُ في هذه المِحنة ستةَ شهور»[٢] .

حَصَلت «أنَّا ماري شيمل» على جوائزِ تقديرٍ عديدةٍ من أنحاءِ العالَمِ يَصعُبُ حَصرُها، منها وِسامُ «الاستحقاق الكبير»، أعلى وسامٍ ألماني في عام ١٩٨١، وإنتاجُها المنشورُ عن الإسلام والشرقِ بَلَغ أكثَرَ من ثمانينَ مُجلَّدًا، وصَدَر أكثرُ من ٢٠٠ كتاب عنها وعن أبحاثها وأفكارها، وهي

---

(١) «المنصفون للإسلام في الغرب» (١٩).

(٢) المصدر السابق (ص١٩).

معروفةٌ عالميًّا ومقروءةٌ باللغات الإنجليزية، والفرنسية، والفارسية، والتركية، والأوردو، والعربية، والإندونسية، وتُوفِّيت يومَ الثلاثاء ٤ فبراير ٢٠٠٣.

◘ وإجابةً عن سؤالٍ عن رأيها في الإسلام قالت بوضوح: «إنني أُحبُّ الإسلام، ولولا أنني أُحبُّه ما كتبتُ عنه أكثَرَ من ثمانينَ كتابًا، وقد وَجدتُ فيه دينَ تسامُحٍ وروحانيةٍ، وتوقَّفتُ كثيراً عند كلماتِ القرآن: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقد قلتُ لمن وجَّهوا إليَّ النقد: إني أحبُّ الرسول محمداً ﷺ»[١].

◘ وفي رأيها أنَّ التشهيرَ بالإسلامِ والمسلمين في الغرب قضيةٌ لها جُذورٌ وعُمقٌ تاريخي[٢].

◘ وتقول: «الإساءةُ إلى الإسلامِ كانت شائعةً في القرون الوسطى، ويَظهرُ ذلك في الشِّعر الفرنسيِّ من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابعَ عَشَر، كما يَظهرُ في الأدبِ الإنجليزيِّ والأسكتلندي، حتى إنهم حرَّفوا اسم النبي «محمد» إلى «Mahaund»، وهم اسمٌ يتكوَّن من مَقطعين، والمقطع الثاني «haund» يعني «كلب»، وفي نصوصٍ أخرى نجدُ أن اسمَ النبي محمدٍ ﷺ تحوَّل إلى اسمٍ معناه «الشيطان»، وحتى في الأشعار الألمانيةِ الرومانسيةِ سنة ١٨٠١ نجدُ اسم محمدٍ ﷺ وقد تحوَّل إلى «Mahom» «ماحوم»، وإشاراتٌ إلى أن المسلمين يَعبُدون أصنامًا ذهبيةً لمحمدٍ ﷺ . . وهكذا لا

(١) المصدر السابق (ص١٨ ـ ١٩).
(٢) المصدر السابق (ص١٩).

يوجَدُ شيءٌ سلبيٌّ لم يُلصِقْه الغربيون بالإسلام من القرن الثامن حتىٰ القرنِ العاشر، وازدادت مع بدايةِ الحروب الصليبية، وفي نوفمبر سنة ١٩٩٥ تحدَّث الكُتَّابُ الغربيُّون بفخرٍ عن ذِكرىٰ مرور ٩٠٠ سنة علىٰ انطلاقِ أوَّلِ حَمْلةٍ صليبية، ممَّا يدلُّ علىٰ أن تلكَ الحِقبةَ ما زالت حَيَّةً في عقولِ الغربيين»[١] .

◘ وأجملُ ما قالته «أَنَّا ماري شيمل»: «إنَّ وسيلتها للحديث عن الإسلامِ ليست بإصدارِ البيانات، أو بالظهورِ المسرحيِّ، ولكنها تؤمنُ بأنَّ المياهَ التي تسيرُ سيراً هادئًا وباستمرارٍ قادرةٌ مع الزمن علىٰ أن تُذيبَ الحَجَرَ الصَّلب»[٢].

◘ وفي حديثٍ لها مع الدكتور «ثابت عيد» نُشِر في «مجلة أكتوبر» في عدد ١٠ مارس ١٩٩٦ أكَّدت «أَنَّا ماري شيمل» استنكارها لسلوكِ الغرب تُجاهَ الإسلام، ووجَّهت إنذاراً شديدَ اللهجة إلىٰ أعداءِ الإسلام؛ لأنهم علىٰ باطلٍ، قالت فيه: «إن الفكرةَ السائدةَ في الغرب بأن الإسلامَ يُعادِي المرأةَ فِكرةٌ خاطئة، بل إنَّ في الغرب مفكِّرين يقولون: «إنَّ المرأةَ في الإسلامِ كائنٌ بلا روح».. ولكي نعرفَ كَذِبَ هذا الادِّعاءِ، نعودُ إلىٰ القرآن الكريم، وسوف نرىٰ أنه يُسوِّي بين الذكر والأنثىٰ، وبين المؤمنين والمؤمنات، ولم يفرِّقْ بينهما في مجالِ الفرائضِ الدينية.. وإذا قيل: «إنَّ للمرأةِ نصفَ نصيب الرجل في الميراث»، فإن ذلك لسببٍ عَمَليٍّ، فالمرأةُ

---

(١) المصدر السابق (ص٢٥ ـ ٢٦).

(٢) المصدر السابق (ص٣٠).

حين تتزوَّجُ تحصُلُ على مهرٍ مناسبٍ، والزوجُ هو المسؤول شرْعًا عن الإنفاقِ عليها، وهكذا تظهرُ العدالةُ في توزيعِ الأعباء والمسؤوليات، وفي النهاية سنجدُ أن المرأةَ هي الرابحة»[1] .

❑ وقالت: «إنني أقولُ دائمًا للغربيين الذين يُشوِّهون صورةَ الإسلام: إنَّ الإسلام مَنَحَ المرأةَ حقَّ الاحتفاظِ باسمها، وبما تَملِكُه من مالٍ قبلَ زواجها، وبما تَكسِبُه بعد الزواج، وهذا يتضمَّنُ حقَّ المرأةِ في أن تعملَ وتكسِبَ من أيَّةِ مِهنةٍ أو تجارة، والمرأةُ في أوروبا لم تتوصَّلْ إلى حقِّ الاحتفاظ بما تَملِكُه من مالٍ بعدَ زواجها إلاَّ منذ فترةٍ قريبة».

❑ وتقول: «إنني كمؤرخةٍ للأديان أقفُ بإعجابٍ عند الآية (١٨٧) من سورة البقرة التي تحدِّدُ العلاقةَ بين الرجل والمرأة في إطارِ الزواج: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾، و«اللباس» يعني الذات الأخرى أو النفْسَ الأخرى، وبذلك يكون معنى الآية: أن الرجل والمرأة يكمِّلُ كلٌّ منهما الآخرَ، وأنَّ كُلاًّ منهما هو النِّصفُ الأفضلُ للآخر، وأعتقدُ أنه يَجبُ تسليطُ الضوءِ على هذه الآية ـ عند الحديث على مكانةِ المرأة في الإسلام ـ»[2] .

❑ وتقول: «إنَّ ما يُقالُ في الغرب من أنَّ العقيدةَ الإسلاميةَ عقيدةٌ منحرفةٌ، اتهامٌ باطلٌ وجَّهه مسيحيُّو القرونِ الوسطى إلى الإسلام، ومسيحيُّو القرونِ الوسطى اعتَبروا الإسلامَ هرطقةً مسيحية، بل إن بعضَ الأساطير في القرون الوسطى تقول: «إنَّ محمداً كاردينال مسيحي، استاء

---

(١) المصدر السابق (ص٢٢ ـ ٢٣).

(٢) «المنصفون للإسلام في الغرب» (ص٢٣).

لعدم اختياره بابا، فقام بالانفصال عن الكنيسة، وأسَّس لنفسه ديانةً جديدةً»، وقد أثارت مِثلُ هذه الكتاباتِ الفَزَعَ من الإسلام ومن الرسولِ في نفوسِ المسيحيِّين العاديِّين في الغرب؛ لأنهم اعتقدوا أنهم ليس من الممكن أن تَظهرَ ديانةٌ سماويَّةٌ أخرىٰ بعد المسيحية، وهذا الرأيُ ما زال شائعًا بين الكثير من الأوساطِ المسيحية حتىٰ يومِنا هذا. . ومن المؤسِفِ أنَّ مِثلَ هذه الأفكارِ الخاطئةِ تبقىٰ إلىٰ وقتٍ طويلٍ في ذاكرةِ الأفراد، وفي «الوَعْي الجماعي» و«اللاشعور الجماعي» في الغرب، ويمكنُ إحياؤها في أيِّ وقت!»[1] .

◻ وتَردُّ «أنَّا ماري شيمل» علىٰ المقولةِ الكاذبةِ القائلة بأنَّ الإسلام انتشر بحدِّ السيف، فتقول: «هذا ادِّعاءٌ شائعٌ في الغرب. . إنَّ الإسلامَ لم ينتشر بحدِّ السيف في شِبهِ القارَّة الهندية، وماليزيا، والصين، وغربِ أفريقيا، بل انتشر عن طريقِ الصوفيِّين والتجَّار الذين قدَّموا العقيدةَ الإسلامية بطريقةٍ بسيطةٍ لهذه الشعوب»[2] .

* المؤرخ ديكنز:

◻ يقول المؤرخ «ديكنز» في كتابه «معالم تاريخ الإنسانية»: «إنَّ الإسلامَ ساد لأنه خيرُ نظامٍ اجتماعيٍّ وسياسيٍّ ظَهَر في التاريخ»[3] .

(١، ٢) المصدر السابق (ص٢٤).

ويُؤخَذ عليها اهتمامها بجلال الدين الرومي، والحلاج وابن عربي وإعجابُها الكبير بقول ابن عربي:

لقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ ... فمَرعًىٰ لغزلانٍ ودَيرٌ لرهبانِ

وبيتٌ لأوثـان، وكعبةُ طائفٍ ... وألواحُ توراة، ومصحفُ قرآنِ

(٣) المصدر السابق (ص٢٠).

*** المفكِّر الألماني الدكتور مراد ويلفريد هوفمان:**

وُلدِ عام ١٩١٠، حاصلٌ على الدكتوراة في القانون من إحدى جامعاتِ الولايات المتحدة، عمل خبيرًا نوويًّا في حِلف الأطلنطي، وعمِل سفيرًا لبلاده في الجزائر والإمارات والسعودية، واعتَنق الإسلامَ، وأصبح واحدًا من أشهر المُنصِفين للإسلام والمسلمين في الغرب، وله كُتبٌ عديدةٌ، منها «الإسلام كبديل» و«الإسلام عام ٢٠٠٠»، و«يوميات ألماني مسلم»، و«الإسلام في الألفية الثالثة».

❑ يقول «د. مراد هوفمان»: «إنَّ المستشرقين حاولوا إثبات أن القرآنَ ليس من عند اللَّه، وفشِلوا، كما فشِلوا في إثباتِ حُدوثِ تغييرٍ في أيٍّ حرفٍ أو كلمةٍ فيه»[1].

وهو يردُّ على المستشرقين ردًّا مفحِمًا، ويدافعُ عن الإسلامِ ورسولهِ ﷺ.

*** السير وليم سوير الإنكليزي:**

❑ قال في كتابه «سيرة محمد» (ص٣١): «امتاز محمدٌ بوضوحِ كلامِه ويُسرِ دينهِ، وأنه أَتَمَّ من الأعمال ما أدهش الألباب، ولم يَشهدِ التاريخُ مُصلِحًا أيقظ النفوسَ، وأحيا الأخلاقَ الحسنة، ورَفَع شأنَ الفضيلةِ في زمنٍ قصيرٍ كما فَعل محمد».

*** السير وليام ميو الإنجليزي:**

❑ قال في كتابه «محمد»: «ومِن صفـاتِ محمـدِ الجليلةِ الجديـرةِ

---

(١) المصدر السابق (ص١٠٩).

بالذِّكر والحَرِيَّةِ بالتنـويه: الرِّقَّـة والاحترام، اللتانِ كان يُعامِلُ بهما أصحابَه، حتىٰ أقلَّهم شأنًا، فالسماحةُ والتواضعُ والرأفةُ والرِّقةُ تغلغلت في نفسه، ورَسَّخت محبتَّه عند كلِّ مَن حولَه، وكان يَكرهُ أن يقول: «لا»، فإنْ لم يُمكنْه أن يُجيبَ الطالبَ علىٰ سؤاله، فضَّل السكوتَ علىٰ الجواب، ولقد كان أشدَّ حياءً من العذراءِ في خِدْرِها، وقالت عائشة ﷺ: «وكان إذا ساءه شيءٌ تبيَّنَّا ذلك في أسارير وجهه، ولم يَمَسَّ أحدًا بسُوءٍ إلاَّ في سبيل اللَّه».

ويؤثَرُ عنه أنه كان لا يَمتنعُ عن إجابةِ الدعوةِ من أحدٍ ـ مهما كان حقيراً ـ، ولا يَرفضُ هديةً مُهداةً إليه مهما كانت صغيرةً، وإذا جَلس مع أحدٍ ـ أيًّا كان ـ لَم يَرفعْ نحوَه رُكبتَه تشامُخًا وكبراً.

وكان سهلاً لَيِّنَ العريكة مع الأطفال، لا يأنَفُ إذا مرَّ بطائفةٍ منهم يلعبون أن يُقرِأَهم تحيةَ السلام، وكان يُشرِكُ غيرَه في طعامه، وعامَلَ حتىٰ ألدَّ أعدائِه بكلِّ كرمٍ وسخاءٍ حتىٰ مع أهلِ مكة، وهم الذين ناصَبوه العَداءَ سِنين طوالاً، وامتَنعوا من الدخولِ في طاعته، كما ظَهر حِلمُه وصَفحُه حتىٰ في حالَتَيِ الظَّفَرِ والانتصار، وقد دانت لطاعته القبائلُ التي كانت مِن قبلُ أكثرَ مناجَزةً وعَداءً له».

* **المؤرخ الكبير فتلي الإنجليزي:**

مستشرقٌ بحَّاثةٌ، وُلِد سنة ١٨١٥، وتُوفِّي سنة ١٨٩٠م.

◻ قال في مقدمـة كتابـه «الحيـاة» ـ تعريب الدكتور «سامي العشا» المصري ـ: «قد ينَحرفُ المؤرِّخُ عن موضوعِه ليتأمَّلَ حياةَ رجلٍ نال سُلطةَ

خارقةً على عقولِ أتباعِهِ وأعمالِه، ووَضعت عبقريتُه نظامًا أساسيًّا دينيًّا سامِيًا سياسيًّا، وما زال يَحكُمُ الملايينَ من البشر من أجناسٍ مختلفةٍ وصفاتٍ متباينة.

إنَّ نجاحَ محمدٍ كُمشرِّعٍ بين أقدمِ الأُمم الأسيوية، وثباتَ نُظُمِه على مدى أجيالٍ طويلةٍ في كلِّ نواحي الهيكلِ الاجتماعي، دليلٌ على أن ذلك الرجلَ الحاذقَ قد كوَّنه مزيجٌ نادرٌ من الكفاءات».

*** الليدي إيفيلين كوبرلد:**

◻ قالت الشاعرة الليدي «إيفلين كوبرلد» البريطانية في كتابها «الأخلاق» (ص٦٦): «لعمري لقد استطاع محمدٌ القيامَ بالمعجزاتِ والعجائب، لَمَّا تمكَّن من حَملِ هذه الأُمةِ العربيةِ الشديدةِ العنيدةِ على نَبذِ الأصنام، وقبولِ الوحدانيةِ الإلهيةِ، ولقد كان محمدٌ شاكرًا حامدًا، إذ وُفِّق إلى خَلْقِ العرب خَلْقًا جديدًا، ونَقَلَهم من الظلماتِ إلى النور، ومع ذلك كان محمدٌ سيِّدَ جزيرةِ العرب، وزعيمَ قبائلِهم، فإنه لم يُفكِّرْ في هذه، ولا راح يَعملُ لاستثمارها، بل ظَلَّ على حالِه، مكتفيًا بأنه رسولُ اللَّه، وأنه خادمُ المسلمين، يُنظِّفُ بيتَه بنفسِه، ويُصلِحُ حِذاءَه بيده، كريمًا بارًّا كأنه الريحُ الساريةُ، لا يَقصِدُه فقيرٌ أو بائسٌ إلاَّ تفضَّلَ عليه بما لديه، وكان يَعملُ في سبيلِ اللَّه والإنسانية».

*** جون أروكس الإنجليزي:**

◻ قال في كتابه «عظماء التاريخ» (ص٨٣): «لم نَعلمْ أنَّ محمدًا تسربَلَ بأيَّةِ رذيلةٍ مُدَّةَ حياته؛ لذلك نراه عظيمًا».

*** العلاَّمة إلياس جون جيب الإنجليزي:**

من مشاهير مُستشرقي الإنكليز، تُوفِّي في مدينة «كردف» بلدته ١٩٠٣.

◘ له مؤلَّفاتٌ عديدة ظَهرت بعد وفاته، منها «العرب قبلَ الإسلام وبعده»، قال فيه: «عقيدةُ محمدٍ خالصةٌ، ليس فيها لَبسٌ ولا إبهام، ومَن يتَّهِمُها بما يتنافىٰ مع كرامتها، فإنما هو متَّهمٌ في فَهمِه ووجدانه».

*** المسيو مار كودار الإنكليزي:**

◘ وُلد في بلدته «بلاما» ١٨٣٧م، وتُوفي ١٨٩٣م - نقلاً عن مجلة «الهلال» المجلد الرابع الجزء ٩ -، وهو أحدُ مستشرقي الإنكليز قال: «كان محمدٌ يعامِلُ الغنيَّ والفقيرَ علىٰ السواء، وإنه لنبيٌّ مباركٌ أرسله اللَّه للبشر».

*** السير هربرت سبنسر الإنكليزي:**

فيلسوفٌ إنكليزي تأثَّر بمذهبِ التطوُّر، مِن آرائه أنَّ المرءَ لا يَستطيعُ الوصولَ إلىٰ معرفةِ اللَّه، وُلد في مدينة «كرودف» من مُدن بريطانيا عام ١٨٢٠، وتُوفِّي عام ١٩٠٣.

◘ قال في كتابه «أصول الاجتماع» (ص٣٧): «فدونَكم محمداً، إنه رَمزٌ للسياسةِ الدينيةِ الصحيحة، وأصدقُ مَن نَهَج مِنهاجَها المقدَّسَ في البشريةِ كافةً، ولم يكن محمدٌ إلاَّ مثالاً للأمانةِ المُجسَّمةِ والصِّدقِ البريء وما زال يَدأبُ لحياةِ أُمتِه ليلَه ونهارَه».

* **المسيو بالمر الإنكليزي:**

□ مستشرقٌ إنكليزي، وُلد في بلدة «باركا» عام ١٧٩٥، وتُوفِّي ١٨٨٣، تَرجَمَ القرآنَ إلىٰ اللغةِ الإنكليزية، قال في مقدمته: «لقد جاء محمدٌ بمبدإٍ للعالَمِ عظيم، ودينٍ لو أنصَفَتِ البشريةُ لاتخذَتْه لها عقيدةً ومنهاجًا تسيرُ علىٰ ضوئه، وقد كان محمدٌ عظيمًا في أخلاقه، عظيمًا في صِفاته، عظيمًا في دينه وشريعته، وإنني لا أُبالغُ إذا قلتُ: إن شريعتَه تَحملُ إلىٰ الناسِ تعاليمَ ونُظُمًا وقوانينَ ليس في غيرها مما سَبَق مِثلُها، ولقد كانت الأممُ السابقةُ تعتنقُها مَبدأً وعقيدةً لأنها لَمَست ما فيها من حياةٍ رُوحيةٍ وركائزَ رصينةٍ».

* **البحَّاثة ستانلي جيفونس البريطاني:**

مستشرقٌ بريطاني، وُلد في بلدته «كانالي» عام ١٨٤١، وتُوفِّي ١٩٠٤، من مشاهيرِ الرُّوَّاد، توغَّل في مجاهلِ إفريقيا.

□ قال في كتابه «الديانات والعصور» (ص٥١): «إن دراستَنا لعصورِ بَعثاتِ الأنبياء تدلُّ علىٰ أنهم جاؤوا ليَحُلُّوا مشاكلَ عَجزَت عقولُ البشرِ عن الاهتداءِ إلىٰ حُلولٍ لها، فلم توجَدْ لدىٰ الإسرائيليين - قبلَ رسالة موسىٰ - طريقةٌ للخلاص من اضطهادِ الفراعنة، ولا توفيرُ رخاءِ الشعب إلىٰ آخرِ الحالاتِ المستوجِبةِ للعلاج، ولا وُجِد - قبل بَعثة المسيح - طريقٌ لإدخالِ الأملِ علىٰ النفوس اليائسة، في عصرٍ كانت تتألَّفُ فيه الجماعاتُ السِّرِّيَّةُ لتنظيمِ الانتحار، ولقَتلِ المُترَفين، لأن الشعوبَ كانت تَئِنُّ من الحِرمانِ والفقر، وكان المُلوكُ وبطاناتُهم يَمضَغُون الذهب، وكانت المادةُ تَطغىٰ علىٰ

الفضيلة، فلذا بُعث عيسىٰ مخلوقًا روحيًّا، فجاء عيسىٰ بحَلٍّ عجيبٍ، ليس من صُنعِ العقلِ البشريِّ، جاء يقول للناس: «لا يَلزمُكم مِزوَدٌ للطريق، ولا اقتناءُ ثوبَينِ ولا عصًا»، وجاء يُزهِّدُ الناسَ في الغِنىٰ، بل يُنفِّرُهم منه، فقال لهم: «لا يدخلُ غنيٌّ إلىٰ ملكوتِ السموات».

ونبوَّةُ محمدٍ جاءت لتعالجَ كلَّ جوانبِ الحياةِ العموميةِ جميعًا، ومما لا ريبَ فيه أن دعوةَ محمدٍ قد زَلزلت أركانَ الدنيا، وقد استَولت علىٰ القِسمِ المُهمِّ منها».

* **المسيو صموئيل مارغوليوث الإنكليزي:**

❑ مستشرقٌ إنكليزي، وُلد عام ١٨٦٨، وتُوفِّي ١٩٤٠، عضوُ المَجمع العِلميِّ في دمشق، نَشر «مُعجمَ الأدباءِ» لياقوت الحموي، و«الأنساب» للسمعاني، و«رسائل المَعري» بترجمةٍ إنكليزية، دُعي لحفلةٍ ميلاديةٍ في دمشق عام ١٩٢٧ قال فيها: «إن يومَ ميلادِ محمدٍ لَيومٌ عظيمٌ علىٰ العالَم ـ لا علىٰ العرب فقط ـ؛ لأنه لم يُولَدْ إلاَّ لأمرٍ عظيم، ألاَ وهو رسالتُه التي بَلَّغها للعالَم، فاعتنقها قومٌ وتركها آخرون، وهي طافحةٌ بالحضارةِ والتعاليمِ التي تَخدُمُ البشريةَ وتُوليها زِمامَ الحياة، ولكنها رسالةٌ أَخذت بها أُمةٌ جَهِلت ما فيها، وخيرُ ما فيها طابعُ صلاحيةِ البقاء مع الزمن مهما طال وامتد».

* **السير موير الإنجليزي:**

❑ قال في كتابه «تاريخ محمد» (ص٢٠) المطبوع عام ١٩١٢: «إن محمدًا ـ نبيَّ المسلمين ـ لُقِّب «بالأمين» منذ الصِّغر بإجماعِ أهلِ بلده لشرفِ

أخلاقه، وحُسنِ سُلوكه، ومهما يكنْ هناك من أمرٍ، فإنَّ محمداً أسمىٰ مِن أن ينتهيَ إليه الواصفُ، ولا يَعرِفُه مَن جَهِله، وخبيرٌ به مَن أنعم النظرَ في تاريخ المجد، ذلك التاريخُ الذي تَرَكَ محمداً في طليعةِ الرسلِ ومفكِّري العالَم».

* **العلاَّمة هيليار بلاون البريطاني:**

مستشرقٌ بريطاني، وُلد في بلدته «كوارير» عام ١٨٤٧.

❑ قال في كتابه «فكرة الحياة» (ص٦٣ و٦٤): «بينما كانت مُدُنُ الإمبراطوريةِ البيزنطيَّة تَحتفلُ بانتصاراتِ الإمبراطور هرقل علىٰ الفرس، وبينما كان الناسُ في سرورٍ وجَذَلٍ عظيمَينِ، حَدَثَتِ المعجزةُ المحمديَّةُ، حَدَث شيءٌ لم يكنْ أحدٌ ينتظرُه ولا يَفطِنُ له، حَدَث أمرٌ كان أقربَ إلىٰ الهِزَّةِ الأرضيةِ أو الفيضانِ العامِّ في سُرعتِه وشِدَّته ووقوعِه دونما سابقِ إنذارٍ ولا إشارة.

لم تكن هناك أعراضٌ سَبَقت هذا الحدثَ العظيمَ الضخم، ولا أماراتٌ تدعو إلىٰ انتظارِه والتهيُّؤِ له، ولم يكن مَضَىٰ علىٰ انتصاراتِ هرقلَ إلاَّ سنواتٌ قلائل، لَمَّا مشىٰ إلىٰ أرضِ الإمبراطورية فِرسانٌ من الصحراء، ما سَمع عنهم أحدٌ شيئًا إلاَّ ما كان يُقالُ مِن أنهم جماعةٌ يضربون أرضَ الصحراء علىٰ خُيولهم وإبِلِهم طلبًا للكَلإِ والماء، وأنهم قومٌ من البدو».

❑ ويمضي «هيليار بلاون» فيقول: «إني أقول: إنَّ معجزةً كهذه من حيثُ خَطَرِها، وبُعدِ أثرِها، وعظيمِ نتائجِها، كانت مَسُوقةً بقوَّةٍ لا يُستطاعُ تفسيرُها، وإنْ كان ما لدينا من المصادر والوثائقِ يُساعدُنا علىٰ تفهُّمِ

الأسبابِ التي جَعَلَتْها أمراً واقعًا منظوراً».

*** السير تشارلز إرمان البريطاني:**

◘ مؤرِّخٌ بريطانيٌّ معروف، وُلد عام ١٨٨٦، وتُوفِّي ١٩٤٠، له كتابٌ صغير عن الإسلام، قال فيه: «إن شخصيةَ محمدٍ ثوريةٌ وانقلابية، تفوقُ مَقدِرةَ الشخصِ الموهوبِ العادي، فلم تُنتجْ بلادُ العرب قَبلَه ولا بعدَه فَردًا أثَّر في مجموعِ تاريخِ العالَم، ويكونُ مِن المُضحِك حقًّا الادعاءُ إنه نتيجةٌ محتَّمةٌ لحالةِ بلادِ العربِ الفكريةِ والاقتصاديةِ في القرنِ السابعِ بَعد المسيح، بل إن مَبدأه الذي جاء به هو مبدأٌ اعتنقته أممٌ، وسَرعانَ ما تحقَّقت فكرتُه في بلادِ العرب لأنها نافعةٌ، ولم يكن فيها ما يُحارِبُ لأجله غيرَها من الدياناتِ السابقةِ».

*** العلاَّمة ماكس موللر الإنكليزي:**

مستشرقٌ إنكليزي، وُلد في بلدته «تكيا» سنة ١٧٩٠، وتُوفِّي ١٨٦٥، مؤرِّخٌ قَصصيٌّ، له جَولةٌ واسعةٌ في بلاد العرب، وله مؤلَّفاتٌ، منها «محمد والمحمدية».

◘ قال فيه (ص٢٧): «سوف يَعلمُ المسيحيُّون بدَهَشٍ عظيمٍ أنَّ محمَّدًا أَحدُ معضِّدي يسوع، وأن الديانةَ المحمَّديةَ ما هي إلاَّ شيعةٌ من شِيَعِ الديانةِ النصرانية[1]، وإذ ذاك يَندهشُ المسلمون والمسيحيون مما يُسبِّبُ ما جاء في

---

(١) بل هي الرسالةُ الخاتمةُ لرسالات البشر، وهي المهيمنةُ على ما قبلَها من الشرائع، ومحمدٌ ﷺ مُصدِّقٌ لما قبلَه من إخوانِه الأنبياءِ، وهو أفضلُهم عند الله تعالى.

تاريخهما من الخِصامِ والعَداءِ بسببِ الدِّين الذي جاء به محمدٌ، وسوف يَعلمُ المسيحيون في العالَم أن دينَه خالٍ من كلِّ غُشٍّ، وأن فيه كلَّ ما يَصلُحُ للبشر».

* بوسورت سمث البريطاني:

◻ عالمٌ كبير إنكليزي، وُلد في بلدته «نيوكاسل» عام ١٨١٥، وتُوفِّي في ١٨٩٢م، وهو من كبارِ رجالِ الفِكرِ وعالِمٌ كيميائيٌّ، وله كتابٌ عن الشرقيين اسمه «الأدب في آسيا»، قال في مقدمته: «إنَّ المعجزةَ الخالدةَ التي ادَّعاها محمدٌ هي القرآن، والحقيقةُ إنها لكذلك، وإذا قَدَّرْنا ظروفَ العصرِ الذي عاش فيه، واحترامَ اتباعِه له احترامًا لا حَدَّ له، ووازنَّاه بآباءِ الكنيسة أو بقِدِّيسي القرونِ الوسطىٰ لَتبيَّنَ لنا أن أعظمَ ما هو معجِزٌ في محمدٍ نبيِّ المسلمين أنه لم يَدَّعِ القُدرةَ علىٰ الإتيانِ بالمعجزاتِ، وما قال شيئًا إلاَّ فَعَله وشاهَده منه في الحال أتباعُه، ولم يَنسِبْ إليه الصحابةُ معجزاتٍ لم يأتها أو أنكر صدورَها منه، فأيُّ برهانٍ أقطعُ من ذلك؟ ولقد كان محمدٌ يَدَّعي مِن آخِرِ حياته ـ كما ادَّعىٰ من مبدإ أمره ـ أنه رسولُ اللَّه حقًّا، وإني أعتقدُ أن الفلسفةَ المسيحيةَ العاليةَ ستَعترفُ له بذلك يومًا من الأيام».

◻ وقال في كتابه «محمد والإسلام»: «إذا قَدَّرْنا تاريخَ الإسلام ـ إذ ننظرُ إليه من نافذةِ الإنصاف ـ فإنما نُقدِّرُ صاحبَه الذي أسَّسه ووَضَع حَجَرَه الأساسيَّ، وهو محمدٌ الذي لا نستطيعُ أن نقولَ في حقِّه إلاَّ أنه رجلٌ عظيم بعَقلِه وعَمَلِه وأخلاقِه وبلاغتِه وتديُّنِه، وسيَحملُ له المُنصِفون من النصارىٰ وغيرِهم الإخلاصَ متىٰ عرَفوه في المستقبل».

❑ وقال في كتابه «حياة محمد» (ص٣٤٦): «إن محمداً جاء بكتابٍ مشتملٍ على دستورِ الشرائعِ والعباداتِ وأخبار الأمم، نَقِيُّ العبارةِ من الألفاظِ المستهجَنة، باهِرُ الحِكمةِ والحقائق، وهو أعظمُ معجزةٍ للنبيِّ محمدٍ، والحقُّ يقال: إنَّه لَمعجزة».

* چورچ بروك عُضْوُ البرلمان الإنجليزي:

❑ جاء في مجلة «العالم الإسلامي» لمؤسِّسها القَسِّ «صموئيل زويمر» الإنجليزي، في عددها السابع الصادر باللغة الإنكليزية من سَنَتِها الخامسة، نقلاً عن العدد الرابع من مجلة «الأزهر» لعام ١٩٥٢ (ص١٠٥): «إن جَمعيةَ المسلمين في مدينة «برد فورد» بإنجلترا قد أقامت منذُ قريبٍ حفلاً، فكان من خُطبائه المستر «جورج بروك» عضوُ البرلمان الإنكليزي، وقد نَوَّه في خطابه بما يَبُثُّه الإسلامُ من شعورِ الإخاءِ بين أبنائه».

❑ وقال: «إنه يستطيعُ أن يردَّ الاهتمامَ بالدينِ الإسلاميِّ إلى أنه دينٌ عالَميٌّ بطبيعته».

❑ ثم قال: «إن الإسلامَ دينُ السلامِ والمحبةِ بين البشر، وإنه يَلعبُ دَوراً خطيراً الآن في شؤون العالَم، وإني أعتقدُ أن خَطَرَه وتأثيرَه في مستقبلِ العالم سيزدادُ جيلاً بعد جيل».

* المستر داز الإنكليزي:

مستشرقٌ إنكليزيٌّ ومؤرِّخٌ كبير، ولد في «منشستر» ١٨٢٣، وتُوفي ١٩٠٧.

❑ قال في كتابه «مع الشرق والغرب» ـ وهو أحدُ مؤلَّفاته ـ: «إن

محمدًا كان مجموعةً من الخيال والنبوغ والبحث. . كان محمدٌ زراعيًّا وطبيبًا وقانونيًّا وقائدًا، اقرأْ ما جاء في أحاديثه، تعرفْ صِدقَ ما أقول، ويكفي أنَّ قوله المأثور عنه: «نحن قومٌ لا نأكلُ حتىٰ نجوع، وإذا أكَلْنا لا نشبع»(١) هو الأساسُ الذي بُني عليه عِلمُ الصِّحة، ولا يَستطيعُ الأطباءُ - علىٰ كثرتِهم ومهارتِهم حتىٰ اليوم - أن يأتوا بنصيحةٍ أثمنَ من هذه».

◘ ثم قال: «إن محمدًا هو الذي استطاعَ في مدةٍ وجيزةٍ - لا تَزيدُ علىٰ رُبعِ قرنٍ - أن يَكتسحَ دولتَينِ من أعظمِ دُولِ العالَم، وأن يُحدِثَ ذلك الانقلابَ المدهشَ، وأن يَكبَحَ جِماحَ أُمةٍ اتخذَتِ الصحراءَ المحرقةَ سكنًا لها، واشتُهرت بالشجاعة والغزوِ ورَباطةِ الجأشِ والأخذِ بالثأر. . فمَن الذي يَشكُّ أن القُوَّةَ الخارقةَ للعادةِ التي استطاعَ بها محمدٌ أن يَقهرَ خصومَه هي من عند اللَّه؟!».

* مرة أخرى مع بوسورت سميث الإنكليزي:

مؤرِّخ إنكليزي، وُلد ١٨٣٣، وتوفِّي ١٨٩٧.

◘ قال في مؤلَّفٍ له أسماه «الأدب في التاريخ»: «مِن حُسنِ الحظِّ الوحيدِ في التاريخ - دون غيره - هو أن محمدًا أَسَّس في وقتٍ واحدٍ ثلاثةً هي من عظائمِ الأمور وجلائلِ الأعمال، فإنه مؤسِّسٌ لأُمةٍ إمبراطوريةٍ وديانة، وقلَّما كان يقرأُ ويكتبُ(٢)، وكان داعيًا إلىٰ الرحمة والعدلِ والكرمِ والشجاعةِ والصبرِ علىٰ المكاره والصِّدقِ وغير ذلك من مكارم الأخلاق».

(١) لا يصح عن رسولنا ﷺ.

(٢) بل لم يكن يقرأ ويكتب إطلاقًا.

وقال: «إن الدينَ وحدَه هو القانونُ الطبيعيُّ الذي يَجبُ علىٰ الناسِ أن يَتَّبعوه».

* **المستر جون ديفولبوت البريطاني:**

مستشرقٌ بريطاني، وُلد سنة ١٨٣٢، وتوفِّي ١٩٠٢، وهو من علماءِ الطبيعة، وأستاذٌ في علمِ الجيولوجيا.

قال في أحد مؤلَّفاته «العجائب»: «هل بالإمكانِ إنكارُ فضلِ محمدٍ نبيِّ العرب الذي قام بإصلاحاتٍ غريبةٍ وعظيمةٍ، فكانت خالدةً لبلادِه؟! فقد جَعَل أهلَها يَعبُدون اللّه، ويهجُرون عبادةَ الأصنام، وهو الذي مَنَع قَتلَ الموؤودةِ، وحَرَّم شُربَ الخمر وفِعْلَ الميسر، وتَرَك لأُمَّته مَبدأً لا يزال، وعليه يَعملُ الملايينُ من الناس».

* **إدوارد لين الإنجليزي:**

مستشرقٌ عاش رَدْحًا من الوقتِ في القاهرة، وُلِد عام ١٨٠٣م، وتُوفِّي سنة ١٨٧٧م، وذلك في بلدته «إكسياد»، له عدَّةُ مولَّفاتٍ، منها: «أخلاق وعادات المصريين» جاء فيه: «إنَّ محمداً كان يَتَّصفُ بكثيرٍ من الخِصالِ الحميدة، كاللُّطفِ والشجاعةِ ومكارمِ الأخلاق، حتىٰ إنَّ الإنسانَ لا يَستطيعُ أن يَحكمَ عليه دون أن يتأثَّر بما تتركُه هذه الصفاتُ في نفسِه من أثَرٍ، كيف لا! وقد احتَمل محمدٌ عَداءَ أهلِه وعشيرتِه بصبرٍ وجَلَدٍ عظيمين، ومع ذلك فقد بَلَغ من نُبْله أنه لم يكن يَسْحَبُ يَدَه من يدِ مصافِحِه - حتىٰ ولو كان يُصافحُ طفلاً -، وأنه لم يَمرَّ يومًا من الأيام بجماعةٍ - رجالاً كانوا أو أطفالاً - دونَ أن يُقرِأَهم السلامَ وعلىٰ شَفَتَيه ابتسامةٌ حُلوة، وقد كان محمدٌ

غَيُوراً ومتحمسًا، وكان يُحارِبُ الباطل، وكان رسولاً من السماء، وكان يُريدُ أن يؤدِّيَ رسالتَه على أكملِ وجهٍ، كما أنه لم يَنْسَ يومًا من الأيام الغرضَ الذي بُعث لأجله، ودائمًا كان يَعملُ له ويتحمَّلُ في سبيله جَميعَ أنواعِ البلايا، حتى انتهى إلى إتمامِ ما يُريد».

* **والفضل ما شهِدتْ به الأعداء:**

نَقلت مجلة «العرفان اللبنانية» في آخر الجزءِ الثالث من المجلد (٣٢١) عن مجلة «العالم الإسلامي» الإنجليزية لصاحبها القَسِّ «زويمر» ما يلي: «فالقرآن الذي نَزل على محمدٍ بدلاً مِن أن يكونَ ضربةً قاضيةً على التقدُّمِ، هو كتابٌ ﴿**أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ [هود: ١]، فيه آياتٌ بينات، ودلائلُ واضحات، وأخبارٌ صادقة، ومواعظُ رائعة، وشرائعُ راقية، صالحةٌ لكلِّ أُمةٍ ولكلِّ زمان».

* **العلاَّمة لين بول البريطاني:**

مستشرقٌ بريطاني، وُلد عام ١٨٥٣، وتوفِّي عام ١٩١٧، له اطِّلاعٌ واسعٌ على تاريخ العرب، وهو واضعُ فهرست المسكوكات المحفوظة في دار الكتب المصرية عام ١٨٩٧، وله رسالةٌ في تاريخ العرب، قال فيها: «إنَّ ما اتَّصف به محمدٌ من الصبر واحتمالِ المكارِه والعفوِ عند المقدرة، لَبرهانٌ لنا واضحٌ على أنه كان صادقًا، إذ يقول: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فمحمدٌ ذو يقينٍ راسخٍ وقوةِ عزمٍ هائلة».

* * *

* **الراهبة البريطانية كارين أرمسترونج تدافعُ عن الإسلام:**

من هؤلاء المُنصِفِين للإسلامِ الكاتبةُ البريطانية «كارين أرمسترونج»، وهي في الأصل راهبة، تحوَّلت إلى البحثِ في تاريخ الأديان، وقد تَركت الرَّهْبنةَ بعدَ أنْ وَجَدت أن حياةَ الأديرةِ لا تُناسبُ طبيعتَها وتمسُّكها بحريةِ التفكير للوصول إلى الحقيقة دون ضغطٍ عليها، وقد توصَّلت إلى أن هناك قاسمًا مشتركًا بين الدياناتِ الثلاثة، وأن القِيَمَ الجوهريةَ في كلٍّ الديانات واحدة.

«وكارين أرمسترونج» تُقدِّمُ الدليلَ للغربِ على أن الإسلامَ دينٌ من عند اللَّه، وأن محمداً ﷺ رسولٌ بعَثه اللَّهُ بدينِ الإسلام، وأن هذا الدينَ للبَشَر جميعًا - وليس للعرب وحدَهم -، وبموضوعيةٍ ملحوظةٍ قامت بتصحيحِ المفاهيمِ المغلوطةِ عن الإسلام، وقد اتَّخذت مِن رُدودِ فِعلِ المسلمين إزاءَ كِتابِ سلمان رشدي «آيات شيطانية» ومبالغةِ الغرب في الدعايةِ لهذا الكتاب، مُنطلقًا لكتابِها «محمد.. سيرة النبي»، ولِحُسن الحظِّ أن هذا الكتابَ ترجَمَه إلى العربية اثنانِ من أكفإِ المترجِمِين وأكثرِهم خِبرةٍ ودِقةً، هما الدكتورة «فاطمة نصر»، والدكتور «محمد عناني»، وقدَّما للكِتابِ بمقدِّمةٍ مهمةٍ، قالا فيها: «إن حافزَهما على ترجمةِ هذا الكتابَ ليس الزهوَ بذلك الصوتِ الغربيِّ المسيحيِّ الذي حاول إنصافَ الرسول ﷺ وقدَّم شهادةً موضوعيةً عنه وعن الإسلام، فهما لن تَضِيرَهما عداوةٌ أو تُنصِفَهما صداقةُ أحد».

والكتابُ موجَّهٌ إلى القارئ الغربيِّ، وليس إلى القارئ العربيِّ المسلم،

فلن يُضيفَ إليه جديداً، ولكنه نموذجٌ للكتابةِ الموضوعيةِ غير المتحيِّزة، خاصةً وأنها تكشفُ في هذا الكتاب التناقضَ في العقليةِ الغربيةِ بين ادِّعائها بأنها عقليةٌ علميةٌ وموضوعيةٌ ومُحايِدة، وبين تحيُّزِها المبدئيِّ ضدَّ الإسلامِ ورسولِه دونَ دراسةٍ أو تحليلٍ كافيَينِ لعقائدِ الإسلامِ وسيرةِ الرسول ﷺ وتاريخِ الحضارة الإسلامية.

□ تقول «كارين أرمسترونج»: «إنَّ لدينا في الغربِ تاريخًا طويلاً من العَداءِ للإسلام، راسخَ الجذور، ولم يَعُدْ يَمنعُ الناسَ شيءٌ عن مهاجمةِ هذا الدين، حتىٰ لو كانوا لا يَعرِفون عنه غيرَ أقلِّ القليل! ويرجعُ هذا العَداءُ إلىٰ الفترة التي نشأت فيها الإمبراطوريةُ الإسلامية في القرنِ السابعِ الميلادي، وكانت أوربا منطقةً متخلِّفةً، وامتَدَّت الفتوحاتُ الإسلاميةُ بسرعةٍ إلىٰ مُعظَمِ مناطقِ العالَم المسيحيِّ في الشرق الأوسط، وإلىٰ الكنيسةِ المسيحيةِ العظيمةِ في شمالِ إفريقيا، وكان زَحفُ الإسلام بهذه القوةِ والسرعةِ خطراً داهمًا يتهدَّدُ الغرب، إذ تساءلوا: هل تخلَّىٰ اللَّهُ عن المسيحيين، ومَنَح رضاه لهؤلاء (الكفار)؟، وحتىٰ بَعَد أن خَرَجت أوربا من عصورِها المُظلِمة وأنشأت حضارتَها العظيمةَ، ظلَّ لديها الخوفُ من توسُّع الإمبراطوريةِ الإسلامية، خاصةً وقد تأكَّد لأوربا عَجْزُها عن التأثيرِ في تلك الثقافةِ القوية، وكان الفشلُ هو نهايةَ المشروع الصليبيِّ في القرنين الثاني عَشَر والثالثَ عَشَرَ، ولم يَلبث العثمانيون أن جاؤُوا بالإسلام إلىٰ داخلِ أوربا نفسِها، وكان مِن المُحالِ علىٰ المسيحيين الغربيين أن يلتزموا بالعقلانية أو الموضوعية تُجاهَ العقيدةِ الإسلامية، فكانوا يَنسجون مِن خيالهم صُوراً

مخيفةً عن اليهود، ويرسُمون في نفسِ الوقت صُورةً شائهةً (قبيحةً) للإسلامِ تُعبِّرُ عن الشعورِ بالقلق في أعماقهم من هذا الدين».

❑ وتقول «كارين أرمسترونج»: «إن علماءَ الغرب كانوا يُهاجمون الإسلامَ، ويَصِفون محمداً ﷺ بأنه «المدَّعِي الأكبر»، ويتَّهمونه بأنه أنشأ ديناً قائماً على العُنفِ والسَّيفِ لفَتحِ العالم، وحَرَّفوا اسمَ محمدٍ ﷺ إلى «ماهوميت» تعبيراً عن كراهيتهم للاسم ولصاحبه.. وقد أصبح اسمُ «ماهوميت» البُعُبعَ الذي يُخيفُ الناسَ في أوربا، حتى إنَّ الأمهاتِ كنَّ يَستعمِلْنَ الاسمَ لتخويفِ أطفالِهن، وكانت المسرحياتُ الغربيةُ تُصوِّرُ «ماهوميت» ودعوتَه في صورةِ العدوِّ للحضارة الغربية، حتى أصبحت هذه الصورةُ الزائفةُ للإسلام من الأفكارِ الراسخةِ التي لا تزالُ تؤثِّرُ حتى اليومِ في آراءِ ونَظرةِ الغربيين إلى العالم الإسلامي، وزاد مِن تعقيدِ المشكلة أن المسلمين قابلوا عَداوةَ الغربِ لهم بالعداوةِ للغرب».

❑ وتُشير «كارين أرمسترونج» إلى الكتاباتِ السابقة عن محمد ﷺ، وأهمُّها كتابَيْ «مونتجومري وات» وهما «محمد في مكة»، و«محمد في المدينة»، وتقول عنهما: «أنهما كتابان دراسيَّان موجَّهان للطلبة، وكلٌّ منهما يَفترضُ معرفةَ القارئِ بحياةِ محمدٍ وهي غائبةٌ عن كثيرين»، وكتاب «مارتن لنجز» وهو بعنوان «محمد.. سيرة حياته استناداً إلى أقدم المصادر»، وفيه معلوماتٌ باهرةٌ استقاها من كُتبِ السيرة من القرنِ الثامنِ الميلادي إلى القرن العاشر، ولكنَّ هذا الكتاب موجَّهٌ إلى المقتنعين بالإسلام ورسوله، ولا يناقشُ المخالِفين والرافضين، وكتابُ المستشرق الفرنسي «ماكسيم

رودنسون» وهو بعنوان «محمد».

❑ وتقول «كارين أرمسترونج»: «لقد تعلَّمتُ من كِتابِ «رودنسون» كثيرًا، ولكنه كَتَبه من وِجهةِ نظرِ المتشكك، وركَّز على الجوانبِ السياسيةِ والحربيةِ في حياة النبي ﷺ، ولذلك لا يُساعِدُ قارئَه الغربيَّ على تفهُّمِ الرؤية الرُّوحيةِ للنبيِّ محمد ﷺ».

❑ وبَعد هذا الاستعراضِ تتحدَّثُ عن منهجِها في دراسةِ الرسول ﷺ، فتقول: «إن نقطةَ الانطلاق هي أننا نَعرفُ عن محمد ﷺ أكثَرَ ممَّا نعرفُ عن أيِّ مؤسِّسٍ لأيِّ دينٍ من الأديان الرئيسة الأخرى، وإنَّ دراسةَ حياتِه يُمكنُ أن تَهَبَنا إدراكًا عميقًا ومُهِمًّا لطبيعةِ التجربةِ الدينية».

وترى «كارين أرمسترونج» أن التجرِبةَ الدينية التي خاضها محمدٌ ﷺ تتشابهُ مع تجارِبِ أنبياءِ بني إسرائيل ومع تجربةِ القِدِّيسة «تيريزا»، ولقد نَجَح محمدٌ ﷺ نجاحًا سياسيًّا غير عاديٍّ، ويَميلُ المسيحيون إلى التشكيكِ في الطابع الإلهيِّ لهذا الانتصارِ الدنيوي.

❑ وتتساءل: «ألاَ يوجدُ طريقٌ آخَرُ يوصِلُنا إلى اللَّه سوى طريقِ الإخفاقِ الذي سَلَكه المسيح؟».

❑ الفصل الأول من كتاب «كارين أرمسترونج» بعنوان «العدو محمد»، تقول فيه: «إن الغربيين أدانوا المَشهدَ الذي ظَهَر فيه المسلمون في إحدى المُدنِ البريطانيةِ وهم يَحرِقون روايةَ «سلمان رشدي»، ولكنهم لم يتذكَّروا حوادثَ إحراقِ الكُتبِ في أوربا المسيحية على مرِّ القرون! وعلى سبيل المثال، فقد قام المِلكُ «لويس التاسع» ـ ملك فرنسا ـ بإدانةِ التِّلمود

اليهوديِّ باعتبارِه هجومًا خبيثًا علىٰ شخصِ السيد المسيح، وكان المَلِك «لويس التاسع» يَشغَلُ منصبَ قدِّيسٍ رسميٍّ في الكنيسة الكاثوليكية، وأصدر أمرًا بحَظْرِ الكِتاب، وأُضرِمَتِ النارُ في جميعِ النُّسَخِ أمام المَلِك، ولم يَقبلْ مناقشةَ خلافاتِه مع الجالياتِ اليهوديةِ في فرنسا بالوسائل السِّلمية، وقال: «إن الأسلوبَ الوحيدَ للمناقشةِ مع اليهوديِّ أن تقتلَه بطعنةٍ نافذةٍ في بطنه بأقصىٰ ما يَصِلُ إليه السيفُ».

وكان «لويس التاسع» هو الذي بدأ الحملةَ الأولىٰ من محاكم التفتيش، ولم يكتفِ بإحراقِ كُتبِ مَنِ اعتَبَرهم المارقينَ من المسيحيين، بل أحرَقَ المئاتِ من الرجالِ والنساءِ منهم، كما كان يَكرهُ المسلمين، وقاد حَمْلَتَينِ من الحَمْلاتِ الصليبيةِ ضدَّ العالم الإسلامي».

وتَعتبرُ «كارين أرمسترونج» أن التاريخَ المريرَ للعلاقاتِ بين المسلمين والغربِ بدأ بالهجوم علىٰ النبيِّ محمد ﷺ في الأندلس، ففي عام (٨٥٠) ميلادية خَرَج راهبٌ اسمه «بير فكتوس» إلىٰ السوق في «قُرطبة» - وكانت عاصمةَ الأندلس الإسلامية، فقابلَ بعضَ المسلمين، وسألوه أن يُفاضلَ بين النبيِّ عيسىٰ والنبيِّ محمد، فانطلق يَصُبُّ وابلاً من الشتائم، زَعَم مِن خلالِها أن نبيَّ الإسلام دجالٌ ومُولَعٌ بالجنس، وأنه هو المسيحُ الدجال، وسُرعانَ ما أُلقي به في السجن.

وكانت تلك حادثةً شاذةً في «قرطبة»، لأن العلاقاتِ كانت طيبةً بين المسلمين والمسيحيين، وكان الحُكمُ الإسلاميُّ في الأندلس يُعطِي الحريةَ الدينية للمسيحيين واليهود، وكانت الحضارةُ الإسلاميةُ ورُوحُ التسامحِ

الدينيِّ فيها سابقةً لجميع دول أوربا .

وعندما وصل «بير فكتوس» إلىٰ القاضي كان يَرتعدُ خوفًا ورُعبًا، ولكنَّ القاضي لم يُصدِرْ حُكمًا بإعدامِه لإهانتِه الإسلامَ ورسولَه، لأنه رأىٰ أنه كان ضحيةَ استفزازٍ من المسلمين، ولكن «بير فكتوس» بعد إطلاقِ سراحِه ظل يَسُبُّ نبيَّ الإسلام سبًّا بذيئًا، فلم يَجِدِ القاضي بُدًّا من الحُكمِ بإعدامه، فتَجمَّع عددٌ من المسيحيين، وكوَّنوا جماعةً اعتَبرت «بير فكتوس» شهيدًا، وبعدها بأيامٍ ظَهَر راهبٌ آخرُ يُدعىٰ «إسحاق» ظَلَّ يَسُبُّ الإسلامَ ونبيَّ الإسلام بحرارةٍ جَعلت القاضي يظنُّ أنه مخمورٌ أو مختلٌّ عقليًّا، ولَمَّا استمرَّ في السِّباب - وهو في كامل وعيه - لم يَجِدَ القاضي بُدًّا من الحُكم عليه، ولم يكن المسلمون يَضيقون بمعتقداتِ الديانات الأخرىٰ بما فيها نقاطَ الخلافِ مع الإسلام، لأن الإسلامَ وُلد في ظلِّ التعدُّديةِ الدينية، وتَعايَشَ مع جميعِ العقائد علىٰ مرِّ العصور، ولم يكن القانونُ في الإمبراطوريةِ الإسلاميةِ يُحَرِّمُ الدعوةَ المسيحيةَ، وكان يَشترطُ فقط ألاَّ يتعرَّضَ المسيحيون في دعوتهم للهجوم علىٰ النبيِّ محمدٍ ﷺ .

ولم تَمضِ أيامٌ علىٰ إعدامِ «إسحاق» حتىٰ وصل سِتَّةُ رُهبانٍ من الدَّيرِ نفسِه، وقاموا بالتهجُّمِ علىٰ النبيِّ محمد ﷺ بصورةٍ مُقذِعة، وانتشرت هذه الظاهرةُ حتىٰ بَلَغ عددُ من حُكم عليهم خمسين، واشترك أسقفُ قرطبة في إدانتِهم، ولكنهم اعتُبروا «شهداءَ قرطبة»! وانتَشرت هذه القصَّةُ في الغربِ، وكان الإسلامُ في ذلك الوقتِ قوةً عالميةً، وكانت أوربا قد اكتَسحتها القبائلُ الهمجيةُ، وأصبحت بِرْكةً راكدةً، وكان العالَم يبدو كأنه

قد أصبح كلُّه إسلاميًّا، كما نرىٰ العالَمَ اليومَ كأنه أصبح كلُّه غربيًّا، وظلَّ الإسلامُ في كلِّ العصور يُمثِّلُ التحدِّي للغرب.

☐ وكانت صيحاتُ التهجُّمِ علىٰ الإسلامِ ورسولِه التي أطلقها «شهداء قراطبة» تَستندُ إلىٰ وَهمٍ في عقولٍ (سيطر عليها الرعبُ) أن محمداً دجَّال، نَصَّب نفسَه نبيًّا لِيخدعَ العالَم، وأنه فاسقٌ يدفعُ أتباعَه إلىٰ محاكاته، وأنه يُجبِرُ الناسُ علىٰ اعتناق عقيدتِه بحدِّ السيف. وانتهت هذه الأوهامُ إلىٰ القولِ بأن الإسلامَ ليس دينًا، بل هو بدعةٌ، أو صورةٌ مشوَّهةٌ من المسيحية.

هذه الصورةُ التي تكونت من الأوهام في الأندلس، أُسدل عليها سِتارُ النسيان، ثم عادت بعد (٢٥٠) سنةً لتُردِّدَ نفسَ هذه الأوهام، وهناك بعضُ الباحثين المتعمِّقين حاولوا وضعَ تصوُّرٍ موضوعيٍّ لنبيِّ الإسلام وللدينِ الذي أتىٰ به، لكنَّ الصورةَ المشوَّهةَ استمرَّت علىٰ المستوىٰ الشعبي، وما تزالُ آثارُ هذه الأوهامِ القديمةِ موجودةً حتىٰ يومِنا هذا، وما زال شائعًا في الغربِ القولُ بأن محمداً ليس سوىٰ رجلٍ قام باستغلال الدين لتحقيق الفتوحاتِ وسيادةِ العالم، وأنَّ الإسلامَ دينُ عُنفٍ وحرب، علىٰ الرغمِ من ظهورِ دراساتٍ تُبيِّنُ خطأَ وفُحشَ هذه الأسطورة.

☐ وكان جَهلُ الأوروبيِّين بالإسلام في زمنِ الحربِ الصليبية يَصِلُ إلىٰ تصوُّرِهم للمسلمين بأنهم يركعون أمامَ ثلاثةِ آلهة هي «أبولو» و«تيرفاجان» و«محمد»، ولم يعتبروا المسلمين بَشَرًا مِثلَهم، ولذلك قاموا بارتكابِ مذبحةٍ لا مَثيلَ لها في التاريخ لسُكَّان القُدسِ المسلمين، وقالوا: «إن

المسلمين وَباءٌ لا بدَّ من تطهيرِ الأماكنِ المقدَّسةِ منه»، وكانوا عندما يتحدَّثون عن المسلمين يُطلقون عليهم اسم «القذارة».

◻ وتُشير «كارين أر مستروبخ» إلىٰ أن اهتمامَ أوربا بالنبيِّ محمدٍ ﷺ يكادُ يكونُ معدومًا حتىٰ عام (١١٠٠) ميلادية، وشاعت المعرفةُ به في (١١٢٠) علىٰ أنه «ماهاوند» عدوٌّ الممالكِ المسيحية، وتنقلُ عن الباحث البريطاني «د. و ساذرن» سُطوراً عن دراسته بعنوان «صور الإسلام في الغرب في العصور الوسطىٰ»، يقول فيها: «لا شك أنهم عندما وَضعوا هذه الأساطيرَ والأوهام، كانوا يَرَون أنها الصورةُ الحقيقية، ولم تتغيَّرْ صورةُ محمدٍ وأتباعِه كثيراً عن كونهم أبناءَ الصحراء».

وتُعلِّقُ علىٰ ذلك بأن هذا الطابعَ الخياليَّ لشخصيةِ «ماهاوند» هو الذي أدَّىٰ إلىٰ صعوبة النظر إلىٰ النبي محمدٍ ﷺ في الغرب علىٰ أنه شخصيَّةٌ تاريخيةٌ جديرةٌ بالدراسة كما يفعلون مع «نابليون» أو «الإسكندر الأكبر»، ولهذا كانت الصورةُ الخياليةُ لشخصية «ماهاوند» في رواية «سلمان رشدي» متَّفقةً مع هذه الأوهامِ الغربيةِ الراسخةِ بعُمق، ومن ذلك الزعم أن الرسول ﷺ كان ساحراً خَدَعَ الناسَ بمعجزاتٍ زائفة، وأنه قام بتدريب حَمامةٍ علىٰ التقاط حَبَّاتِ البازلاَّء من أُذنيه، حتىٰ يبدوَ للرائي كأنَّ رُوحَ القدسِ تتنزَّلُ عليه وتَهمِسُ له بالوحي، وقالوا أيضًا: «إنه ﷺ كان يُعاني من الصرع»، وأفاضوا في الحديث عن حياتِه الجنسيَّة.

تُعلِّقُ «كارين أرمستروبخ» علىٰ كل ذلك بأن المسيحيين الغربيينَ لم يستطيعوا تفسيرَ الرؤيةِ الدينيةِ الرائعةِ والمُقنِعةِ التي أتىٰ بها محمدٌ ﷺ وسرِّ

نجاحِها إلاَّ بإنكارِ الوحي والقولِ بأن الإسلامَ فِرقةٌ خارجةٌ علىٰ المسيحية، كما تُفسرِّ قَلَقَ المسيحيين من الإسلام بالأعمالِ العُدوانيةِ التي ارتكبوها باسمِ المسيحية ضدَّ المسلمين في الحروب الصليبية، وهي ممارساتٌ لا علاقةَ لها بدعوةِ السلام التي جاء بها المسيح.

❑ وتقول: «إن الكنيسةَ كانت تَفرِضُ علىٰ رجالِ الدينِ الامتناعَ عن الزواجِ مع رغبتِهم فيه، فكانت المبالغةُ في الرواياتِ عن الحياةِ الجنسيةِ للنبيِّ محمدٍ ﷺ تعبيراً عن الكَبْتِ الذي يُعاني منه هؤلاء أكثَرَ ممَّا هي تعبيرٌ عن الحقائق.. أما اتهامُهم للإسلام بأنه لا يَعترفُ بالحريةِ الدينيةِ، فهو نوعٌ من إلقاءِ التُّهمة علىٰ الآخر؛ لأن الغربَ ـ وليس الإسلام ـ هو الذي مَنَع حريةَ المناقشةِ في المسائلِ الدينية، وكان يُعاقِبُ كلَّ مَن يَخرجُ علىٰ الفِكرِ الذي تَفرِضُه الكنيسةُ بالحَرْقِ علىٰ أيدي «محاكم التفتيش»، وكذلك قامت بعد ذلك حركةُ اضطهادِ البروتستانت والكاثوليك بعضِهم لبعضٍ بسبب الخلافاتِ الدينية بين الطائفتين.

ولَمَّا كانت اليهوديةُ هي الدينَ الأجنبيَّ الوحيدَ في أوروبا في ذلك الوقت، فقد بدأت الحَمْلاتُ الصليبيةُ بمَذابحَ لليهود في «وادي نهر الراين»، وكانت تلك أولىٰ المذابحِ الجماعيةِ في أوروبا، وأصبح العَداءُ للساميةِ مرضاً مُزمنًا، حتىٰ إن الأساطيرَ الأوروبيةَ وَصلت في عَدائِها لليهود إلىٰ حدِّ القولِ بأن اليهودَ يَقتُلون الأطفالَ ويَمزجُون دماءَهم بخبزِ «عيدِ الفِصح» العبراني، وأنهم يُدبِّرون مؤامرةً دوليةً للإطاحة بالمسيحية».

❑ وتقولَ «كارين أرمسترونج»: «إن مِثلَ هذه الأساطيرِ المُعاديةِ لليهود

لم يَظهرْ مِثلُها في العالَم الإسلامي في أيِّ عصرٍ من العصور، لكنَّ التعصُّبَ كان في أوروبا، حتىٰ إنه بَعد الاستيلاءِ علىٰ الأندلس وجنوبِ إيطاليا وصقلية وعودتِها إلىٰ المسيحية، بَقِيَ في هذه المناطقِ مسلمون ويهود فُرضت عليهم العُزلة، ومَنعت الحكومةُ المسيحيين من التعامُل معهم، وصَدرت تشريعاتٌ كَنَسيَّةٌ خاصةٌ في المجلسَينِ البابويَّينِ، أحدُهما عُقد سنة ١١٧٩، والثاني في سنة ١٢١٥ تَعتبرُ اليهودَ والمسلمين «العدوَّ»، وتَفرضُ هذه التشريعاتُ عقوباتٍ علىٰ كلِّ مَن يتعاملُ مع المسلمين واليهود أو يُشارِكُه الطعــامَ بالطردِ من الكنيسـة ومصادرةِ الممتـلكات، وقد أصـدر البابا «جريجوريوس التاسع» في عام ١٢٢٧ مراسيمَ بابَويةً تَفرضُ علىٰ المسلمين واليهودِ أن يَرتَدُوا ملابسَ مميَّزةً، ويَحظُرُ عليهم الظهورَ في الشوارع أثناءَ الأعياد المسيحية، ويُحرِّمُ تولِّيَهم مناصبَ حكوميةً في البلادِ المسيحية، ومَنَع الجَهْرَ بالأذان حتىٰ لا يؤذيَ أسماعَ المسيحيين.

وبعد ذلك أعلن الباب «كليمنت الخامس» (١٣٠٥ ـ ١٣١٤) أنَّ وجودَ مسلمٍ علىٰ الأرضِ المسيحيةِ يُعتبرُ إهانةً للَّه.

وقبل ذلك قام مَلِكُ فرنسا «شارل آنشوا» عام ١٣٠١ بإبادةِ مَن بَقِيَ من المسلمين أبناءِ صقلية وجنوب إيطاليا.

وقد ظَلَّت محاكمُ التفتيش في إسبانيا تضطهدُ المسلمين وذريَّتَهم علىٰ مَدىٰ ٣٠٠ سنة».

وسِجِلُّ العَداءِ أكبرُ ممَّا يَصِلُ إليه الخيال، ويمكنُ لمن يريدُ معرفةَ المزيدِ العودةُ إلىٰ كتاب «كارين أرمسترونج»، ففيه الكثير.

وهي بعدَ ذلك تتحدَّثُ في فصلٍ بعنوان «محمد رجل اللَّه» عن معجزاتِ الرسول ﷺ:

وأولُها: أنه أصبحت كلمة «اللَّه» تترددُ لأولِ مرةٍ في بلاد العرب.

وثانيها: أن الرسول ﷺ حَقَّق معجزةً بتوحيدِ العربِ، وكان مستحيلاً أن تتوحَّد هذه القبائلُ المتحارِبة. . وعلىٰ هذا فإنْ كان ذلك النصرُ السياسيُّ هو الإنجازَ الوحيدَ لمحمدٍ ﷺ، فمن حَقِّه علينا أن يَحوزَ إعجابَنا، لكنَّ النجاحَ الأكبرَ لمحمدٍ ﷺ كان في نَشرِ الإيمانِ بالدينِ الذي غَيَّر مَجرىٰ التاريخ.

أمَّا شخصُ محمدٍ ﷺ - كما تقول، وكما تُظهِرُ الكتابات - فإنه يختلفُ كلَّ الاختلافِ عن شخصيةِ المسيح المثاليَّةِ الخارقةِ للطبيعية - كما يُظهِرُها الإنجيل -، وعلىٰ رَغمِ أنه أصبح لمحمدٍ ﷺ عند المسلمين هالةٌ رمزيةٌ إلاَّ أنهم لم يَدَّعوا أبدًا أنه مقدَّس، بل إنه - كما تُقدِّمُه السِّيَرُ الأولىٰ - شخصيةٌ إنسانية، ليس فيها تشابُهٌ مع شخصياتِ القدِّيسين المسيحيين، وتُماثِلُ شخصيةُ محمدٍ ﷺ شخصياتِ التوراةِ النابضةَ بالحياة من أمثالِ موسىٰ، وداودَ، وسليمانَ، وإلياسَ، وإسحاقَ، وتبدو شخصيةُ محمدٍ ﷺ شخصيةً قويةَ المشاعر ذاتَ أبعادٍ مركَّبةٍ، ويتمتَّعُ بمواهبَ رُوحانيةٍ وسياسيةٍ عظيمة، وكان يتملَّكُه الغضبُ أحيانًا، كما كان شديدَ التأثرِ والرحمة.

وتقول: «لم نقرأْ أبدًا أن المسيحَ ضَحِك، ولكنْ كثيرًا ما نقرأ أن محمداً ﷺ كان يبتسمُ ويُداعِبُ الأطفالَ والصحابة، ويختلفُ مع زوجاته، ويَبكي لموتِ أحدِ أصحابه، ويَعرِضُ ابنَه الوليدَ مزهوًّا كأيِّ أبٍ، فإذا نظرنا

إليه كشخصيةٍ تاريخيةٍ عظيمةٍ، فمن المؤكَّد أننا سنراه من أعظمِ العباقرةِ الذين عرَفهم التاريخ؛ ولكي نُوفِّيَ عبقريتَه حقَّها، علينا أن ندرُسَ المجتمعَ الذي وُلد فيه، والقُوىٰ التي كان عليه أن يدخلَ معها في صراع، فقد كان اليهودُ يؤمنون بإلهٍ واحد «يهوه»، لكنهم كانوا يعتقدون في وجودِ آلهةٍ أخرىٰ، والوصايا العشرُ في التوراة تعترفُ ضِمنًا بوجودِ آلهةٍ أخرىٰ يعبدونها، مِثلِ الوصية التي تقول: «لا يكنْ لك آلهةٌ أُخرىٰ أمامي»، ولم تتحقَّقِ الوحدانيةُ في اليهودية إلاَّ علىٰ يد «إشعيا الثاني» بعد ٧٠٠ سنةٍ من خروج الإسرائيليين من مصرَ عام ١٢٥٠ قبل الميلاد. . أما محمدٌ ﷺ، فقد انطلق ليجعلَ العرَبَ يؤمنون بالتوحيدِ في فترةٍ لا تتعدَّىٰ ٢٣ عامًا، وهذه عمليةٌ صعبةٌ تتطلَّبُ تغييرَ الوعي الإنسانيِّ نفسه».

◻ وتقف «كارين أرمسترونج» عند مسألةٍ حسَّاسةٍ في السِّيرة النبوية، عندما حاولَتْ فهم الآيات: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣ ـ ٧٥].

◻ فتقول: «إن الدارِسينَ في الغرب يَفترِضون أن تلك الآيةَ تشيرُ إلىٰ حادثةِ ما يُدعىٰ «آيات شيطانية» يدَّعون بها أن محمدًا ﷺ قَدَّم تنازلاتٍ مؤقَّتةً للمشركين، والقصةُ ـ كما في «طبقاتِ ابن سعدٍ» و«تاريخِ الطبري» ـ أن الشيطانَ تدخَّل في إحدىٰ المناسبات، وتقول المأثورات: إن محمدًا ﷺ أثناءَ تلقيه سورة «النجم» شَعُر بإيحاءٍ أن ينطقَ بآيتين تقولانِ: إن الآلهةَ

الثلاثَ «ألَلات وألعُزَّىٰ ومناة» من الممكن أن يكنَّ وسيطاتٍ بين اللَّه والبشر، وبما أن قريشًا كانت تعتقدُ أنهن «بناتُ اللَّه»، وأنهن مقدَّسات، فقد ظنُّوا خطأً أن القرآنَ قد وَضع هذه الآلهةَ في منزلةٍ واحدةٍ مع اللَّه، واعتقاداً منهم أن محمداً ﷺ قد تَقبَّل آلهتَهم سَجَدت قريشٌ لتؤدِّيَ الصلاةَ مع المسلمين، وبدا وكأنَّ الخلافَ قد انتهىٰ، وتقول القصة: «إنَّ محمداً ﷺ تلقَّىٰ الوَحيَ الإلهيَّ بأن قَبولَه الظاهريَّ لهذه الآلهةِ كان وحيًا من الشيطان، وبناءً علىٰ ذلك حُذفت الآيتانِ من القرآن، واستُبدلتا بآياتٍ أخرىٰ تَلعنُ الآلهةَ الثلاث»!!».

☐ وتُعلِّق «كارين أرمسترونج» علىٰ هذه الرواية التي يُروِّجُ لها كثيرٌ من الغربيين فتقول: «إن هذه القصةَ غيرُ صحيحةٍ ومشكوكٌ في صحَّتِها لدىٰ المسلمين، ولا توجدُ إشارةٌ واضحةٌ إليها في القرآن، وفي التسجيل المبكِّرِ للسيرةِ «في سيرة ابن إسحاق» لا توجدُ أيَّةُ إشارةٍ إلىٰ هذه الواقعة، كما أنها لم تُذكر في مجموعاتِ الأحاديثِ الكبيرةِ التي جَمَعها البخاريُّ ومسلمٌ في القرنِ التاسع الميلادي، وحينما يَرفضُ المسلمون شيئًا من التراث، فإنهم لا يَفعلون ذلك بدافعِ احتمالِ التأويلاتِ النقديَّةِ لِمَا يرفُضون، لكنْ لعدم كفايةِ الأدلة، ومع ذلك فإنَّ أعداءَ الإسلام في الغرب ـ كما تقول ـ رَأَوا في هذه القصةِ مناسبةً كي يُشكِّكوا في محمدٍ ﷺ، وليقولوا: كيف لرجلٍ قام بتغييرِ الكلماتِ السماويةِ طِبقًا لِمَا ارتآه أن يكون نبيًّا؟ وعلىٰ رغمِ ذلك فقد حاول باحثون ـ مِثلُ ماكسيم رودنسون، ومنتجومري ـ مؤخَّراً أن يُبرهنوا علىٰ أنَّ القصةَ في صياغتِها لا تَحتملُ تأويلاً سلبيًّا، ولكنَّ هذه القصةُ التي لم يَهتمَّ

بها المسلمون ظَلَّت علىٰ قَدرٍ كبيرٍ من الأهمية في الغرب، وتفجَّرت عام ١٩٨٨، وهو العام الذي نَشر فيه «سلمان رشدي» روايته «آيات شيطانية»، وجَعل من هذه القصةِ مِحوراً لروايته.

وهذه القصةُ ـ كما تقول كارين أرمسترونج ـ تُكرِّرُ الأساطيرَ الغربيةَ القديمةَ عن محمدٍ ﷺ، وتُكرِّرُ القولَ بأنه مُدَّعٍ ذو طموحاتٍ سياسية، والأكثرُ إيلامًا للمسلمين أنها تُشوِّهُ صِدقَ القرآن، وهذا ما أثار المسلمين، فقد رأىٰ المسلمون أن كِتابَ «سلمان رشدي» اتَّخذ من القصةِ المدسوسةِ عن الآياتِ الشيطانيةِ عنوانًا له، وقد وَظَّف «سلمان رشدي» هذه القصةَ لِيُبرهِنَ علىٰ أن القرآنَ المقدَّسَ عند المسلمين لا يُميِّزُ بين الطيِّب والخبيث، وأن ما يُقال: «إنه مشيئة اللَّه»، ما هو إلاَّ إيحاآتٌ إنسانيةٌ ـ كما يدَّعي النُقَّادُ الغربيون ـ».

❑ وتَصِلُ «كارين أرمسترونج» إلىٰ أن الذين أيَّدوا «سلمان رشدي» استغلُّوا ما جاء في كتابه ليكرِّروا الادِّعاءَ بأن الإسلامَ ضدُّ حريةِ الإبداع وحريةِ البحثِ العِلميِّ، وقد تبنَّىٰ «سلمان رشدي» الرؤيةَ الغربيةَ القائمةَ علىٰ الكراهيةِ للمسلمين ورسولِهم، وقد فَتح ذلك جِراحًا عميقةً ـ كما تقول ـ بين الغربِ والإسلام.

❑ وتقول: «إن هذه القصةَ تتعارضُ مع الرواياتِ الموثَّقةِ ومع القرآنِ نفسِه، ومِن الثابتِ أن الرسولَ ﷺ رَفض عروضًا من قريشٍ دون تردُّدٍ بأنْ يَسمحَ لهم بعبادةِ آلهتهم مع عبادةِ اللَّه، ولكنْ في الغربِ ـ كما تقول ـ مَن تأثَّر بفكرةِ «السقوط» ـ بمعناها المسيحيِّ ـ لِيخلَعها علىٰ محمدٍ ﷺ، كما أن

آدمَ استَسلم لغوايةِ الشيطان، وفي روايةِ الطبري إنكارٌ لهذه الواقعة، ومكانةُ هذه الآلهة حدَّدها القرآنُ بصورةٍ قاطعة: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]».

☐ وتقول: «هذه هي أكبرُ إدانةٍ قرآنيةٍ لتلك الآلهة، كما أن الإسلامَ جاء برسالةِ توحيدٍ لا تَقبلُ أن يكونَ مع اللَّهِ إلهٌ آخر، وليس أدلُّ على ذلك من سورة «الإخلاص» التي يَقرؤُها المسلمون في صلاتهم اليومية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص]. فكيف يُمكنُ مع هذا التوحيدِ الخالصِ أن يأتيَ ذِكرُ آلهةِ قريشٍ وأصنامِها على لسانِ الرسول ﷺ على أنَّ لها مكانةً أو شفاعةً؟!».

☐ وتُخصِّصُ «كارين أرمسترونج» صفحاتٍ من كتابها للتدليلِ على عدمِ صحةِ هذه الروايةِ المدسوسةِ على النبي ﷺ، وتقول: «إن تاريخَ محمدٍ ﷺ منذُ بدايته فيه كراهيةٌ لآلهةِ قريش، ومن الأدلة على ذلك أن كبارَ قريشٍ ذَهبوا إلى أبي طالب ـ عمِّ الرسول ﷺ ـ، وقالوا له: «يا أبا طالب، إنَّ ابنَ أخيك قد سَبَّ آلهتَنا، وعاب دينَنا، وسَفَّه أحلامَنا، وضَلَّلَ آباءنا، فإما أن تَكُفَّه عنَّا، وإما أن تُخلِّيَ بينَنا وبينه، فإنك على مِثلِ ما نحن عليه من خِلافه، فَنكْفِيكَه».

وبعد فترةٍ عادوا إلى أبي طالبٍ ثائرين، وقالوا له: «إنا واللَّه لا نَصبرُ على هذا مِن شَتمِ آبائنا، وتَسفيهِ أحلامِنا، وعَيبِ آلهتِنا، حتى تَكُفَّه عنَّا،

أو ننازلَه وإياك في ذلك حتىٰ يَهلِكَ أحدُ الفريقين» .

ونستدلُّ من هذا الموقف أن محمدًا لم يتنازَلْ عن مُحاربةِ آلهةِ قريش، بل إن قريشًا عَرضت عليه أن يكونَ مَلِكًا عليهم، وأن يَجعلوه أكثرَهم ثروةً مقابلَ التنازلِ عن دينِه، فقال: «واللَّهِ لو وَضعوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في شِمالي، علىٰ أن أتركَ هذا الأمرَ ما تركتُه حتىٰ يُظهِرَه اللَّهُ أو أهلِكَ دَونَه» . . » .

❑ بهذا المنطق تُدافع «كارين أرمسترونج» عن الرسول ﷺ، وتكشِفُ عدمَ صحَّةِ هذه الرواية التي أقام عليها «سلمان رشدي» كتابَه، وهي تفعلُ ذلك من مُنطلِقِ البحثِ العلميِّ النزيه، فهي ليست مسلمةً، ولا صِلَةَ لها بالدولِ الإسلامية، ولكنها قرأت كلَّ ما كُتب عن سيرةِ الرسول ﷺ بعقليةٍ ناقدة، وكَتبت عن الرسولِ ﷺ بمنهجٍ علميٍّ مدقِّقٍ لا يَخضعُ لأحكامٍ مُسبَقةٍ، وهي تُسجِّلُ بموضوعيةٍ نجاحَ المشروعِ الإسلاميِّ بعد وفاةِ النبي ﷺ كدليـلٍ علىٰ صِدقِ الرسالة، وتتحدَّثُ عن الرُّوحانيـةِ التي أسَّسها دون أن يَعتزلَ الحياة، ولم يَنتظرْ إلىٰ حين حلولِ عالمٍ يخلو من الشرورِ والصراعات، وسَعىٰ إلىٰ إقامـةِ مجتمعِه المثـاليِّ في المدينـة، واحتَذىٰ المسلمون حَذْوَه منذ البداية .

● وتُسجِّل «كارين أرمسترونج» مشاعرَ الحبِّ الجارفِ لمحمدٍ ﷺ لدىٰ المسلمين، ومع ذلك فإنهـم يؤكِّدون أنه لم يكنْ إلاَّ رجـلاً، ولم يكنْ إلهًا أو ملاكًا، والنبيُّ ﷺ هو الذي قال عن نفسه: «**إنْ أنا إلاَّ ابنُ امرأةٍ كانت تأكلُ القَديدَ في مكة**»، وذلك حرصًا منه علىٰ تأكيدِ طبيعتِه كإنسان، وبذلك أصبحت حياةُ محمدٍ آيةً من الآياتِ في العالَم التي يدعو القرآنُ المسلمين

إلىٰ التأمَّلِ فيها وتفهُّمِها، فإن رسالتَه النبويةَ «رمزٌ» يَعكِسُ الاستسلامَ التامَّ للَّه، وحُبُّ المسلمين له هو ارتباطٌ بالرمزِ الذي يُضيءُ لهم حياتَهم، ويُضيفُ إليها معنًىٰ جديداً.

□ وتقول «كارين أرمسترونج»: «إنَّ محمداً ﷺ يُعتبر علىٰ المستوىٰ الرمزي «الإنسانَ الكامل» و«النموذج»، وتنظرُ إلىٰ رحلة «الإسراء والمعراج» علىٰ أنها المثالُ الكاملُ للفَناءُ في اللَّه، والمسلمون يَسْعَون إلىٰ محاكاةِ الرسول في حياتِهم اليوميةِ لكي يقتربوا مِن هذا الكمالِ بقَدْرِ الإمكانِ ويقتربوا من اللَّه».

□ وتختم «كارين أرمسترونج» كتابَها بقولها: «إن الإسلامَ والغربَ يشتركانِ في أمورٍ كثيرة، والمسلمون عَرفوا ذلك منذ زمنِ محمدٍ ﷺ، إلاَّ أن الغربَ غيرُ قادرٍ علىٰ تقبُّلِ هذه الحقيقة، والمسلمون يَشعرون أن حضارةَ الغربِ امتَهنت كرامتَهم واحتَقرتهم، ونحن في الغربِ بحاجةٍ إلىٰ أن نُخلِّصَ أنفسَنا من بعضِ أحقادِنا القديمة، ولعلَّ شخصَ محمدٍ ﷺ يكون مناسبًا للبَدءِ، فقد كان ذا عبقريةٍ تستعصي علىٰ الإدراك، وأسَّس دينًا وحضارةً للإسلام، ولَفظُ «الإسلام» ذو دِلالةٍ علىٰ السلام والوفاق مع سائرِ البشر».

أليس من واجبِ المسلمين أن يُقدِّموا التحيةَ لهذه الراهبة التي قالت كلمةَ الحقِّ بجرأةٍ وبراعةٍ تفوقُ ما فعله المسلمون للدفاع عن دينِهم في الغرب؟![1].

---

(١) انظر «المنصفون للإسلام في الغرب» من (ص١٨٤ ـ ١٩٧).

ومن فرنسا

*** القَسُّ إسحاق تيلر الفرنسي:**

مستشرقٌ فرنسيٌّ، وُلد في بلده «بوردو» ١٨١٠، وتُوفِّي ١٨٩٧، له مؤلَّفٌ أسماه «حقائق التاريخ».

◘ قال فيه (ص٧٦): «إننا إذا قَلَّبنا الطَّرْف، لا نَجدُ في أعمالِ محمدٍ ونبوَّته شيئًا يناقِشُ النصرانية الحساب، ويَقِفُ لها بالمرصاد، بل نراها الحدَّ الفاصلَ بين اليهوديةِ والنصرانية، وإن الإسلام منه أتت السعادةُ وأفاد المَدَنيَّة، وإن محمدًا شابَهَ موسىٰ في تعدُّدِ الزوجات والاسترقاق، والاسترقاقُ ليس من العقيدةِ الإسلاميةِ في شيءٍ، فأباحه محمدٌ للضرورة، أما تعدُّدُ الزوجات، فإنه لم يُحرِّمْه موسىٰ في «توراته» ولا داودُ في «زَبُوره»، وعلينا أن نفهمَ أن آدابَ الإسلامِ أسمىٰ من آدابِ النصرانية».

*** المسيو إميل برنامكام الفرنسي:**

وُلد في «بركادا» ١٨٥٧، وتُوفِّي عام ١٩٢٤.. وهو من مشاهيرِ كتَّابِ القرن التاسعَ عَشَرَ للميلاد.

◘ قال في كتابه «الشرق والإسلام» ـ وهو أحدُ مؤلَّفاته ـ: «إنني أردتُ أن أُصوِّرَ محمدًا صورةً مطابِقةً للواقع علىٰ قَدْرِ الإمكان ـ كما فهمتُها مِمَّا قرأتُه عنه في الكتب، وكما رأيتُها في أرواحِ أتباعِه الحيَّة ـ».

◘ إلىٰ أن قال: «نشأ معتمدًا علىٰ نفسه، يَرجعُ إليها في الكبيرة والصغيرة، ويَجْهَدُ ويَعملُ لكسبِ رِزقِه من عَرَقِ جبينه، إذ لم يكنْ ذا ثروةٍ

تَكفيه مُؤنَةَ السَّعي، فكانت ثروتُه عند نشأته: صِدقَه وأمانتَه ونزاهتَه وإخلاصَه، وتلك ـ لَعَمْرُ اللَّهِ ـ أسمىٰ الثرْواتِ وأغلاها، تلك كانت صفاتِ محمدٍ في وَسَطٍ مُنْحَلٍّ لا يَعرفُ أخلاقًا ولا نُبلاً».

* **العلاَّمة الكبير غوستاف لوبون الفرنسي:**

وُلد عام ١٨٤١ في «تولوز»، وتوفي ١٩٣١، فرنسيٌّ من فلاسفةِ عِلمِ الاجتماع، نَقل بعضَ مؤلَّفاته إلىٰ العربية.

◻ قال في كتابه «الحياة» عند حديثِه عن العرب في الشرق (ص٤٣): «إن محمداً ـ رَغم ما يُشاعُ عنه علىٰ وجهٍ عام ـ، قد ظَهَر بمظهرِ الحُكْمِ الوافر والرَّحابةِ الفسيحةِ إزاءَ أهلِ الذِّمَّة، وحَرَّر بلاداً واسعةً من الرومِ والفُرسِ، وتَرَكَ أهلَها في طليعة الأمم».

◻ وقال في كتابه «التمدُّن الإسلامي» ـ وهو ٨٠٠ صفحة، والمنقول من اللغة الفرنسية إلىٰ اللغة الفارسية ـ (صفحة ٦٧): «إنني لا أدعو إلىٰ بدعةٍ مُحدَثةٍ، ولا إلىٰ ضلالةٍ مُستهجَنةٍ، بل إلىٰ دينٍ عربيٍّ قديمٍ أوحاه اللَّهُ إلىٰ نبيِّه محمدٍ، فكان أمينًا علىٰ بثِّ دعوتِه بين قبائلَ رُحَّلٍ تلهَّت بعبادةِ الأحجارِ، وتلذَّذت بتُرَّهاتِ الجاهلية، فجَمَع صفوفَهم بعدَ أن كانت مُبعثَرةً، ووَحَّد كلمتَهم بعدَ أن كانت مُتفرِّقةً، ووجَّه أنظارَهم لعبادةِ الخالق، فكان خيرَ البَرِيَّةِ علىٰ الإطلاق حَسَبًا ونَسَبًا وزعامةً ونبوَّةً، هذا هو محمدٌ الذي اعتَنق شريعتَه أَربَعُمِئةِ مليون مسلم، منتشرِين في أنحاءِ المعمورة، يُرتِّلون قرآنًا عربيًّا مُبينًا».

◻ إلىٰ أن قال: «فرسولٌ كهذا جديرٌ باتِّباع رسالته، والمبادرةِ إلىٰ

اعتنـاقِ دعوتـه، إذ إنها دعـوةٌ شـريفة، قِوامُهـا معرفةُ الخالق، والحضُّ علىٰ الخيرِ، والرَّدعُ عن المنكَر، بل كلُّ ما جـاء فيها يرمي إلىٰ الصلاحِ والإصـلاح، والصـلاحُ أنشـودةُ المؤمن، وهو الذي أدعـو إليه جميـعَ النصارىٰ».

◻ وفي كتابه «الدين والحياة» قال: «إن محمداً حَصَل علىٰ طاعةِ قومه، ولَم يَحصُلْ نظيرُها لأيِّ مَلِكٍ أو أمير، أو أيِّ فاتح، وقد كان ذا أخلاقٍ عاليةٍ، وحِكمةٍ، ورِقَّةِ قلبٍ، ورأفةٍ، ورحمةٍ، وصِدق، وأمانة».

◻ وقال: «كان عقلُ محمدٍ من أكبرِ العقول، وكانت آراؤه من أسدِّ الآراء».

◻ وقال في كتابه «الآراء والمعتقدات» (ص٦): «لقد اعتَنَقت قبائلُ البَدْوِ في جزيرةِ العرب دِينًا أتىٰ به أُمِّيٌّ، فأقامت ـ بفضل الدِّينِ ـ في أقلَّ من خمسين سنةً، دولةً عظيمةً كدولةِ الإسكندر، وزَيَّنت جيدَها بقلادةٍ من المباني الفخمةِ التي هي آيةٌ في الإعجاز».

◻ ثم قال: «ولو لم يكنْ أميًّا لَمَا استطاعَ أن ينشرَ دينَه».

◻ إلىٰ أن قال: «ينشأُ من المعتقَدِ القوميِّ يقينٌ لا يُزعزعُه شيءٌ، ومِن مِثلِ هذا اليقينِ تُشتقُّ أكثرُ حوادثِ التاريخ أهميةً، فقد أيقن محمدٌ أن اللَّه أَمَره بالدعوة إلىٰ دينٍ جديدٍ أُوحي إليه لتجديدِ العالَم، فاستطاع بفضلِ يقينِه أن يَقلِبَ الدنيا».

◻ وقال في كتابه «التمدُّن الإسلامي» (ص١٢٧): «البابُ الثاني في القرآن: القرآنُ هو الكتابُ المنزَّلُ من السماءِ، الذي فيه مباحثُ وقوانينُ

دينيةٌ وسياسيةٌ واجتماعية، والقرآنُ - وإنْ نزل من عند اللَّه - لكنه في بعضِ المقاماتِ لم تكنْ بعضُ آياتِه مرتبطةً ببعض[1]، وعِلَّةُ ذلك أن آياتِه نَزلت على التوالي المقتضِي الحاجاتِ في ذلك الزمن، وكان جبريلُ المَلَكُ يَنزلُ به على محمدٍ من عندِ اللَّه فتُحفظ، ولم تُجمع إلاَّ بعد وفاةِ محمدٍ، وكانت سُورُه (١١٤) سورة، ويَعتقدُ المسلمون أن القرآنَ حتى الآنَ لم يَنزلْ كتابٌ من السماء مثلُه، والحقُّ أن في القرآن مِن المعاني الشِّعريةِ والنثريَّةِ وحُسنِ البيانِ ما لم يُوجَدْ في غيره، أما عقائدُه ونظرياتُه وما يَرجعُ إلى عالَم الكائناتِ، فهو موجودٌ تقريبًا في دين اليهود والنصارى، والقرآنُ ممَّا لا شكَّ أنه نَزل على محمد» اهـ.

* **إدوار مونتيه الفرنسي:**

وُلد في «ليون» ١٨٥٦، وتوفِّي ١٩٢٧، أستاذُ اللغاتِ الشرقيةِ في جامعةِ «چينف»، مستشرقٌ فرنسي.

◻ قال في كتابه «حاضر الإسلام ومستقبله»: «أما محمدٌ، فكان كريمَ الأخلاقِ، حَسَنَ العِشرة، عَذْبَ الحديث، صحيحَ الحُكم، صادقَ اللفظِ، وقد كانت الصِّفةُ الغالبةُ عليه هي صِحَّةُ الحُكمِ، وصراحةُ اللفظ، والاقتناعُ التامُّ بما يَقبَلُه ويقولُه، إن طبيعةَ محمدٍ الدينيةَ تُدهشُ كلَّ باحثٍ مدقِّقٍ نزيهِ القصد، بما يتجلَّى فيها من شِدَّةِ الإخلاص، فقد كان محمدٌ مُصلِحًا دينيًّا، ذا عقيدةٍ راسخةٍ، ولم يَنهضْ إلاَّ بعد أن تأمَّلَ كثيرًا، وبَلَغ سِنَّ الكمالِ

---

(١) كلاَّ.. بل آيات القرآن جميعًا بينها روابطُ عميقةٌ يفهمُها أهلُ الغوص على المعاني.

بهاتيك الدعوةِ العظيمة، التي جَعَلَتْه من أسطعِ أنوارِ الإنسانية، وهو في قتالِه الشِّركَ والعاداتِ القبيحةَ التي كانت عند أبناءِ زمنه، كان في بلادِ العرب أشبَهَ بنبيٍّ من أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا كبارًا جدًّا في تاريخ قومهم، ولقد جَهِل كثيرٌ من الناس محمدًا، وبَخَسوه حقَّه، وذلك لأنه من المصلِحين الذين عَرف الناسُ أطوارَ حياتهم بدقائقها».

* **ألفُونس دي لا مارتين الفرنسي:**

وُلد في بلده «بوردو» ١٧٩٠، وتُوفِّي ١٨٦٩، وهو من مشاهيرِ الشُّعراء الفرنسيين، ومِن ممثِّلي المذهب «الرمانتيسم»، ومن مؤلَّفاته الشِّعرية «التأملات» والنثريةِ «السفر إلىٰ الشرق»، نُقل إلىٰ العربية.

◘ قال فيه (ص٤٧): «إنَّ محمداً فوقَ البَشَر ودُونَ الإله، فهو رسولٌ بحكمِ العقل، ودلالاتُ المعجزاتِ تَعضُدُ ذلك، وإنَّ اللغزَ الذي حَلَّه محمدٌ في دعوتِه، فكَشَفَ فيها عن القيم الرُّوحية، ثم قدَّمها لأُمَّته العرب دينًا سماوِيًّا، وسَرعانَ ما اعتَنقوه، هو أعلىٰ ما رَسَمه الخالقُ لبني البشر».

◘ وقال في «السفر إلىٰ الشرق» (ص٨٤): «أتَرَون أن محمداً كان أخا خِداعٍ وتدليس، وصاحبَ باطلٍ ومَيْن؟! كلاَّ.. وبعدما وَعَينا تاريخه، ودَرَسْنا حياتَه، فإن الخِداعَ والمَينَ والباطلَ والتدليسَ، كلٌّ أولئك مِن نفاقِ العقيدة، كما أنه ليس للكذبِ قُوَّةُ الصِّدق».

◘ إلىٰ أن قال: «إن حياةَ محمدٍ وقُوَّةَ تأمُّله، وتفكيرَه، وجهادَه، وثَبَتَه علىٰ خرافاتِ أمته وجاهليةِ شعبه، وشهامتَه وجُرأتَه، وبأسَه في لقاءِ ما لَقِيه مِن عَبَدةِ الأوثان، وثباتَه، وتَقَبُّلَه سخريةَ الساخرين، وحَمِيَّتَه في

نَشرِ رسالته، وحروبَه التي كان جيشُه فيها أقلَّ نفيرًا من عدوِّه، ووثوقَه بالنجاحِ، وإيمانَه بالظفَر، وتطلُّعَه إلىٰ إعلاءِ الكلمةِ وتأسيسِ العقيدة، ونجواه التي لا تنقطعُ مع اللَّه، كلُّ هذا لأَعظمُ دليلٍ علىٰ أنه لم يكنْ يُضمِرُ خِداعًا أو يَعيشُ علىٰ باطلٍ أو مَيْن، بل كان وراءَها عقيدةٌ صادقة ويقينٌ مضيءٌ في قلبه، وهذا اليقينُ الذي ملأ رُوحَه هو الذي وَهَبه القوة علىٰ أنْ يَردَّ الحياةَ فكرةً عظيمةً، وحُجَّةً قائمةً، ومبدأً مزدوجًا، وهو وحدانيةُ اللَّه سبحانه».

* **المسيو جول لابوم الفرنسي:**

وُلد في بلده «كاساريا» ١٧٩١، وتُوفِّي ١٨٦٨.

❑ قال في مقدمة الفهرس الذي وضعه للقرآن الكريم المترجم إلىٰ اللغة العربية (ص٦٣): «لأجلِ أن يَفهمَ الإنسانُ تمامَ الفهمِ أيَّ دعوةٍ من الدعوات، يَلزمُه أولاً الإلمامُ بحالِ الداعي بذاته».

❑ إلىٰ أن قال: «ومِن هذه النُّبذةِ الوجيزةِ التي خصَّصناها لمحمدٍ المُشرِّعِ العربي، مؤسِّسِ ما يُمكنُ تسميتُه بالجامعةِ الإسلامية حوالَي ميلادِ محمد، وإذا بالعالَم يتَّسعُ لأضواءِ هُداه، فكأني بالعالَم وقد خُلق من جديد، وفَتح عينيه علىٰ مبادئَ عاليةٍ سامية».

* **المسيو ميسمر الفرنسي:**

❑ قال في كتابه «العرب في عهد محمد» المعرَّب إلىٰ اللغة العربية عام ١٩٢٢ بقلم «فؤاد بطرس السوري»: «إنَّ مَن تَسافَهَ وأنكر صِدقَ محمدٍ، فقد بَتَّ بهذه المسألة دون أن يَحُلَّها، وحَمَّل ضميرَه مسؤوليةَ المكابرة،

ورَمَىٰ بنفسِه إلىٰ نهايةٍ سيئة، إذ ليس من وَحيِ الضمير الحرِّ ما يُقارِفُه أولئك المُغرِضون علىٰ محمدٍ الذي اتَّصف بكلِّ صفات الكمال».

* **الأب إسكندر دوماس الفرنسي:**

◘ وُلد ١٨٠٣، وتوفِّي ١٨٧٠، مؤلِّفٌ قَصصيٌّ، له كتاب «الفرسان الثلاثة»، قال فيه: «كان محمدٌ معجزةَ الشرق لِمَا في دينه من معالم، وفي أخلاقِه من سُمو، وفي صفاتِه من محامد».

* **جان بروا الفرنسي:**

وهو من كبار المستشرقين الفرنسيين، له مؤلَّفاتٌ عديدة، منها «محمد نابليون السماء»[(١)]، نقله عن الفرنسية «محمد صالح البنداق».

◘ قال (ص٥٢) منه: «إن إبلاغَ الرسالةِ إلىٰ العالَم هو الهدفُ الأولُ والأخيرُ للنبيِّ محمد، ولم تكن مشاغلُ الأسرةِ والحياةِ لِتَحُولَ بينَه وبين أدائها أبدًا، وإنك إذا نظرتَ إلىٰ عُنفِ قريشٍ ومؤامراتِها الدموية ورَبْطِ جأشِها علىٰ اغتيالِه مرارًا، بل إذا نظرتَ إلىٰ كلِّ القبائلِ العربيةِ حينَذاك، ألفَيْتَ الغزوَ جُلَّ عَمَلِها، ولم يكن النبيُّ إلىٰ ذلك الوقتِ ـ وإن كَثُر حَوَلَه الرجال ـ قد أُذن له في النِّضال ودَفعِ العُدوان بالعدوان، ولكنْ بعدَ كلِّ تلك الاعتداءاتِ جاء الوحيُ الإلهيُّ يُبيحُ له حَرَبَ المعتدين: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ**

---

(١) معاذ اللَّه أن يُشبَّه رسولُ اللَّه ﷺ الذي قال عنه ربُّه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ بنابليون المجرم سَفَّاكِ الدماء الظلُوم الذي قَتل من الشعوب ومن المسلمين ما قتل، والذي غَدَر بأسراه في عكا بعد إعطائهم الأمان:

أَلَم ترَ أنَّ السيفَ يَنقُصُ قَــــدرُه ... إذا قيل: إن السيفَ أمضىٰ من العصَا؟

بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩ ـ ٤٠]، وجاء أيضًا: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]».

◻ إلىٰ أن قال: «وكان محمدٌ نبيًّا، ومُشرِّعًا، وسياسيًّا، ومَلِكًا عظيمًا، وخطيبًا مفوَّهًا، وقائدًا خطيرًا محنَّكًا، وإنْ كان لم يَدخُلْ جامعةً من جامعاتِ الرومان، ولا مدرسةً من مدارسِ فارس، إن محمدًا قد كَبُر اسمُه، واعتزَّ بربِّه، حتىٰ عُرف باسمه وحدَه دون ذِكرِ أسرته ـ كما عرف نابليون ـ، إنَّ محمدًا لَنابليون السماء[1] ، ولم يكن لمحمدٍ من عدوٍّ لدودٍ قد استباح المحرَّمات، وأعدَّ الأُهبةَ للبطش به وبدعوته سِوىٰ مكة».

* **المسيو برتلمي سانت هيليار الفرنسي:**

مستشرق فرنسي شهير، وُلد في بلدته «كلدا» ١٨١٧، وتُوفِّي ١٨٩٢.

◻ قال في كتابه «مع الحياة»: «كان محمدٌ أزكىٰ العربِ في عهده، وأكثرَهم تقوىٰ ودينًا، وأرحبَهم صَدرًا، وأرفَقَهم بأعدائِه وخصومِ دينه، وما استقامت إمبراطوريتُه الخارقةُ إلا بسبب تفوُّقِه علىٰ رجالِ عصره، وأما الدينُ الذي راح يدعو إليه، فقد كان خيرًا عظيمًا علىٰ الشعوب التي اعتنقته وآمنت به».

* **المؤرِّخ الشهير لاتيس الفرنسي:**

وُلد في مدينة «بورود» ١٨٤٧، وتُوفِّي ١٩٠٩.

◻ قال في مقالٍ له نشرته عنه مجلة «الهلال» المصرية ـ المجلد الثالث،

---

(١) نفس الهامش السابق.

الجزء الثامن ـ: «إن محمدًا كان مشهورًا بالصِّدق منذ صباه، حتىٰ كان يُلقَّبُ بـ «الأمين»، وما زال يَسهرُ لحياةِ دينِه والعربِ حتىٰ مات، وما مات حتىٰ أسَّس دينًا وأقام دولة».

* **العلاَّمة كليمان هوار الفرنسي:**

وُلد ١٨٥٤، وتوفِّي ١٩٢٧، مستشرقٌ فرنسي، وقَضىٰ مدةً في دمشق تُرجمانًا لقنصل فرنسا فيها ولسفير فرنسا في «الأستانة»، ورئيسُ مجمع الكتاباتِ والآداب في باريس، وأستاذُ اللغاتِ الشرقيةِ فيها، وله كتاب «تاريخ العرب».

□ قال في الجزء الأول منه: «كيف تَعرَّف محمدٌ إلىٰ خديجة، وكيف أمكن أن يَحصُلَ علىٰ ثِقتها ويتزوَّجَ بها؟! الجواب علىٰ الشقِّ الأول لا يزالُ غيرَ معروفٍ عندنا، وأمَّا علىٰ الشقِّ الثاني، فقد اتَّفقت الأخبارُ علىٰ أن محمدًا كان في الدرجة العُليا من شرفِ النفس، وكان يُلقَّبُ بـ «الأمين»، أي بالرجل الثقةِ المعتَمَدِ عليه إلىٰ أقصىٰ درجة، إذ كان المَثَلَ الأعلىٰ في الاستقامة».

* **الكاتب المعروف ديسون الفرنسي:**

□ قال في حديثٍ له عن النبيِّ محمدٍ ﷺ: «ليس يصحُّ أن يُنظر إلىٰ دينِ محمدٍ كدينٍ مليءٍ بالخرافات والأكاذيب، فهذا مخالفٌ للحقيقة، وإن محمدًا نفسَه قد راح يُصرِّحُ بأن الإسلامَ يُتمِّمُ المسيحية»(١).

---

(١) إن كان يَقصِدُ أنه يُتمِّمُ ديانة التوحيد فنعم.

* **الأستاذ دافيد دي لويس الفرنسي :**

وُلد في بلدته «ساماتا» ١٨٤٨ ، وتوفِّي ١٩٢٥ .

◻ قال في كتابه «الإسلام» : «إنَّ محمداً قد ذَكر المجتمعَ العربيَّ بأشكاله الابتدائية، وشيَّد بنيانًا اجتماعيًّا علىٰ الأُسسِ التي كانت توافقُ أعمَقَ غرائزِ ذلك المجتمع ، فالذين يؤمنون باللَّه الواحد وبنبوَّةِ محمدٍ يُصبحُ لهم حقُّ الانتسابِ إلىٰ أُمةِ محمد، ومحمدٌ هو الشهيدُ بين العربِ أمامَ اللَّه» .

◻ إلىٰ أن قال : «ولا يُمكنُ للَّه أن يَبعثَ أو يختار رسولاً ومبشِّرًا بعدَ أن أرسلَ محمداً مبشِّرًا للناس ومنذِرًا بكلمته النهائية» .

* **المسيو شانليه الفرنسي :**

◻ قال في مجلسٍ ـ وقد سُئل عن رسالةِ الإسلام ـ، نقلاً عن مجلة «المقتطف» ـ المجلد الثالث ـ عدد ٧ : «إن رسالةَ محمدٍ هي أفضلُ الرسالاتِ التي جاء بها الأنبياءُ قبلَه، لأنها جاءت إلىٰ الشعوبِ نقيةً من كلِّ عيبٍ، وخاليةً من كلِّ نقص، بل إنه يُوجدُ فيها من التعاليم القيِّمة ما لا يوجدُ في غيرها من الديانات» .

* **الفيلسوف إدوار مونته الفرنسي :**

مستشرقٌ فرنسي، وُلد في بلدته «لوكادا» ١٨١٧ ، وتُوفِّي ١٨٩٤ .

◻ قال في آخرِ كتابه «العرب» : «عُرف محمدٌ بخُلوصِ النيةِ والملاطفةِ وإنصافِهِ في الحُكم، ونزاهةِ التعبير عن الفِكرِ والتحقُّق، وبالجملة كان محمدٌ أزكىٰ وأدينَ وأرحمَ عربِ عصره، وأشدَّهم حِفاظًا علىٰ الذِّمام، فقد

وجَّههم إلىٰ حياةٍ لم يَحلُموا بها من قبلُ، وأسس لهم دولةً زمنيةً ودينيةً لا تزالُ إلىٰ اليوم».

*** العلاَّمة رينيه غروسه الفرنسي:**

مستشرقٌ ومؤرِّخٌ وأديبٌ فرنسي، له عِدَّةُ مؤلَّفاتٍ، منها «تاريخ الحروب الصليبية»، ومنها «مدنيات الشرق».

◻ قال في الأخير: «كان محمدٌ لَمَّا قام بهذه الدعوةِ شابًّا كريمًا نجِدًا، ملآنًا حماسةً لكلِّ قضيةٍ شريفة، وكان أرفعَ جدًّا من الوسط الذي يَعيشُ فيه، وقد كان العربُ يومَ دعاهم إلىٰ اللَّه منغمِسين في الوثنية، وعبادةِ الحجارة، فعَزَم علىٰ نَقلِهم من تلك الوثنية إلىٰ التوحيدِ الخالِصِ البحت، وكانوا يهتِفون بالفوضىٰ وقتالِ بعضِهم بعضًا، فأراد أن تؤسَّسَ لهم حكومةٌ ديموقراطيةٌ موحَّدة، وكانت لهم عاداتٌ وحشيةٌ همجيةٌ صِرفة، فأراد أن يُلطِّفَ أخلاقَهم، ويُهذِّبَ من خشونتهم».

*** العلاَّمة لا بلابس الفرنسي:**

من مشاهيرِ علماءِ الفَلَك الفرنسيين، صاحبُ الرأي المعروف أن العالَم تكوَّن في بَدئِه كرةً ضبابيةً انفجرت وصَدَرت منها الأجرامُ السماوية ـ ومنها أرضنا ـ.

◻ قال في كتابه «الأديان»: «إننا ـ وإن لم نعتقدْ بالأديان السماوية ـ، ولكنَّ دينَ محمدٍ وشريعتَه مِثالانِ اجتماعيانِ لحياةِ البشر، فنحن نعترفُ لمحمدٍ بأنه عظيمٌ بدينِه ومبدئِه وعقليَّته، فلا مَحيصَ عن الأخذِ بتعاليمه».

* **المسيو بوستل غليوم الفرنسي:**

مستشرقٌ فرنسي، وُلد عام ١٥٨١، وتوفِّي ١٦٥٤، ألَّف أبجدياتٍ في اثنَتيْ عَشْرةَ لغةً -منها العربية-، طُبع بعضها.

□ قال فيما كتبه باللغة العربية: «اللغةُ العربيةُ أفصحُ اللغات آدابًا، وهي لغةُ أُمةٍ على رأسِها محمدٌ النبيُّ العربي، وهو أفصحُ مَن نطق بالضاد، ولقد جاء بأفصحِ ما يُمكنُ في خلالِ كلماتِه المأثورةِ عنه، لذلك نحترمُه ونحترمُ لغتَه».

* **ويغان مكسيم الفرنسي:**

□ ولد في «بركسل» ١٨٦٧، قائدٌ فرنسيٌّ، ومندوبٌ ساميٌّ في سوريا ولبنان ١٩٢٣، له مذكراتٌ قيِّمة، دُعي إلى حفلةٍ لذكرى ميلاد الرسول محمد ﷺ في بيروت سنة ١٩٢٥.. قال فيها: «مهما احتَفل المسلمون بعيدِ ميلاد محمدٍ، فهو قليل؛ لأنه جاءهم بدينٍ هو فوقَ الأديان، وهو في نفسِه كبير، وفي أخلاقه عظيم، وفي شريعتِه سيِّدُ الأنبياء، فعلى المُنصِفين أن يحتفِلوا بذكرى عظماءِ التاريخ، وفي طليعتهم محمدٌ الرسولُ العربيُّ والقائدُ الأعلى لتحقيق شريعةِ اللَّه على الأرض، وتركيزِها في صدور الناس».

* **رينيه ديكارت الفرنسي:**

وُلد عام ١٥٩٧، وتُوفِّي ١٦٥٠، اشتُهر بكتابه «مقالة الطريقة» الذي كان له الأثرُ البيلغُ في الفِكرِ العربي، نقله إلى العربية «جميل صليبا» عام ١٩٥٠، وهو مَصدرُ الفلسفة الحديثة.

□ قال فيه: «نحن والمسلمون في هذه الحيـاة، ولكنهم يعمـلون بالرسالتين العيسوية والمحمَّدية، ونحن لا نعملُ بالثانية، ولو أنصَفْنا لكنَّا معهم جنبًا إلىٰ جنب؛ لأنَّ رسالتَهم فيها ما يتلاءمُ مع كلِّ زمانٍ، وصاحبُ شريعتهم محمدٌ الذي عَجَز العربُ عن مباراتِ قرآنه وفصاحته، بل لم يأتِ التاريخُ برجلٍ هو أفصحُ منه لسانًا، وأبلغُ منه منطقًا، وأعظمُ منه خُلقًا، وذلك دليلٌ علىٰ ما يتمتَّعُ به نبيُّ المسلمين من الصفاتِ الحميدةِ التي أهَّلته لأن يكون نبيًّا في آخرِ حَلْقاتِ الأنبياء؛ ولأنْ يَعتنقَ دينَه مئاتُ الملايين من البشر».

* **دي سلان ماك غوكين الفرنسي:**

وُلد في «باماكو» ١٨١٠، وتُوفِّي ١٨٧٩، مستشرقٌ فرنسي، وَضع فهرس المخطوطات الشرقية الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس، أتمَّ ترجمـةَ «مقدمة ابن خلدون»، ونقلهـا إلىٰ الفرنسـية، وعُني بنشـرِ كتبٍ عديدة.

□ قال في الترجمة (ص١٠٧): «إن العربَ أُمةٌ تمتازُ بكثيرٍ من الصفات، ولها دينٌ جامعٌ شامل، لا يَعيبُه إلاَّ مَن يَجهلُه، وصاحبُ دينهم محمدٌ الفقير، وقبلَ أن نعرفَ الدينَ يجبُ أن نعرفَ مَن أتىٰ به، وحقًّا أقول: ليس كمحمدٍ في سلسلةِ الأنبياء، ولا كشريعتِه في سلسلةِ الشرائع، ولا نبالغُ إذا قلنا: إن محمدًا خيرُ مَن أتىٰ بشريعة، ولقد وَقف في وجهِ الطغاة من قريش، حتىٰ أتمَّ ما أراد، وبَلَغ منتهىٰ الطريقِ الذي سلكه وعَمِل له، وإذا به وبشريعتِه يَتمتَّعانِ بذِكرٍ عاطرٍ وحديثٍ حَسَنٍ، وليس باستطاعتنا

أن نُثيرَ عليهما غُبارَ الانتقاص».

* المسيو سيفتر دي ساسي الفرنسي:

وُلد في بلده «سيلوم» ١٧٥٠، وتُوفي ١٨٣٨، مستشرقٌ فرنسي، أنشأ «الجمعية الأسيوية الفرنسية»، وبَعَث في قلوبِ معاصريه الغيرةَ على الدروس الشرقية ـ ولا سيَّما العربية ـ، له المؤلَّفاتُ العديدة في الشؤونِ الشرقية.

◻ قال في كتابه «الحياة» (ص٢٦): «لست أرى بُدًّا مِن القول بأن الإسلامَ جامعٌ مانع، وفيه التعاليمُ الحيوية، كيف لا وبانيه محمدُ بنُ عبدِاللَّه المفكِّرُ العظيم والفيلسوفُ الكبير[1]، ودينُه صالحٌ لأن يبقى ولا يتغيَّر، ومِن المعلوم أن محمداً كان معروفًا منذ الصِّغرِ بالصدقِ والأمانةِ والوفاءِ والتواضُع، وقد عُرف عنه أنه بليغٌ في منطقِه، سديدٌ في رأيه، نشيطٌ في دعوته».

* هيليار بلوك الفرنسي:

الكاتبُ الفرنسيُّ الشهير، والمؤرِّخُ الكبير، وُلد عام ١٨١٥، وتُوفي ١٨٩٥، بَحَثَ أديانَ الشرقِ، له مؤلَّفان «بوذا الهندي» و«محمد والقرآن».

◻ قال في الأخير (ص٣٧): «إني أقول: إن معجزةً كهذه من حيثُ خطرُها وبُعدُ أثرِها وعظيمُ نتائجِها، كانت مَسوقةً بقوَّةٍ لا يُستطاعُ تفسيرُها، وإن كان ما لدينا من المصادرِ والوثائق يُساعدُنا على تفهُّمِ الأسبابِ التي

---

(١) لم يكن محمدٌ ﷺ مفكرًا ولا فيلسوفًا، بل كان نبيًّا رسولاً.

جَعَلَتْها أمراً واقعًا منظوراً.

كانت الحركةُ دينيةً ـ ما في ذلك شك ـ، فلم يَخرجِ العربُ من جزيرتهم للنَّهْب والسَّلْب، وإنما خرجوا لنشرِ الدينِ الجديد الذي جاء به محمدٌ، والتبشيرِ بالمُثُلِ العليا التي نادىٰ بها محمدٌ، والصفاتِ الجليلة التي دعا إليها محمدٌ».

* **المسيو برتلمي هربلو الفرنسي:**

مستشرقٌ فرنسي، وُلد عام ١٦٩٥، وتُوفِّي ١٧٧٦، جَمع المخطوطات العربية، ودَرَس اللغةَ العربية في باريس، له كتاب: «المكتبة الشرقية»، وهو معجمٌ جامع لِما في الشرق من فلسفةٍ وأدب.

◘ قال فيه: «إنَّ اللغةَ العربيةَ هي أعظمُ اللغات آدابًا، وأسماها بلاغةً وفصاحةً، وهي لغة الضاد، ولقد تغنَّىٰ محمدٌ نبيُّ الإسلام بما يدلُّ علىٰ شرفِ هذه اللغة بقوله: «أنا أفصحُ مَن نطق بالضاد»[1]، وصحيح عنه ذلك لأن كلماتِه المأثورةَ تدلُّ عليه».

* **الدكتور وايل الفرنسي:**

مستشرقٌ فرنسي، وُلد عام ١٨١٨، وتوفي ١٨٨٩، دَرَس في باريس العربيةَ والسريانية، اشتَغل في الجزائر مدرِّسًا ومترجِمًا، ترجم «أطباق الذهب» للزمخشري، وله «تاريخ الخلفاء».

◘ قال في الأخير: «إنَّ محمدًا يستحقُّ كلَّ إعجابِنا وتقديرنا كمُصلحٍ

---

(١) لا يصحُّ عن رسولنا ﷺ.

عظيم، بل ويستحقُّ أن يُطلَقَ عليه أيضًا لقب «النبي»، ولا يُصغَىٰ إلىٰ أقوالِ المُغرِضين وآراءِ المتعصِّبين، فإن محمدًا عظيمٌ في دينه وفي شخصيته، وكلُّ مَن تحامَل علىٰ محمدٍ، فقد جَهِله وغَمَطه حقَّه».

* **المسيو كوسان دي برسفال الفرنسي:**

مستشرقٌ فرنسي، وكاتبٌ معروف، ومؤرِّخ مشهور، وُلد في بلدته «لاتاي» عام ١٨٦٨، ألَّف في العربية عِدَّةَ كتب، وله مؤلَّفاتٌ بالفرنسية منها «تاريخ العرب».

□ قال فيه: «الذي ثَبَت عندي أن محمدًا نبيَّ العرب وُلد في ٢٠ آب سنة ٥٧٠م، ذلك الرجلُ الذي جاء إلىٰ قومه بدينٍ جديد بعدَ أن توفَّرت دواعي النبوة، وإن دينَه خالٍ من الشكوك والأضاليل، وقد جاء بالمعجزاتِ دليلاً علىٰ دعوته المباركة، ثم سار لانتشارِ دينه القويم متحمِّلاً من قومِهِ الاضطهادَ المتزايدَ، ثم ارتحل إلىٰ المدينة، وبعد فَتحِ مكةَ عفا عنهم، فآمنوا به».

* **العلاَّمة ساديو لويس الفرنسي:**

وُلد في باريس عام ١٨٠٨، وتوفِّي ١٨٧٥، له كتاب «تاريخ العرب».

□ قال فيه (ص٣٧): «لم يكن محمدٌ نبيُّ العرب بالرجل الفاتح للعربِ فحسب، بل للعالَم ـ لو أنصفه الناس ـ؛ لأنه لم يأتِ بدينٍ خاصٍّ بالعرب، وإن تعاليمَه الجديرةَ بالتقدير والاعجابِ تدلُّ علىٰ أنه عظيمٌ في دينه، عظيمٌ في أخلاقه، عظيمٌ في صفاته، وما أحوجَنَا إلىٰ رجالٍ للعالم

أمثالِ محمدٍ نبيِّ المسلمين، وعلىٰ العربِ خاصةً أن يحتفلوا لذكراه كلَّ عام؛ لأنه هو الذي رَفَعهم من حضيضِ الجهالة، وإذا هم أمةٌ لها شأنُها في عِدادِ الأمم الراقية»(١) .

* **العلاَّمة لوزن الفرنسي :**

وُلد في بلدته «لورد» ١٧٨٦ ، وتُوفي ١٨٣٧ ، وهو أستاذٌ في علوم الكيمياء والفلك .

❐ قال في كتابه «اللَّه في السماء» : «لقد بُعث محمدٌ رسولاً إلىٰ العرب، وعاشت بلادُ العرب الأزمانَ الطويلةَ عاكفةً علىٰ عبادة الأصنام، وتَوغَّلت في ذلك حتىٰ احتاجت إلىٰ انقلابٍ دينيٍ عظيم» .

❐ إلىٰ أن قال : «ولَمَّا فتح محمدٌ مكة، جاء بيتَ اللَّه ـ الكعبةَ ـ في احتفالٍ عظيم، وفيها ٣٦٠ صنمًا، فكان محمدٌ يقفُ أمامَ كلِّ صَنَمٍ، ثم يضربُه بعصاه ويقول : ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١] ثم يَهوي إلىٰ الأرض تحت أقدامه، وليس محمدٌ نبيَّ العرب وحدَهم، بل هو أفضلُ نبيٍّ قال بوحدانيةِ اللَّه، وإنَّ دينَ موسىٰ ـ وإنْ كان من الأديان التي أساسُها الوحدانيةُ ـ إلاَّ أنه كان قوميًا محضًا وخاصًّا ببني إسرائيل، وأما محمد، فقد نَشر دينَه بقاعدتَيهِ الأساسيتين ـ وهما الوحدانية والبَعث ـ، وقد أعلنه لعمومِ البشر في أنحاءِ المسكونةِ، وإنه لَعملٌ عظيمٌ يتعلَّقُ بالإنسانيةِ جُملةً وتفصيلاً عند مَن يُدرِكُ معنىٰ رسالةِ محمدٍ الذي

(١) تعظيم النبيِّ ﷺ لا يكون بعصيانه، فلا نحتفل بميلاده كي نظهر له التعظيم، وإنما التعظيم في اتباعه فيما أمر، لا فيما نهىٰ عنه .

اعتنَق مبدأه وعَمِل علىٰ رسالته أرْبَعُمئةِ مليون من الناس».

◻ إلىٰ أن يقول: «فرسولٌ كهذا الرسول يَجدُرُ باتِّباع رسالته والمبادرةِ إلىٰ اعتناق دعوته، إذ إنها دعوةٌ شريفة، قِوامُها معرفةُ الخالق، والحثُّ علىٰ الخير، والرَّدعُ عن المنكر، بل كلُّ ما جاء به يَرمي إلىٰ الصلاحِ والإصلاح، والصلاحُ أنشودةُ المؤمن، هذا هو الدينُ الذي أدعو إليه جميعَ النصارىٰ».

*** الدكتور موريس أندارا الفرنسي:**

مؤرِّخٌ كبير، وله عدَّةُ مؤلَّفاتٍ، وُلد في بلدته «يلي» ١٧٩٥، وتُوفِّي ١٨٧٢.

◻ قال في أحد مؤلَّفاته، وهو «الإنسان والحياة» (ص١٣): «إنَّ محمداً يَرىٰ أمرَ الحياة جسيمًا، ويَرىٰ لكلِّ عملٍ إنسانيٍّ ـ مهما حَقُر ـ خطارةً كبرىٰ، فما كان من سيِّءٍ فله السوءُ نتيجةً أبدية، وما كان صالحًا فله من الصلاح ثمرةٌ سَرْمَدِيَّة، وإنَّ المرءَ قد يسمُو بصالحاتِه لأعلىٰ عِلِّيين، ويَهبِطُ بموبِقاته إلىٰ أسفل السافلين.

كلُّ ذلك كان يَلتهبُ في نفسِ ذلك الرجل القَفْرِيِّ كأنما قد نُقش ثَمَّةَ بأحرُفِ النار، وتَوجَّه إلىٰ بني قومِه بكلماتِ النور، وأيُّ ثوبٍ لَبِسَتْه هذه الحقيقة، وأيُّ قالبٍ صبَّتْه فيه، فلا تزالُ أولىٰ الحقائقِ مَقدَّسةً في أيِّ أسلوب وأيِّ صورة».

*** المسيو جان تورنون كرو الفرنسي:**

مستشرقٌ فرنسي، وُلد في بلده «كراي» ١٨٦٧، وتُوفِّي ١٩٢٤، ألَّف كتابًا أسماه «العرب» وذَكر فيه وقائعَ الحربِ العامة، وتحرَّىٰ فيه إلىٰ أقصىٰ

درجاتِ التحرِّي .

❑ قال في مقدمته : « إنَّ اللَّه اصطفىٰ محمداً لإرشادِ أمَّته ، وعَهِد إليه هَدْمَ ديانتِهم الكاذبةِ وإنارةِ أبصارِهم بنورِ الحق ، فأخذ مِن ذلك العهدِ يُنادي باسمِ الواحدِ الأحد ، بحسبِ ما أُوحي إليه ، وبمقتضىٰ عقيدتِه الراسخة» .

❑ إلىٰ أن قال : «وقُذف في نفسِ محمدٍ مجموعُ كتابٍ ملآنٍ بالأسرار الإلهية ، وأُوحي إليه مجموعةُ حقائقَ تجتازُ مسافةَ عقلِه الطبيعي ، لذلك اللَّهُ عَلَّمَ الإنسانَ بالقلم ، علَّمه ما لم يَعلم . . هذا هو سِرُّ الوحيِ ، وهو سِرُّ الكلمةِ المكتوبة ، وكانت الكلمةُ المكتوبة وحياً إلهيًّا» .

❑ وقال (ص٦٥) منه : «وفي نواحي سنة ٦١٠ للمسيح ، بَلَغ محمدٌ أَشُدَّه ، فكان لا يَقدِرُ أَنْ يتصوَّرَ حالَ قومِه بدون أن يتألَّم ، وكان يَرىٰ أن أمراً ضروريًّا يَنقُصُه ويَنقُصُ قومه ، وكان العربُ كلُّ قبيلةٍ منهم عاكفةٌ علىٰ صَنَمِها ، وكانوا يقولون بالجنِّ والأشباحِ والغيلان ، ولكنهم كانوا في غَفلةٍ عنها ، وكانت هذه الغفلةُ هي الموتَ الرُّوحيَّ ، وكان قلبُ محمدٍ قد خلا من كلِّ فِكرٍ غيرِ الفكرِ باللَّه ، وكان قد تجرَّد من كلِّ قوةٍ غير هذه القوة ، وكان ليس في نظرِه غيرُ واجبِ الوجود الأحدِ الصمد» .

❑ إلىٰ أن قال : «وأَحَبَّ محمدٌ في تلك الفترة العُزلةَ ، فكان يَشعرُ في خَلْوتِه في جبل «حِراء» بسرورٍ عميق ، يَتزايدُ يومًا فيومًا ، فكان يَقضي هناك الأسابيعَ ، وليس معه إلاَّ قليلٌ من الغذاء ؛ لأن نفسه كانت تلتذُّ بالصوم والتهجد[1] . . » إلىٰ آخر ما كتب .

---

(١) ما عرف النبي ﷺ التهجّد إلا بعد نزول الوحي إليه وعرف كيفية الصلاة والتهجد .

*** المسيو ديته فنان الفرنسي:**

مستشرقٌ فرنسي جال في بلادِ الشرق عام ١٨٥٧، وقد وُلد ١٨٢٣، وتُوفِّي ١٨٧٩، له كتاب «أشعة خاصة بنور الإسلام».

☐ قال فيه (ص٢٩): «إن القرآنَ الذي جاء به محمدٌ هو دونَ الكُتبِ المقدَّسةِ الأخرىٰ، فهو الكتابُ الوحيدُ الذي يأمرُ بالرِّفق والإحسان».

*** البَّحاثة كاوادوفو الفرنسي:**

وُلد عام ١٨٧٢، وتُوفِّي ١٩٣٣ في بلدته «ماريانا»، وهو مستشرقٌ عريقٌ بالأدب الفرنسي، وقد اضطَلَع في «تاريخ العرب»، فألَّف كتابًا اسمُه «العرب».

☐ جاء في مقدمته: «كان محمدٌ أُميًّا لا يَقرأُ ولا يَكتب، ولم يكن فيلسوفًا، ولكنه لم يَزَلْ يُفكِّرُ في هذا الأمر إلىٰ أن تكوَّنت في نفسه بطريق الكشفِ التدريجي المستمرِّ عقيدةٌ كان يراها الكفيلةَ بالقضاء علىٰ الوثنية[1] ومن المعروف عن محمد أنه مع أمَّتِـهِ كان أرجـحَ الناس عقلاً وأفضـلَهم رأيًا، دائمَ البِشْـر، مُطيـلَ الصمت، ليِّنَ الجانب، سَهْلَ الخُلق، يُكثِرُ الذِّكر، ويُقِلُّ اللغوَ، يَستوي عندَه في الحقِّ القريبُ والبعيـد، والقـويُّ والضعيفَ، يُحبُّ المساكين، لا يَحقرُ فقيرًا لفقره، ولا يَهابُ مَلِكًا لِمُلكِه، يؤلِّفُ أصحابَه ولا يُنفِّرُهم، ويُصابرُ مَن جالَسه أو قاومه، ولا يَحيدُ عمَّن صافَحه حتىٰ يكونَ الرجلُ هو المنصرف، يَجلسُ علىٰ الأرض، ويَخصِفُ

---

(١) إنها النبوة لا الكشف التدريجي.

النَّعل، ويُرقِّعُ الثوب».

* **البحَّاثة ليون دوني الفرنسي:**

مستشرقٌ فرنسيٌّ كبير، وُلد ١٨٤٥، وتُوفِّي ١٩٠٨.

□ نقل «محمد فريد وجدي» في كتابه «الإسلام في عصر العلم» (ص٣٦٧) من الجزء الأول قال: «لقد نَقَلت «المجلة الروحية» في جزئها الصادر في يوليو سنة (١٩٠٣) من مُلَخَّصِ خطبةٍ خَطَبها فيلسوف الإسبرتزم وخطيبُها المُفوَّهُ «ليون دوني» في غرفةِ الزراعة بباريس، تكلَّم الخطيبُ في أثناء الخطبةِ عن وظيفةِ رجالِ القرائحِ الكبرىٰ في العالَم الإنساني، وعلىٰ مكانهم في هِدايةِ الخَلق، وإرشادهم».

□ ثم قالت المجلة: «المسيو «ليون دوني» استعرض أمامَ سامِعيه كبارَ الوسطاءِ بين الملإِ الأعلىٰ والناس، وهم الذين خَلَّد لنا التاريخُ أسماءهم، وسَرَد أدلَّةً وحُجَجًا استملاها من الحوادث ومن تفاصيل حياتهم، وذَكر من أولئك: المسيح ومحمداً».

□ إلىٰ أن قال: «إنَّ كلَّ العامِلين العِظامِ علىٰ ترقيةِ النوع الإنساني، كان يُوحىٰ إليهم مِن قِبَلِ الأرواح العالية النيِّرة، هذه الخاصيةُ كانت دائمًا المِدَّةَ للقرائحِ العالية، والمهذِّبةَ للعالم، والمُعلِّمةَ المُرشدةَ للأمم والشعوب» اهـ.

* **الفيلسوف الفرنسي رُوجيه جارودي:**

أشهرُ مَن أنصف الإسلامَ في الغرب في القرن العشرين الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودي، الذي كان من أكبر المتحمِّسين للشيوعية والفلسفة

الماركسية المادية، وأُصيب بصدمةٍ بعدما اكتشف زَيْفَ الشيوعية بدايةً من عام ١٩٥٦ بعد أن كَشَفَ الرئيس الروسيُّ «خرشوف» فضائح عهدِ «ستالين».

وبدأ جارودي ـ كمفكرٍ ـ رحلةَ الشكِّ بحثًا عن اليقين بدراسةِ الأديان، إلىٰ أن توقَّفَ عند الإسلام لدراسته كدينٍ وحضارة، وقارَنَ بينَ ما في القرآن مِن الإشاراتِ العِلميةِ والاكتشافات العلميةِ الحديثة.

◻ وعَبَّر عن هذه المرحلةِ من حياتِه قائلاً: «كلَّما تعمَّقتُ في الدراسةِ والمقارنةِ، ازددتُ اقتناعًا بأن الإسلامَ هو الدينُ الذي أبحثُ عنه».

◻ وأعلن «جارودي» إسلامه[1] في شهر رمضان عام ١٩٨٢، وأصبح اسمُه «رجاء جارودي»، وأصدر كتابَه الشهير «وعود الإسلام»، فكان ذلك الكتابُ بدايةَ حربٍ شعواءَ شُنَّت عليه مِن أكثرَ مِن جهة، خاصةً أنه قد أعلن في كتابه هذا «أنه لا توجدُ اليومَ أمةٌ تَحملُ كلمةَ اللَّه بأمانةٍ وصدقٍ غيرُ الأمةِ الإسلامية، ولا يوجدُ كتابٌ سماويٌّ يُمثِّلُ كلمةَ اللَّه بحقٍّ ـ دون تحريفٍ ـ إلاَّ القرآن، ولا أملَ في إنقاذ الغربِ إلاَّ بأن يعترفَ بأنه مَدينٌ لحضاراتٍ أخرىٰ، ويُغيِّرُ موقفَه المعنِّتَ من الإسلام؛ لأن الغربَ الذي رَفض رُوحانياتِ الإسلام هو اليومَ أحوجُ ما يكونُ إليها، ورَفَض الغربُ عقيدةَ التوحيد، وغَرِق في المادةِ، فانتهىٰ به الأمرُ إلىٰ خَواءٍ رُوحيٍّ وتمزُّقٍ بين الأيديولوجيات.. والإسلامُ ليس كُفرًا ـ كما رَوَّج المُغرِضون القُدامىٰ في الحرب الصليبية ـ، وليس إرهابًا ـ كما يُصوِّرُه المُغرِضون الجُدد ـ. إنه الدينُ العَمليُّ الذي يُقدِّمُ للإنسان نظامًا كاملاً شاملاً لحياةٍ إنسانيةٍ بكلِّ

---

(١) انظر «حول إسلام جارودي» جمعي وكتابي «أعلام وأقزام في ميزان الإسلام».

احتياجاتِها، وليس مجردَ عقيدةٍ منعزلةٍ عن دنيا الناس».

☐ ويُركِّزُ جارودي على أن الإسلامَ هو الدينُ الذي يَعترفُ بالديانات السماوية، والمبدأُ الذي قرَّره الرسولُ ﷺ سَبَق به الدعوةَ إلى حقوقِ الإنسان بقرونٍ، وهو «**لا فضل لعربيٍّ على أعجميٍّ، ولا لأعجميٍّ على عربيٍّ إلاَّ بالتقوى**»، فليس في الإسلامِ تمييزٌ على أساسِ اللون أو الجنس.

☐ وقد تولَّى «جارودي» في كتابه «وعود الإسلام» تفنيدَ الاتهامات التي تُردَّدُ في الغربِ ضدَّ الإسلام.

☐ ويقول «جارودي»: «إن الغربَ غَرِق في الفَردية، فلم يَعُدْ للأسرةِ ولا للصداقةِ ولا للأُخوَّةِ الإنسانيةِ وجود، وتحوَّل الإنسانُ إلى ذئبٍ أمامَ أخيه، بينما يُعلِّمُ الرسولُ ﷺ المسلمين: «**لا يؤمنُ أحدُكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه**»، و«**المسلمُ أخو المسلم، لا يَظلمُه، ولا يَخذُلُه، ولا يَكذبُه**»، و«**كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ، دمُه ومالُه وعِرضُه**»، و«**المؤمنُ للمؤمن كالبُنيانِ يَشُدُّ بعضُه بعضًا**».

هذا هو دستورُ الإسلام لبناءِ مجتمعٍ متماسكٍ يَصُونُ حقوقَ أفراده».

☐ ويَحكي «جارودي» تجربةَ دخولِه في الإسلام منذ بدايتها، فيقول: «بدأتُ إسلامي بالشهادتين، وهذا ركنُ الإسلام الأولُ، وبه يُسلِمُ الإنسانُ قلبَه للَّه الواحدِ الخالقِ المدبِّرِ الجديرِ بالعبادةِ وحدَه دون شريك.. ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ومحمدٌ ﷺ رسولُ اللَّه المبعوثُ من اللَّه للناس كافةً.. ووَجدتُ في الصلاةِ تعبيراً جميلاً عن اتصالِ الإنسانِ باللَّه، وتَشعُرُ بعظمةِ الإسلام حين

ترىٰ المسلمين وقد وَقفوا في وقتٍ واحدٍ صفوفًا منتظمةً متَّجهينَ إلىٰ قِبلةٍ واحدة، وقبلَ الصلاة يكونُ الوضوءُ ـ وهو نوعٌ من الطهارةِ الجسديةِ ـ تمهيداً للوقوف بين يَدَي اللَّه».

◻ ويتحدَّثُ عن الزكاة فيقول: «إنها في الإسلام لا تُعتبرُ صدقةً . . بل هي حقٌّ معلومٌ للفقراء من أموالِ الأغنياء، والمالُ كلُّه للَّه في مفهومِ الإسلام، فالزكاةُ وسيلةُ التكافلِ والتضامنِ الاجتماعيِّ في المجتمعِ الإسلاميِّ، تُزيلُ الحقدَ من نفوسِ الفقراء، كما تُزيلُ الجَشعَ من نفوسِ الأغنياء. . أمَّا الحج، فإنه يَجمعُ المسلمين في وقتٍ واحدٍ ومكانٍ واحدٍ أمامَ اللَّهِ بلا تمييزٍ طَبَقيٍّ، ليُشعرَهم بعظمةِ دينِهم، ويُقوِّي فيهم الإحساسَ بالترابطِ، ويؤكِّدَ المساواةَ بين المسلمين أمام اللَّه».

◻ وعن الاقتصاد في الإسلام يقول: «إنه يقومُ علىٰ مبادئَ، مِثلِ: التوازن في توزيعِ الدخل، وتحريم الاحتكار، وجَعلِ المِلكيةِ الفرديةِ لصالح الفرد والجماعة، واعتبارِ السُّوقِ وسيلةً وليس غاية، وأهمُّ من كلٍّ ذلك أن المسلمَ يَجعلُ اللَّهَ أمامَ عينيه في كلِّ ما يقول وكلِّ ما يعمل، ولا يَسمحُ لنفسه بأنْ يتعدَّىٰ حدودَ اللَّه. أما في الغرب فإن الهدفَ هو السَّعيُ إلىٰ المَزيدِ من الربح، والمزيدِ من الإنتاج، والمزيدِ من الاستهلاك».

◻ ويَعتبر «جارودي» أن وَضْعَ المرأةِ في الإسلام هو الوضعُ الأمثلُ، فقد رَفع الظُّلمَ عنها، وساوَىٰ بينها وبين الرجل في الحقوقِ والواجبات. . وصان المرأةَ، وحافَظَ علىٰ كرامتها.

◻ ويُشير إلىٰ وضعِ المرأة في الغربِ علىٰ مدىٰ العصور؛ فقد أباح

«سقراط» أن يُقرِضَ الزوجُ زوجتَه لمن يشاء من أصدقائه، «وأفلاطون» قرَّر ضرورةَ شيوعِ النساء، أي: أن تكونَ كلُّ النساء لكلِّ الرجال، ولا يكونَ لرجلٍ امرأةٌ بعينها، والأبناءُ هم أبناء المجتمع!!.

◻ وقد أعطى الإسلامُ للمرأةِ حقوقًا لأولِ مرةٍ، منها: حقُّ التملُّك، وجَعَل لها نصيبًا في الميراث بعد أن كانت هي نفسُها ضِمنَ التركة، وأعطاها حقَّ التعلُّم والعملِ واختيارِ الزوجِ وطلبِ الطلاق، وقرَّر الإسلامُ للمرأةِ حقوقًا بعد الطلاقِ، منها: النفقة، وحِضانةُ الصغار.

◻ ويَسخرُ «جارودي» من زيادةِ الأطفالِ غيرِ الشرعيين في المجتمعاتِ الغربيةِ والتفاخُرِ بحريةِ العلاقات الجنسيةِ خارجَ الزواج، ويتساءل: «أيهما أفضلُ وأكثرُ حمايةً للمرأة وللأبناء: تعدُّد الزوجات في إطار الشرعية أو تعدد العلاقات غير الشرعية؟!»[1].

◻ ويتكلَّمُ «جارودي» عن الأفكارِ الرائجةِ في الغرب التي تَدفعُ الشبابَ إلى الإحباطِ واليأس، ويَشعرون ـ كما قال فلاسفة الوجودية ـ بأن الحياةَ ليست سوى جَحيمٍ، وأن الآخَرين هم أيضًا جحيم، وأن الإنسانَ يَسيرُ في حياتِه ـ بعينٍ مُغمضةٍ ـ نحوَ هاويةٍ لابد منها، ومن هؤلاء مَن حَصل على جائزةِ نوبل أو رُشِّح لها، ولهم تلاميذُ كثيرون اعتَنقوا أفكارهم، ويتجرَّأُ أحدُهم إلى حدِّ إعلانِ موتِ اللّه، كما فعل الفيلسوف الألماني «نيتشه» من قبلُ، وبعضُهم يَصِفُ الإنسانَ بأنه مجردُ دُميةٍ على مسرحِ العرائس الذي نُسميه الحياة!.

(١) «المنصفون للإسلام في الغرب» (ص٢٢١ ـ ٢٢٥) باختصار.

❑ يقول «جارودي»: «كيف أصفُ هؤلاء المفكِّرين والكُتَّاب؟ إنهم سفَّاحو الثقافةِ والفكر، بينما عقيدةُ الإسلام قادرةٌ علىٰ إعطاءِ الأملِ للإنسان، وشَحْذِ عزيمتِه، وإرشادِه إلىٰ طريقِ الخيرِ والفضيلةِ، ووعودُ الإسلام بالحسابِ في الآخرة ثوابًا أو عقابًا تكفي لإعطاءِ الحياةِ أعظمَ المعاني».

ويدعو «جارودي» مفكِّري الغربِ إلىٰ تفهُّمِ الإسلام، وأن يتعلَّموا كيف يُمكِنُهم الوصولُ إلىٰ الرُّوح ـ رُوحِ الإسلام ـ، وحينئذٍ سوف تمتلئُ نفوسُهم بالأملِ في الحياةِ وما بعدَ الحياة.

❑ وفي نفس الوقت يدعو «جارودي» المسلمين إلىٰ أنْ يتحرَّكوا ويُجدِّدوا حياتَهم في ظلِّ الإسلام، وألاَّ يستسلموا للجمودِ ويقعوا في عبادة الماضي، ويَستشهدُ علىٰ ذلك بعبارةٍ بليغةٍ لمفكِّرٍ فرنسيٍّ شهيرٍ هو «جورس» الذي قال: «إن إخلاصَ المرءِ لأجداده لا يكون بالإبقاءِ علىٰ رَمادِ المدفأة التي كانوا يستعملونها.. بل بإذكاءِ جَذوةِ النارِ فيها».

❑ وفي محاضرةٍ شهيرةٍ في جامعة الأزهر في مارس ١٩٨٣، بدأ «روجيه جارودي» حديثَه بعباراتٍ قاطعة فقال: «إن الإسلامَ اليوم هو الدينُ الذي ما زال في حالةِ تقدُّم مستمر، وإنْ كان قد أصاب المسلمين الضعفُ في القرن الثامن في الأندلس، إلاَّ أن الإسلامَ ما زال ينتشرُ في آسيا، والهند، وأندونيسيا، وفي أماكنَ أبعدَ مِثلِ ماليزيا، وبورما، وتايلاند، والصين، وكوريا، واليابان، وفي الفترة التي وقف فيها «عبدُالناصر» في مواجهةِ الغرب حَدَث اندحارٌ للاستعمار في أفريقيا، وتحرَّر كثيرٌ من الدول، وأصبحت القارةُ الإفريقيةُ بأكملها في سبيلها لأن تكونَ قارَّةً إسلاميةً، كما

وصلت هذه المَوجةُ أيضًا إلىٰ الولاياتِ المتحدة وآسيا الوسطىٰ. . وهكذا فإنَّ هناك صورةً جديدةً للإسلام بدأت في الظهور تُكمِلُ نَهضَته وتَفتُّحَه حتىٰ في البلادِ التي تَسُودُها الضغوطُ السوفيتية، وعندما تتفجَّرُ هذه الآفاق سيظهرُ للعالَم أنَّ الإسلامَ حيٌّ يستطيعُ مواجهةَ تحدياتِ القرن، كما استجاب في الماضي لمتطلَّباتِ عصورٍ ومجتمعاتٍ عديدة».

وانتشارُ الإسلام - في رأي جارودي - هو ردُّ فعلٍ لطغيانِ الغرب. . فالغربُ يسيطرُ علىٰ العالم بدونِ شريكٍ منذ خمسةِ قرون، وفَرَض نموذجَه الحضاريَّ والثقافي، والنموذجُ الغربيُّ للتنميةِ قائمٌ علىٰ نَهبِ الثرْواتِ المادية البشريةِ التي تمتلكُها الشعوبُ الأخرىٰ، مع أن شعوبَ الغربِ تعادلُ خُمْسَ سُكَّانِ الكرةِ الأرضية فقط، والغربُ يُنتجُ أيَّ شيءٍ بكمياتٍ كبيرة، سواءٌ كانت مفيدةً أم ضارةً أم قاتلةً، مثلَ الأسلحةِ المدمِّرة التي تُعدُّ سُوقًا رائجةً يعتمدُ عليها الغربُ في تحقيق الرخاء الذي يَنعَمُ به حاليًا.

وذلك النموذجُ المخيفُ للتنميةِ يكشفُ طبيعتَه الانتحارية، ففي عام ١٩٨٢ مثلاً بَلَغ الإنفاقُ علىٰ الأسلحة ٦٥٠ مليار دولار، وكان لكلِّ فردٍ في العالَم ما يُوازِي أربعةَ أطنانٍ من المتفجِّرات التقليدية، وأصبح مِن الممكن نظريًّا تدميرُ كلِّ أثرٍ للحياة في هذه الأرض، وذلك الاحتمالُ - وإن كان بعيدَ الوقوع - إلاَّ أنه يَحدُثُ لأولِ مرةٍ في تاريخ البشرية، أي منذ ثلاثةِ ملايين سنةٍ علىٰ الأقل! بينما تشيرُ إحصاءاتُ الأممِ المتحدة عن نفسِ العام (١٩٨٢) إلىٰ أن الذين ماتوا جُوعًا بلغوا ٥٠ مليونَ إنسانٍ في العالم الثالث، ولا يمكنُ تخيُّلُ صورةٍ أبشعَ من هذه الصورة التي وَصل إليه العالَمُ بعد خمسةِ قرونٍ من الحضارة والتقدُّم - كما يقولون في الغرب -.

❑ ويَرصُد «جارودي» كتاباتٍ في الغرب اتَّجهت إلىٰ إنصافِ الإسلام ومحاولةِ فهمه، ويقول: «إن هذه الكتاباتِ كانت في ألمانيا فقط؛ لأنها لم تَستعمرْ بلادَ المسلمين كما فعلت بريطانيا وفرنسا، وهذا ما جَعل المفكِّرَ «هيردر» (١٧٤٤ ـ ١٨٠٣) يعترفُ بأن العربَ هم «أساتذة أوروبا»؛ فنجدُ «فردريك شليجل» يُشيدُ بالفنون الشرقية الإسلامية، والشاعرَ الألماني الكبير «جوته» الذي كَتب عام ١٧٧٤ قصيدةً في تمجيدِ محمدٍ ﷺ، ودعا في كتابه «الديوان الشرقي» إلىٰ الهجرةِ إلىٰ الشرقِ لِينهلَ الغربُ منه شبابًا جديدًا، وقد أُعجب «جوته» بالشعراء الصوفيين الكبارِ أمثال ابن الرومي، وحافظ الشيرازي، والسعدي، وكان المستشرق «سلفستر دي ساسي» قد تَرجم بعضَ أشعارهم، كما كان «جوته» أولَ مَن قال في الغرب: «إذا كان الإسلامُ يعني التسليمَ للّه، فإننا جميعًا نعيشُ ونموتُ علىٰ الإسلام».

وأبدىٰ الفيلسوفُ الألماني «هيجل» تقديرَه للإسلام؛ لأنَّ اللّهَ الواحدَ الأحدَ في الدين الإسلامي يُحرِّمُ التميزَ العِرْقيَّ والطائفي، ويُحرِّمُ استعلاءَ طبقةٍ علىٰ أساسِ المِلكيةِ وحدها، ويُعوِّدُ المسلمين الدقَّةَ في حياتِهم بفروضٍ أهمُّها الصومُ والصلاةُ والزكاة.

❑ وكان الفيلسوف الألماني: «أوزوالد شبلنجر» أكثَرَ جُرأةً في إنصافِه للإسلام في كتابِه الشهير «سقوط الغرب» عام ١٩١٧، حيث قال: «لم يكن لغزُ النجاحِ الخارقِ للإسلام بسبب اندفاعِه الحربي؛ ولكن لأنه استوعب كلَّ الديانات».

❑ أين هذا من نظرةِ الاستعلاءِ والصَّلَفِ عند الصليبيِّ «لورانس العرب» ـ رجل المخابرات البريطانية ـ الذي يقولُ في كتابه «أعمدة الحكمةِ

السبعة»: «إنَّ جميعَ ولاياتِ الإمبراطورية العثمانيةِ لم تكنْ تُساوِي - في نظري - حياةَ إنسانٍ بريطانيٍّ واحد»؟!.

◻ ويعارضُ «جارودي» التيارَ الغربيَّ الذي يتهمُ الإسلامَ بأنه دينٌ ينتمي إلىٰ الماضي، فيقول: «إنَ الإسلامَ قوةٌ رُوحيَّةٌ عظيمةٌ للإصلاح والتقدم في المستقبل كما كان دائمًا».

◻ ولَمَّا دوَّىٰ صوتُ «جارودي» في الغرب دِفاعًا عن الإسلام، تحمَّل بسببِ ذلك الكثيرَ من الاضطهاد والمطاردة إلىٰ حدِّ محاكمته والتهديدِ بسجنه.

* **الدكتور جرينييه:**

◻ قال الرحَّالة السيد «محمود سالم» في مقالٍ له نُشِر في مجلة «المنار»، مجلد ١٤ (ص٥١٨): «قَصَدتُ في سياحاتي مدينةَ «بونتارليه» لمقابلة الدكتور «جرينييه» المسلمِ الفرنساويِّ الشهير، الذي كان في السابق عُضواً في مجلس النوَّاب، قابلتُه لأجلِ أنْ أسألَه عن سببِ إسلامه، فقال: «إني تتبَّعت كلَّ الآياتِ القرآنيةِ التي لها ارتباطٌ بالعلوم الطبيَّةِ والصحيَّة والطبيعية، والتي دَرستُها من صغري وأعلمُها جيِّدًا، فوجدتُ هذه الآيات منطبقةً كلَّ الانطباقِ علىٰ معارِفِنا الحديثة، فأسلمتُ لأني تيقَّنتُ أن محمداً ﷺ أتىٰ بالحقِّ الصُّراح مِن قبلِ ألفِ سَنة، مِن قَبْل أن يكونَ مُعلمٌ أو مدرِّسٌ من البشر، ولو أن كلَّ صاحبِ فنٍّ من الفنون، أو عِلمٍ من العلوم قارن كلَّ الآياتِ القرآنيةِ المرتبطةِ بما تعلَّم جيِّداً كما قارنت أنا، لأَسلم بلا شك.. إنْ كان عاقلاً خاليًا من الأمراض»[1].

---

(١) «أوربا والإسلام» للشيخ د. عبدالحليم محمود (ص٨٧-٨٨).

ومن أمريكا

* **الدكتور ليتنز الأمريكي:**

قال في موضوعٍ له في مجلة «المقتطف» ـ المجلد الخامس ـ الجزء ٤، عَرَّبه الأستاذ «وليم باسيلا» المصري: «إنَّ محمداً نبيٌّ، وقد أوحىٰ اللَّه إليه، ومرةً أوحىٰ إليه وحيًا شديدَ المؤاخذة؛ لأنه أدار وجهَه عن رجلٍ فقيرٍ أعمىٰ، ليُخاطبَ رجلاً غنيًّا مِن ذَوِي النفوذ، وقد نَشَر ذلك الوحيُ، فلو كان كما يقولُ أغبياء النصارىٰ بحقِّه، لما كان لذلك الوحيِ من وجود، ولَتَركَتْه العصورُ التي مرَّت عليه أنقاضًا».

* **أندرا وليامس الأمريكي:**

مستشرقٌ أمريكي، قال في كتابه «أميركي في البلاد العربية» ـ تعريب عمر أبو النصر ـ: «قد يكونُ اسم «محمد» أكثرَ الأسماء شيوعًا في العالَمَ، وأشهرُ مَن حَمَل هذا الاسمَ علىٰ الإطلاق عربيٌّ أبصر النورَ في قريةٍ نائيةٍ من أرض الجزيرة العربية ـ وهي «مكة» ـ عام (٥٧١) للميلاد، إليه أوحىٰ اللَّهُ كلمتَه فأجراها في كتاب، ونَشَرها بين الناس، ودعا أصحابَه للإيمان بالإله الواحد ربًّا، وبمحمدِ بنِ عبدِاللَّه رسولاً، وبالعملِ الصالح والنَّهيِ عن المنكر قِبلةً ومُصلًّى، وآذنت حياتُه بمغيبٍ في الثالثة والثلاثين بعد السِّتمئة من البلاد، تاركًا لقومه دينًا جديداً، وكتابًا منزَّلاً، ورسالةً ضخمةً لنشرِ الدين وإقامةِ الحضارة، ولقد دعا محمدٌ في عهدِه إلىٰ أَخَوِيَّةٍ جديدة، أخويةِ المسلم لأخيهِ المسلم، لا فَرقَ بين أولٍ وآخر، سواءٌ أكان أميرًا أم عبدًا إلاَّ بالعملِ الصالحِ والخيرِ والإحسانِ، ثم أرسل قومَه بعد هذا لغزوِ العالَم،

وتوحيدِ الأرض في صعيدٍ واحد، فإذا تَقطَّعت سنواتٌ بعد وفاته، نجدُ الإسلامَ ينتقلُ من نصرٍ إلىٰ نصر، ومِن فتحٍ إلىٰ فتح، وإذا هو يضمُّ العالم المعروفَ في عهدِه إلىٰ سلطانه، وإذا به يَجمعُ بين الشرق والغرب».

*** العلاَّمة واشنطن إروينك الأمريكي:**

◻ قال في محاضرةٍ ألقاها في حفل ميلاد الرسول ﷺ في «ديترويت» سنة ١٩٣٤ ـ نقلاً عن مجلة «الرفيق»، المجلد الثالث العدد الرابع ـ: «لم يكن محمدٌ محبًّا للدنيا قط، وقد لَقِي من الاستهزاءِ مِن قومه والإهانات، حتىٰ اضطُرَّ إلىٰ الهرب، ولم يكن في نَظَرِه إلاَّ تقويمُ دينه، وكانت له آراءُ عاليةٌ، واعتقادٌ حسنٌ بربِّه، ويقينٌ بشريعتِه فوقَ يقينِ أيِّ رسولٍ من الرسل، ويَدُلُّنا علىٰ ذلك قوله: **«لو وَضعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يَساري على أن أتركَ هذا الأمرَ، ما تركتُه»**[1] . .».

*** هارونِ ماركوس الأمريكي:**

وُلد ١٨١٢، وتُوفي ١٨٨٧ . . دكتور بالفسلفة.

◻ قال في كتابه «حياة محمد نبيِّ المسلمين»: «تعالوا إلىٰ كلمةٍ سواءٍ بيننا نُنصِفْ بها الإسلامَ الحنيف، ونَبيَّه العظيمَ محمداً، ولْنجعلْ موضوعَنا اليوم «الحكومة الإسلامية في صدر الإسلام»، ولْنستعرضْ تنظيماتِها في عهدِ سيِّدها وزعيمِها وقائدِها ـ ذلك الرسولِ الكريم ـ، لنبيِّنَ أن الصحابةَ والخلفاءَ وقادةَ الإسلام، كانوا يقومون بواجباتهم بكلِّ أمانةٍ ودقَّةٍ وِفقًا للشريعة الغرَّاءِ التي جاء بها محمد، لم يكن في فجرِ الإسلام شِيَعٌ ولا

---

(١) هذا لفظ ضعيف.

أحزاب، بل على العكس من ذلك، كانت الحكومةُ الإسلاميةُ تُمثِّلُ جميعَ المسلمين تمثيلاً صحيحًا، وهي عبارةٌ عن هيئةٍ منظَّمةٍ مشتركة، تنطقُ بحقٍّ، بلسانِ كافةِ المسلمين، كلُّ مسلمٍ يَشُدُّ أَزْرَ أخيه المسلم، ويَشعرُ بأنَّ من الحق والواجبِ عليه أن يتوجَّعَ لوجعه، وكان عَدلُ محمدٍ منتشراً بين المسلمين».

□ إلى أن قال: «فقد كان محمدٌ زعيمًا وقائدًا سياسيًّا بما في أسمى معاني الزعامةِ السياسيةِ من معنًى وسيادة، هذه كانت تتجلَّى في أروعِ المظاهرِ التي عَرَفها بنو الإنسان، وخَليقٌ بي - وأنا في صَدرِ الكلام من الزعامة السياسية - أن أدحَضَ فِريةً وأرُدَّ بهتانًا، لا يزالانِ عالقَينِ في أذهانِ قاصِري العقول، الذين لا يَملِكون ذرَّةً من حصافةِ الرأي، وتلك الفريةُ وذلك البهتانُ هما ما يُردِّدُه أولئك الأغبياءُ، الذين يَزعُمون أنْ لا علاقةَ بين الدين والسياسة، وأنْ لا رابطةَ تربِطُ أحدَهما بالآخر!! إنَّ من الخطأ أن يَظنَّ ظانٌّ هذا».

*** جورج دي تولدز الأمريكي:**

□ وُلد في «شيكاغو» ١٨١٥، وتُوفي ١٨٩٧، كان رئيسَ بنكِها التجاري، وله مؤلَّفات عديدة استعرض فيها عاداتِ العرب، ومنها كتاب «الحياة»، قال فيه: «إنَّ من الظُّلمِ الفادحِ أن نَغمِطَ حقَّ محمدٍ - والعربُ على ما علِمناهم من التوحُّش قبلَ بعثتِه -، ثم كيف تبدَّلتِ الحالةُ بعدَ إعلانِ نبوَّته، وما أورَثَته الديانةُ الإسلاميةُ من النور في قلوبِ الملايين من الذين اعتنقوها بكلِّ شوقٍ وإعجابٍ من الفضائل، لذا فإن الشكَّ في بَعثةِ محمدٍ إنما هو شكٌّ في القُدرة الإلهية التي تشتملُ الكائناتِ جَمعاءَ».

* **المؤرِّخ الكبير المستر أورينج الأمريكي:**

▫ قال في أول كتابه «الحياة والإسلام»: «كان النبيُّ لأخيرُ بسيطًا خلُوقًا، ومفكِّرًا عظيمًا، ذا آراءَ عالية، وإنَّ أحاديثَه القصيرةَ جميلةٌ ذاتُ معانٍ كبيرة، فهو إذًا مقدَّسٌ كريم».

* **المستر ستنلي لبن بول الأمريكي:**

وُلد في بلدته «لاكاسا» ١٨٨٠.

▫ قال في كتابه «أقوال محمد»: «كان محمدٌ رؤوفًا شفيقًا، يعودُ المريضَ، ويَزورُ الفقير، ويُجيبُ دعواتِ العبيدِ الأرِقَّاء، وقد كان يُصلِحُ ثيابَه بيده، فهو إذًا لا شك نبيٌّ مقدَّس، نشأ كيتيمٍ مُعوِزٍ حتىٰ صار فاتحًا عظيمًا».

* **العلاَّمة ماكس الأمريكي:**

مستشرق، ولد في «غرونلندا» ١٧٩٥، وتوفي ١٨٦٨، وله مؤلَّفاتٌ قَصيصةٌ وكتابُ «عظماء الشرق».

▫ قال فيه (ص٩٣): «لقد نَفَذت روحُ الإسلامِ من محمدٍ رسولِ اللَّه إلىٰ المسلمين، إلىٰ الهُداة والصالحين، وإنَّ هذه الرُّوحَ القويةَ حَدَتْ بالنبيِّ إلىٰ الهجرةِ من مكةَ إلىٰ المدينة، بينما كان أعداؤه مِن المشركين يَجِدُّون في البحثِ عنه ليؤذوه، بل ليُذيقوه رَيبَ المنون، ومِن الغريب أن أعداءَ النبيِّ لم يُقنِعوا أنفسَهم بتركِ مكة، بل تَعقَّبوه في هِجرته، وهناك ضَربوا علىٰ نُزله سِياجًا من الحَيطةِ لأجلِ القبضِ عليه، ولكنَّ رُوحَ الإسلامِ الدفينةَ في أعماقِ الهِمَّة، ألهمته أن يتناولَ قبضةً من ترابٍ، فتناوَلها ورَمَىٰ بها عليهم،

فأخذتهم سِنَةٌ مِن النوم، تمكَّن خلالَها النبيُّ من النجاةِ منهم في الصحراء حيث اختفىٰ في غارٍ هناك، ولا تَقُلْ: إن اختفاءَه في الغار يَحُولُ دون هلاكِه وحَتْفه، ولكنَّ الإسلامَ وما في ثناياه من رُوحانيةٍ وقوَّة، جَعل الحمامَ يَبيضُ علىٰ بابِ الغار[1]، ولَمَّا أفاق أعداؤُه من غَشَيانهم تتبَّعوا أثَرَه إلىٰ الغار، وأخذتهم هواجسُ الظنِّ، لِعلمهم بأنَّ النبيَّ لا يُمكنُ بأيِّ حالٍ أن يكونَ في الغار، فمَن يُرِدْ أن يؤمنَ بوحدانيةِ اللَّه، فعليه أن يشاهدَ بسهولةٍ يدَ اللَّهِ المحرِّكةَ للكائنات مِن غيرِ أن تُبصِرَها العينُ المجرَّدة، وبخاصةٍ عندما أُحيطت حياةُ النبيِّ مِن يدِ العدوانِ برعايةِ الطيرِ الذي اندَفَع إلىٰ حمايةِ محمدٍ بيدِ الإلهِ الخافيةِ عن الأبصار».

* المستر سنكس الأمريكي:

مستشرقٌ أمريكي، وُلد في بلدته «بالاي» عام ١٨٣١، وتُوفي ١٨٨٣، له كتاب «ديانة العرب».

◘ قال في مقدمته: «ظهر محمدٌ بعد المسيح بخَمْسمئةٍ وسبعين سنةً، وكانت وظيفتُه ترقيةَ عقول البشر، بإشرابها الأصولَ الأوليةَ للأخلاقِ الفاضلة، وبإرجاعها إلىٰ الاعتقادِ بإلهٍ واحد، وبحياةٍ بعد هذه الحياة».

◘ إلىٰ أن قال: «إنَّ الفكرةَ الدينيةَ الإسلامية، أحدثت رُقيًّا كبيراً جداً في العالَم، وخلَّصت العقلَ الإنسانيَّ من قيودِه الثقيلة، التي كانت تأسِرُه حولَ الهياكلِ بين يَدَيِ الكُهَّان، ولقد توصَّل محمدٌ بمَحوِه كلَّ صورةٍ في المعابد وإبطالِه كلَّ تمثيلٍ لذاتِ الخالقِ المُطلَق: إلىٰ تخليصِ الفِكرِ الإنسانيِّ من عقيدةِ التجسيدِ الغليظة».

(١) الحديث الوارد في قصة العنكبوت والحمامتين لا يَصِحُّ.

* **الدكتور بيرودج الأمريكي :**

◻ رئيس الجامعة الأمريكية في لبنان، وقد احتفل شبابُ الجامعة المسلمون بعيد ميلاد «محمد» ﷺ عام ١٩٢٣، قال فيها ـ نقلاً عن مجلة «العرفان»، المجلد الثالث والثلاثين، العدد السابع ـ: «إنكم تجتمعون اليوم ـ مُحتفِلين بمولدِ مُصلحٍ عظيم، ألاَ وهو النبيُّ محمد، فهل لكم أنْ تتشرَّبوا مِن رُوحِ الإصلاحِ الذي يَحمِلُه محمدٌ، فتَخرجوا لإصلاحِ مجتمعٍ مِلؤُه الجهلُ والاضطرابُ؟!».

* **المؤرِّخ إريك بنتام الأمريكي :**

مبشِّرٌ مسيحي، أنفق فترةً طويلةً في أعمال التبشير في الشرق الأوسط، له كتاب«الوصول إلىٰ الإسلام»، وقد حاوَل فيه أن يردَّ بطريقةٍ غيرِ مباشرةٍ المصاعبَ التي تُواجُهها بَعثاتُ التبشير في عالَم الإسلام، وحاول المؤلِّفُ فيه أيضًا أن يَشرحَ لقُرَّائِه كيف أن الإسلامَ وتعاليمَ الرسولِ الكريم محمد ﷺ قد تأصَّلت في نفوسِ المسلمين، وخَلقت فيهم مَناعةً ضدَّ قبولِ المذاهبِ الدينيةِ المسيحيةِ التي تَولَّىٰ صاحبُنا المؤلِّفُ الدعوةَ إليها في أوساط المسلمين.

◻ ولقد قال ـ بعدَ بيانٍ مُسهَبٍ في الموضوع السابق ـ: «إنَّ الخلافَ الجوهريَّ بين الإسلامِ والمسيحيةِ يعودُ إلىٰ أن الإسلامَ لا يَرضىٰ بأن يُشركَ مع ربِّه أحداً، فنظرية «الثالثوث المقدس» التي يَستندُ إليها دعاةُ المسيحية بين الإسلام، لا تَجدُ أيَّ صدًىٰ بين الجماعات الإسلامية مهما كانت عليه هذه الجماعات من جهلٍ أو معرفة».

□ ثم قال: «هذا الاعتقادُ بين المسلمين مِن أهمِّ الأمور التي سَبَّبت فشلَ الدعوةِ المسيحيةِ في العالم الإسلاميِّ».

ثم استَعرض موجزَ العقيدةِ الإسلامية، وأثنىٰ علىٰ صاحبها محمدٍ ﷺ بما لم يَسبق إليه أحد.

ومِن سويسرا

* **الدكتور بندلي جوزي السويسري:**

وُلِد في بلدته «لوزان» (١٨٠٣م)، وتُوفي في (١٨٨٣م).

□ قال في كتابه «الجاهلية والإسلام» (ص٢٣): «إننا لو بَحَثْنا عمَّا تمَّ علىٰ يدِ النبيِّ الأُمِّي محمدٍ من الإصلاح، لَمَا استطعنا أنْ نُنكرَ أنه قام بأكثرِ وعوده، وحَقَّق قِسمًا كبيرًا من أمانيه، ولو قُدِّر له أن يعيشَ أكثرَ مما عاش، لكان الإصلاحُ الذي أدخله علىٰ حياةِ الأمةِ العربيةِ أتمَّ وأوسعَ، ومع ذلك فإنَّ عَمَلَه الذي عَمِلَه في هذه السنينَ القلائلِ التي قضاها في المدينة بين الحروب والمنافساتِ الشخصية والدسائسِ والحربِ والمكرِ والنفاقِ، لهو شيءٌ عظيمٌ لا يُنكِرُه إلاَّ مكابرٌ عنيدٌ، أو متصِّبٌ أعمىٰ».

* **المستر هربرت وايل السويسري:**

□ قال في كتابه «المعلِّم الأكبر»: «ظهر محمدٌ، فأزال كلَّ الأوهام، وحَرَّم عبادةَ الأصنام، فهو الذي أرشَدَ أهلَ الضلال إلىٰ الصراطِ المستقيم، ورَفَع عن كاهلِ العرب كابوسَ الجاهليةِ، وأخرجهم إلىٰ حيِّز الرُّقيِّ من الجهلِ المسيطر».

* **المسيو حنا دا كنبرت السويسري:**

وُلد في بلدته «لاون» التابعة لمدينة «لوزان» ١٨٣٦، وتُوفِّي ١٩١٢.

❑ قال في كتابه «محمد والإسلام»: «كلّما ازداد الباحثُ تنقيبًا في الحقائق التاريخيةِ الوثيقةِ المصادرِ فيما يَخصُّ الشمائلَ المحمَّدية، ازداد احتقاراً لأعداءِ محمدٍ ـ مثل: ماركس، وبريدر، وشلجل، وغيرهم ـ الذين أشرَعوا أَسِنَّةَ الطعنِ في محمدٍ قبلَ أن يعرِفوه، ونَسبوا إليه ما لا يَجوزُ أن يُنسبَ إلىٰ رجلٍ حقيرٍ فضلاً عن رجلٍ كمحمدٍ الذي يُحدِّثُنا التاريخُ عنه أنه رجلٌ عظيم».

* **المسيو ميسمر السويسري:**

وُلد في جنيف ١٨٢٧، وتُوفي في ١٨٩٨.

❑ قال في كتابه «الإسلام في الشرق»: «لقد نَجح صاحبُ الشريعةِ الإسلامية».. إلىٰ أن قال: «وعند الفلاسفةِ المحقِّقين أن الرجالَ أُولي العَظمةِ الذين تَبقَىٰ أعمالُهم علىٰ مَدىٰ الدهر، هم من أهلِ النباهةِ الكبرىٰ الذين يَجيؤون لإصلاح العالم، وشِفاءِ عَصرِهم من مَرَضِه، وما فعله محمدٌ هو أنه لَمَّا رأىٰ ضلالَ الناس في معرفةِ الخليقة، عَزَم علىٰ إرشادِها، وتطبيقِ قوانينِ الطبيعةِ علىٰ أُمورِ العالَم، بقَدرِ ما كان معروفًا في ذلك الوقت، لذلك أعلن الوحدةَ الإلهية، بدلاً من الخرافاتِ التي مقتضاها تَثليثُ إلهٍ وجَعلُه مركَّبًا من «الأب والابن وروح القدس»، فالوحدانيةُ هي أساسُ دينِ الإسلام، وسببُ نُصرةِ محمدٍ».

* المسيو سيدللو السويسري:

وُلد في «كونتاي» ١٨٨٧.

◻ قال في كتابه «تاريخ العرب» - الطبعة الثانية عام ١٨٧٧ الجزء الأول (ص٥٨) -: «ولَمَّا بَلَغ محمدٌ من العمرِ خَمسًا وعشرينَ سنةً، استَحقَّ بحُسنِ سيرته واستقامتِه مع الناس أن يُلقَّب بـ «الأمين»، ثم استمرَّ على هذه الصفاتِ الحميدةِ حتى نادى بالرسالة ودعا قومَه إليها، فعارضوه أشدَّ معارضة، ولكنْ سَرعانَ ما لَبَّوا دعوتَه وناصَروه، وما زال في قومِه يَعطِفُ على الصغيرِ ويحنو على الكبير، ويَفيضُ عليهم من عَمَلِه وأخلاقه».

* ر. ف: بودلي السويسري:

◻ قال في كتابه «حياة محمد» المترجَم إلى العربية - تعريب محمد فرج وعبدالحميد جودة (ص٦): «إنَّنا لا نجدُ ما دَوَّنه معاصِرو موسى أو كونفوشيوس أو بوذا، ولا نعرفُ إلاَّ شَذَراتٍ عن حياةِ المسيح بعدَ رسالته، ولا نعرفُ شيئًا عن الثلاثين سنةً التي مَهَّدت الطريقَ للسنواتِ الثلاثة التي بَلَغ بها أَوْجَهُ، ولكننا نجدُ أن قصةَ محمدٍ واضحةٌ كلَّ الوضوح، ففي سيرةِ محمدٍ نجدُ التاريخ بدَلَ الظلال والغُموض، ونعرفُ الشيءَ الكثيرَ عن محمدٍ، كما نعرفُ ذلك عن رجالٍ عاشوا في أزمانٍ أكثرَ قُربًا من زماننا، وما كان تاريخُه الخارجيُّ وشبابُه وأقرباؤُه وعاداتُه خرافةً من الخرافات، ولا شائعةً من الشائعات، وما كان تاريخُه الداخليُّ بروايةٍ مُبهَمةٍ لمبشِّرٍ غامض أو مشوِّش، فبين أيدينا الآن كتابٌ معاصِر - وهو القرآن -، فريدٌ في أصالته وفي سلامته».

* **العلاَّمة ماكس فان برشم السويسري:**

مستشرقٌ وُلد في «لوزان» ١٨٦٣ ـ وتُوفِّي ١٩٢١م، جالَ في بلاد الشرق، له عدَّةُ مؤلفات: منها «العرب في آسيا»، ومنها «الإنسان»، ومنها «مجموع الكتابات العربية القديمة»، وهو علىٰ جانبٍ عظيمٍ من الأهمية لمعرفةِ تاريخِ الشرق العربي السياسي والثقافي.

▭ قال في مقدمة «العرب في آسيا»: «إن محمداً نبيَّ العرب من أكبر مُريدي الخير للإنسانية، إنَّ ظهورَ محمدٍ للعالم أجمعَ إنما هو أثرُ عقلٍ عالٍ وإنِ افتَخَرت آسيا بأبنائها، فيَحقُّ لها أن تفتخرَ بهذا الرجلِ العظيم، إنَّ من الظلم الفادحِ أن نَغمِط حقَّ محمدٍ الذي جاء من بلاد العرب، وإليهم وهم علىٰ ما عَلِمنَاه من الحقد البغيض قبلَ بعثته، ثم كيف تبدَّلت أحوالُهم الأخلاقيةُ والاجتماعيةُ والدينية بعد إعلانه النبوة، وبالجملة مهما ازداد المرءُ اطلاعًا علىٰ سِيرتِه ودعوتِه إلىٰ كلٍّ من يَرفعُ من مستوىٰ الإنسان، إنه لا يجوزُ أن يَنسبَ إلىٰ محمدٍ ما يَنقُصُه، ويدركُ أسبابَ إعجابِ الملايين بهذا الرجل، ويَعلمُ سببَ محبتهم إياه وتعظيمِهم له».

* **العلامة فونالبس السويسري:**

مستشرقٌ سويسري، وُلد عام ١٧٩٣، وتُوفي ١٨٦١، من أدباء القرن التاسعَ عَشَرَ، له عدةُ مقالاتٍ نُقل بعضُها عنه كتاب «مجالي الغرر لكتَّاب القرن التاسع عشر» لجامِعِه «يوسف صفير».

▭ وقد قال في إحدىٰ مَقالاته: «أليس الإيمانُ هو المُعجزةَ الحقَّةَ الدالةَ علىٰ اللَّه؟ فشعورُ محمدٍ إذ اشتَعلت رُوحُه بلهيبِ هذه الحقيقةِ الساطعة بأن

الحقيقة المذكورةَ هي أهمُّ ما يجبُ على الناسِ عِلمُه، لم يكن إلاَّ أمرًا بديهيًّا».

◘ إلى أن قال: «فحبَّذا محمدٌ من رجلٍ خَشِنِ اللباس خَشِنِ الطعام، مجتهدٍ في الليل، قائمِ النهار، ساهرِ الليل، دَئِبٍ في نشرِ دينِ اللَّه، غيرِ طامحٍ إلى ما يَطمحُ إليه أصاغرُ الرجال من رُتبةٍ أو دولةٍ أو سلطان، غير متطلِّعٍ إلى ذِكرٍ أو شُهرةٍ كيفَما كانت، وإلاَّ فما كان ملاقيًا من أولئك العرب الغِلاظِ توقيرًا واحترامًا وإكبارًا وإعظامًا، وما كان يقودُهم ويُعاشرُهم معظمَ أوقاته مدَّةَ ثلاثٍ وعشرين سنةً وهم ملتفُّون به، يُقاتِلون بين يديه ويُجاهدون حوله، لقد كان في هؤلاء العربِ جَفاءٌ وغِلظةٌ وبادرةٌ وعجرفة، وكانوا حُماةَ الأنوفِ، أباةَ الضيم، صِعابَ الشكيمة، حتى قَدَر على رياضتِهم وتذليلِ جانبِهم، حتى رَضَخوا له، فذلكم - وأيم الحق - بطلٌ كبير: ولولا ما أبصَروا فيه من آياتِ النُّبلِ والفضلِ لَمَا خَضَعوا له ولَمَا أذعَنوا، كيف وقد كانوا أطوعَ إليه من بَنانه؟ وظنِّي أنه لو أتيح لهم بَدَلَ محمد قيصرٌ من القياصرة بتاجِه وصَولجانه، لَمَا كان مصيبًا من طاعتهم مِثلَ ما ناله محمدٌ في ثوبه المرقَّعِ بيده، فكذلك تكونُ العَظمةُ، وهكذا تكونُ الأبطال».

◘ ثم قال: «إن ما اتَّصف به محمدٌ من محامدِ الصفات يُرينا فيه أخا الإنسانية الرحيمَ، أخانا جميعًا، وإني لأُحبُّ محمدًا لبراءةِ طبعِه من الرياءِ والتصنع، ولقد كان ابنَ القِفارِ، لا يقول إلاَّ على نفسِه، ولا يدَّعي ما ليس فيه، ولم يكن متكبِّرًا، ولم يكن ذليلاً ضَرِعًا، فهو قائمٌ في ثوبه المرقَّع كما أوجده اللَّه وكما أراد، يخاطِبُ بقوله الحُرِّ المبينِ قياصرةَ الروم وأكاسرةَ

الفُرس، ويُرشدُهم إلىٰ ما يجبُ عليهم لهذه الحياةِ وللحياةِ الآخرة».

* ومن سويسرا أيضًا:

إدوار مونته السويسري مدير جامعة «جنيف»، ولد ١٨١٠، ١٨٨٢.

□ قال في كتابه: «المدنية الشرقية» (ص٤٧): «كان محمدٌ نبيًّا بالمعنىٰ الذي كان يعرفُه العبرانيون القدماء، ولقد كان يدافعُ عن عقيدةٍ خالصةٍ لا صِلَةَ لها بالوثنية، وأَخذ يَسعىٰ لانتشالِ قومِهِ من ديانةٍ جافةٍ لا اعتبار لها بالمرة، ليخرَجهم من حالةِ الأخلاقِ المنحطَّةِ كلَّ الانحطاط، ولا يمكنُ أن يُشكَّ لا في إخلاصِه، ولا في الحَمِيَّةِ الدينيةِ التي كان قلبُه مُفعمًا بها».

ومِن كندا

* المستر جيبون الكندي:

المُعاصِرُ لأوائلِ القرنِ التاسعَ عَشَر، وقد وُلِد عام ١٧٧٣، وتُوفي عام ١٨٢٧م في بلدته «كيبيك»، ألف كتابًا أسماه «محمد في الشرق».

□ قال فيه (ص١٧): «إن دينَ محمدٍ خالٍ من الشكوك والظنون، والقرآنُ أكبرُ دليلٍ علىٰ وحدانية اللَّه، بعد أن نهىٰ محمدٌ عن عبادةِ الأصنام والكواكب، وبالجملةِ دينُ محمدٍ أكبرُ من أن تدرِكَ عقولُنا الحاليةُ أسرارَه، ومَن يتهمُ محمدًا أو دينَه فإنما ذلك من سُوءِ التدبر، أو بدافعِ العصبية، وخيرُ ما في الإنسان أن يكونَ معتدِلاً في آرائه، ومستقيمًا في تصرفاته».

* المستر داور أرلوهات الكندي:

وُلد في «كيبيك» عام ١٨٤٣، وتوفي عام ١٩٠٤، له كتاب «الإسلام

والعرب»، نُقل إلىٰ اللغتين الفرنسية والعربية.

□ قال فيه: «إن محمداً الذي هُدمت لبعثته الأصنام، وتمزَّق لنبوته رِداءُ الجهل الذي كان كغشاوةٍ علىٰ أبصار العرب، قد أشرق قرآنُه بصَقْعهم نوراً يا له من نور! وهو نورُ حكمة، وهو الذي أنزله علىٰ صَدْرِ نبيِّه المبعوثِ لا محالةَ لإرشادِ البشر، واللَّهُ يعلمُ حيث يجعلُ رسالتَه».

*** الدكتور زويمر الكندي:**

مستشرقٌ كندي، ولد عام ١٨١٣، وتوفي عام ١٩٠٠.

□ قال في كتابه «الشرق وعاداته» (ص٢٧): «إنَّ محمداً كان ـ ولا شك ـ من أعظمِ القُوَّاد المسلمين الدينيين، ويَصدقُ عليه القولُ أيضًا: إنه كان مصلِحًا قديراً، وبليغًا فصيحًا، وجريئًا مغواراً، ومفكِّراً عظيمًا، ولا يجوزُ أن نَنسِبَ إليه ما يُنافي هذه الصفات، وهذا قرآنُه الذي جاء به وتاريخُه يشهدانِ بصحة هذا الادعاء».

ومِن إسبانيا

*** العلامة ليبيار الأسباني:**

وُلد ١٨٣٧، وتوفي عام ١٩٠٢، له عدَّةُ مؤلفات، منها «الحياة والشرق».

□ قال فيه: «كان محمدٌ ـ صاحبُ الرسالةِ الإسلامية ـ يجعلُ الحكمَ شورىٰ بينه وبين أصحابه، وقد جرىٰ العلماءُ المسلمون علىٰ هذا النهج، وهم أقطابُ الدين وذادةُ الشرع، وما بَرِحوا هكذا يتشاورون حتىٰ اليوم».

* **الدكتور تورتو كرو الإسباني:**

مستشرق إسباني، ولد في «أشبيليا» ١٨١٠، وتُوفِّي عام ١٨٧٥.

❑ قال في إحدىٰ محاضراته ـ كما نقلت عنه مجلة «الهلال» العدد العاشر من المجلد الثالث ـ: «إن محمدًا لم يَعتمِدْ في نبوته علىٰ المعجزات، وكانوا يقولون له: «إنْ كنتَ نبيًّا، فاعملْ لنا من خوارقِ العادات ما هو كذا وكذا»، فكان يُجيبهم: «إن رسلاً كثيرين جاؤوا بالمعجزات، وكَذَّبهم البشرُ، وأنا مهما جئتُكم بالمعجزات فلن تؤمنوا ما دامت قلوبُكم قاسية، وما معجزتي إلاَّ القرآن»..».

❑ إلىٰ أن قال: «ولَمَّا كان لكل نبيٍّ معجزة، كانت معجزتي القرآن»[1].

* **العلامة جولد تسيهر الإسباني:**

مستشرق إسباني، ولد عام ١٨٣٦، وتوفي ١٩٠٣، ومؤرِّخٌ معروف له القِدْحُ المُعَلَّىٰ في الكيدِ للإسلام ولرسولِه ﷺ وسُنَّته، له عدَّةُ مؤلفات، منها «العقيدة والشريعة في الإسلام» ترجمة علماء الأزهر.

❑ قال في كتابه المذكور (ص٥ ـ ٦): «يمكننا أن نُلقيَ نظرةً عامةً شاملةً في الأثرِ التاريخي الذي قامت به الدعوةُ إلىٰ الإسلام، خاصةً أثرُها في الدائرةِ القريبة، التي كان تبشيرُ محمدٍ موجَّهًا إليها بطريقٍ مباشر قبلَ غيرِها، حقًّا لا جِدَّةَ ولا طرافةَ في هذه الدعوة، ولكن قد استُعيض عنها بأن محمدًا قد بَشَّر بمذهبه للمراة الأولىٰ بحماس، لم يَفتُرْ، ولم تُعوِزْه المثابرة، وبعقيدةٍ ثابتةٍ بأن هذا المذهبَ يُحقِّقُ صالحَ الجماعةِ الخاصة، وقد كان في

(١) ما قال هذا رسول اللَّه ﷺ، بل معجزاته كثيرة، وسنفرد لها مُجَلَّدًا كبيرًا خاصًّا بها.

ذلك كلِّه مُظهِرًا إنكار الذات، برغم سخريةِ الجمهور، إذِ الحقُّ أن محمدًا كان بلا شك أولَ مُصلحٍ حقيقيٍّ في الشعبِ العربي من الوجهة التاريخية، تلك كانت طرافتَه برغم قلَّةِ المادةِ[1] التي كان يُبشِّرُ بها».

*** المؤرِّخ الكبير الدكتور ريتين الإسباني:**

مستشرقٌ إسباني، له مقالاتٌ قيمة في أحوالِ العرب، وتاريخٌ خاصٌّ لسوريا ولبنان.

❑ قال فيه: «دينُ محمدٍ قد أكَّد إذًا من الساعةِ الأولى لظهوره - وفي حياة النبي - أنه عامٌّ، فإذا كان صالحًا لكلِّ جنس، كان صالحًا بالضرورةِ لكلِّ عقل، ولكلِّ درجةٍ من درجات الحرارة».

❑ ثم قال: «إليك يا محمدُ - وأنا الخادمُ الحقيرُ - أقدِّمُ إجلالي بخضوعٍ وتكريم، إليك أُطأطِئُ رأسي، إنك لَنبيٌّ حقٌّ من اللَّه، قوَّتُك العظيمةُ كانت مستمدَّةً من عالَمِ الغيب الأزلي الأبدي».

*** المستر إريك بنتام الإسباني:**

المستر «إريك بنتام» مستشرق إسباني، وُلد في غرناطة سنة ١٨١٥، وتوفي ١٨٨٧، له كتاب أسماه «الحياة».

❑ قال فيه: «إن الإسلامَ وتعاليمَ الرسولِ الكريم محمدٍ قد تأصَّلت في نفوس المسلمين: وخَلَقت فيهم مناعةً ضدَّ قبول المذاهب الدينيةِ المسيحية».

❑ وقال: «إن الخلافَ الجوهريَّ بين الإسلام [والمسيحية] يعودُ إلى أن

---

(١) هذا واللَّه هو العمى.. فدين محمد ﷺ ثَرٌّ غزيرٌ شاملٌ للدنيا والآخرة.

الإسلامَ لا يَرضىٰ أن يشرِكَ مع ربِّه أحدًا، وإن دينَ الإسلامَ هو دينُ الوداعةِ والوِفاقِ والصدقِ والأمانة، وكلُّ ما جاء به لا تُنكرُه الأذواقُ السليمة والعقولُ النَّضِجة، لذلك فإننا لو أنصفنا أنفسَنا لوحَّدنا صفوفَنا مع المسلمين، ولَنَبَذْنا ما بنا من عصبيةٍ عمياء خَلَقَها لنا ذوو الأطماع، وسنَّها لنا مَن دفعت به شهواتُه، وفي النفس ما فيها من التأثرِ البالغِ من تلكم الفوارق التي أثبتها الدينُ المسيحيُّ، ومَنَعها الشرعُ الإسلاميِّ، وأَرَىٰ أنَّ غَضَّ النظرِ عن التصريحِ، والضربَ صَفْحًا عن المُكاشَفة، أوْلىٰ وأليق».

* **المستر ألبيلير إنكولوبيديا الإسباني:**

ولد في بلدته «جاكاي» ١٨١٠، وتوفي ١٨٧٢.

☐ قال في (ج٨/ ٣٢٦) من كتابه «المعارف»: «إن لغةَ القرآن هي أفصحُ لغاتِ العربِ وأساليبه، وبلاغتُه تَسْحَرُ الألباب بحُسنها، وسيبقىٰ غيرَ معارَضٍ إلىٰ الأبد، ومواعظهُ ظاهرةٌ، وكل مَن يَتبعُها يحيا حياةً طيبةً، وأخيرًا أقول: إن القرآن يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، ويقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

فعلىٰ هذا يلزمُ علىٰ كلِّ فردٍ من البشر أن يستغفرَ لذنبه ويعملَ صالحًا كي يتأهَّلَ لدخولِ الجنة، كل هذا جاء به محمدٌ نبيُّ العرب، ولا يَسَعُنا إلاَّ أن نحترمَه ونحترمَ ما جاء به لما فيه مِن خيرٍ عميم».

* **المستر جان ليك الإسباني:**

مستشرقٌ إسباني، وُلِد في بلدة «ملعة» عام ١٨٢٢م، وتُوفي ١٨٩٧م، كان شغوفًا بالكتابة واستطلاعِ التاريخِ العربي، ألَّف كتابًا اسمه

«العرب».

□ قال فيه (ص٤٣): «ما أجملَ ما قاله المعلِّمُ العظيمُ «محمد» ﷺ «الخَلقُ كلهم عيالُ اللَّه، وأحبُّ الخلق إلى اللَّه أنفعُهم لعياله»[1] !.

□ ثم أطال في الثناء على الرسول قائلاً: «أليس من المعجزاتِ الباهرات، أنَّ محمداً بالقوة الأدبية، وبلفظٍ واحدٍ جَعَل الصادِقين من أتباعه في حِرزٍ حريزٍ من شرِّ المُسكِرات جيلاً بعد جيل؟ فسَلِمِ من هذا الشرِّ مئاتُ الملايينِ من البشر؟ حياةُ محمدٍ التاريخيةُ لا يمكنُ أن تُوصَفَ بأحسنَ مما وَصَفَها اللَّهُ نفسُه بألفاظٍ قليلةٍ، بيَّن فيها سببَ بَعثةِ النبيِّ محمدٍ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].. كان محمدٌ رحمةً حقيقةً لليتامى والفقراء وابنِ السبيل والمنكوبين والضعفاءِ والعُمَّال وأصحابِ الكدِّ والعناءِ، وإني بلهفةٍ وشوقٍ أُصلِّي عليه وعلى أتباعه».

* **العلاَّمة سان إليار الإسباني:**

□ قال في كتابه «تعاليم اللغة العربية» نقلاً عن كتاب «أشعة خاصة بنور الإسلام» للعلاَّمة «ألفونس إتيين دينييه الفرنسي» إنَّ أوضحَ مبادئ الحريةِ الفكريةِ قد كُسفت أمثال «لوثير وكالفين»، وعاد الفضلُ فيها إلى رجلٍ عربيٍّ من رجالِ القرنِ السابعِ، ذلك هو صاحبُ شريعةِ الإسلام».

***

---

(١) ضعيف جداً: روه أبو يعلى والبزَّار عن أنس.. والطبراني عن ابن مسعود.. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٩٤٦) و«الضعيفة» (١٩٠٠).

وَمِن روسيا

مَرَّ بنا مِن قبلُ قولُ الأديب الروسي الكبير «تولستوي».

* **ماكس مايرهوف الروسي:**

وُلد في مدينة «ساراتوف» ١٨١٥، وتُوفِّي عام ١٨٨٧.

❑ قال في كتابه «العالم الإسلامي»: «إن محمداً عام ٦١٠ للميلاد كان كثيرَ التفكير والانفراد، وكان يقصِدُ إلىٰ البادية، ويخلو بنفسه فِي جبل «حراء» قُربَ مكة، فرأىٰ ذاتَ يوم رؤيا هي أن المَلَكَ «جبريلَ» تجلَّىٰ له، وناوله كتابًا[1] وقرأَ عليه هذه الآياتِ هي السورة السادسة والتسعون من القرآن: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾ إلخ، نزل عليه هذا الكلامُ وحيًا، فأخبر امرأتَه بما وقع، ثم جاء وحي آخر فيما بعد، فلمَّا شَعُر تغطَّىٰ بثوبٍ فسمع هذه الكلمات: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾، ومنذ ذلك الوقتِ اقتَنع بأن اللَّهَ اختاره مبشِّرًا بعقيدةٍ جديدة، وتَسمَّىٰ بـ «رسول اللَّه» ليدعوَ إلىٰ اللَّهِ بلسانٍ عربي مبين».

* **آرلونوف الروسي:**

❑ لقد جاء في مجلة «الثقافة» الروسية المجلد السابع عدد ٩ ـ تحت عنوان «النبي محمد» ـ لكاتب اسمه «آرلونوف» تَصدُرُ في مدينة «اركنجل»: «في شبهِ جزيرة العرب المجاورة لفلسطين، ظَهرت ديانةٌ أساسها الاعترافُ بوحدانية اللَّه، وهذه الديانةُ تُعرفُ بالمحمدية، أو كما يُسمِّيها أتباعُها

(١) كلاَّ.. بل أقرأه شفاهًا دون كتاب.

الإسلام، وقد انتَشرت هذه الديانةُ انتشاراً سريعًا، ومؤسِّسُ هذه الديانة هو العربيُّ محمد، وقد قَضىٰ علىٰ عاداتِ قومِه الدينية، ووَحَّد قبائلَ العرب، وأنار أفكارَهم وأبصارَهم بمعرفةِ الإله الواحد، وهَذَّب أخلاقَهم، ولَيَّن طِباعَهم وقلوبَهم، وجَعَلها مستعدَّةً للرقيِّ والتقدم، ومنعهم من سَفكِ الدماء ووأدِ البنات، وهذه الأعمالُ العظيمةُ التي قام بها محمدٌ تدلُّ علىٰ أنه من المصلِحين العِظام، وعلىٰ أنَّ في نفسِه قوةً فوقَ قوةِ البشر، وكان ذا فكرٍ نيِّرٍ وبصيرةٍ وقَّادةٍ، واشتُهر بدماثةِ الأخلاقِ ولِينِ العَريكة والتواضعِ وحُسنِ المعاملةِ مع الناس، قضىٰ محمدٌ أربعين سنةً مع الناس، قضاها بسلامٍ وطمأنينة، وكان جميعُ أقاربه يُحبُّونه حُبًّا شديداً، وأهلُ مدينته يحترمونه احترامًا عظيمًا، لِمَا كان عليه من المبادئِ القويمةِ، والأخلاقِ الكريمةِ، وشرفِ النَّفسِ والنزاهة».

*** العلامة جان ميكائيليس الروسي:**

مستشرق روسي، ولد في بلدته «بروا» ١٧١٧، وتوفي ١٧٩١، له تصانيفُ في أصول العربية وآدابها وآداب السريانية والعبرانية، له مؤلفات عدَّة.

◻ قال في بعض مؤلفاته في «أصول اللغة العربية» واسمه «آداب اللغة العربية»: «إن الدينَ الإسلاميَّ له فضلٌ عظيمٌ علىٰ الشرق؛ لأنه أكسَبَهم حضارةً ذاتَ قيمة، وفضلُ مَن جاء به أعظمُ، لأنه عَرَضه عليهم فرفضوه، وتحمَّل في سبيله المَضَضَ وكابَدَ كثيراً، ولقد كان فقيراً يتيمًا مضطهداً، ولدىٰ ثباتِه أَخذ النتائجَ الكافيةَ في أداءِ رسالته التي هي مدنيَّة وحضارة، وما

مات محمدٌ نبيُّ العرب وصاحبُ هذه الرسالة حتىٰ أحدَثَ انقلابًا هائلاً في عاداتِ وأديانِ الجزيرةِ العربية».

☐ وقال في كتابه «العرب في آسيا»: «لم يكن محمدٌ نبيُّ العربِ المشعوذَ ولا الساحرَ ـ كما اتهمه السفهاءُ في عهده ـ، وإنما كان رجلاً ذا حِنكةٍ وإدارةٍ وبطولةٍ وقيادةٍ وأخلاقٍ وعقيدة، فلقد دعا لدينه بكلِّ صفاتِ الكمال، وأتىٰ للعرب بما رَفَع به شأنَهم، ولم نَعرفْ عن دينِه إلاَّ ما يتلاءَمُ مع العصور ـ مهما تطورت ـ، ومَن يَتَّهِمْ محمداً ودينَه بخلافِ هذا، فإنه ضالٌّ عن الطريقةِ المُثلىٰ. . وحَريٌّ بكلِّ الشعوب أن تأخذَ بتعاليمه».

ومن الهند

* جواهر لال نِهْرو الهندي:

رئيس وزراء الهند، وهو هندوكيٌّ العقيدة، ولد عام ١٨٨٩، وتُوفي عام ١٩٦٤.

☐ قال في كتابه «لمحات من تاريخ العالم» (ص٥٤): «إن الإسلامَ هو الباعثُ لهذه اليقظةِ العربية، بما بَثَّه في أتباعِه من ثقةٍ ونشاط، حَمَل رسالةَ الإسلام إلىٰ العرب نبيٌّ جديدٌ اسمُه «محمد»، ولد في مكة عام ٥٧٠ للميلاد، ولم يكن محمدٌ عجولاً في نَشرِ رسالتِه، بل ظلَّ زمنًا يَعيشُ حياةً هادئةً، يَعجَبُ بها مواطنوه، ويَثِقون به حتىٰ لَقَّبوه بالأمين، فلما قام يُبَشِّرُ برسالته ويُهاجِمُ الأوثان، قام الناسُ عليه وآذَوه، فاضْطُرَّ لأن ينجوَ بحياته، وأن يهاجِرَ من مكة، وكانت رسالتُه (لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه)».

☐ وقال (ص٢٦): «كان محمدٌ واثقًا بنفسه ورسالته، وقد هيأ بهذه

الثقةِ وهذا الإيمانِ لأمته أسبابَ القوةِ والعزَّةِ المَنَعة، وحَوَّلهم من سُكانِ صحراءَ إلىٰ سادةٍ يفتحون نصفَ العالم المعروفِ في زمانهم، كانت ثقةُ العرب وإيمانُهم عظيمَين، وقد أضاف الإسلامُ إليها رسالةَ الأخوَّة والمساواة والعدلِ بين جميعِ المسلمين، وهكذا وُلد في العالم مبدأ ديموقراطيٌّ جديد.. وَثَب الشعبُ العربيُّ بنشاطٍ فائقٍ أدهَشَ العالَمَ وقَلَبه رأسًا على عقب، وإن قصةَ انتشارِ العربِ في آسيا وأفريقيا وأوروبا والحضارةِ الراقية، والمدنيَّةِ الزاهرةِ التي قدَّموها للعالَم هي أُعجوبةٌ من أعجوباتِ التاريخ».

ومِن هولندا

* **العلامة «وث» الهولندي:**

◻ مستشرقٌ وُلِد في مدينة «اوترخت» ١٨١٤، وتوفي عام ١٨٩٩، وقد كان عضواً عام ١٨٦٤ في المجمع العلمي، جاء إلىٰ بلاد الشرق عام ١٨٦٧، وتجوَّل فيها، وقد نَقل القرآنَ إلىٰ اللغةِ الهندية، وله عدَّةُ مؤلَّفات، منها «محمد والقرآن» قال فيه (ص٧٨): «لقد جاء قرآنُ العرب علىٰ لسانِ نبيِّهم محمدٍ العظيم، وعلَّمهم كيف يَعيشون في هذه الحياة، وقد وَحَّد محمدٌ صفوفهم، وجَمَع كلمتهم، وأدَّبَهم، حتىٰ لا ترىٰ أُمةً من الأمم أحسَنَ منهم، وبالنهاية اعتمدوه في كل أمورهم، وكان يتلقَّىٰ الوحيَ من ربِّه الذي يُوحِي إليه، ثم ينقلُه إلىٰ الناس بعد أن يكتبَه له الكُتَّابُ الذي انتدبهم لذلك، وابتدأت دعوتُه لدينه الجديد من تاريخ ٦١٠م حتىٰ قبضه ربُّه إليه، وذلك سنة ٦٣٣م».

* **العلامة فلوتن يان الهولندي:**

ولد في مدينة «لاهاي» ١٨٠٧، وتوفي عام ١٨٧٩.

وهو مستشرق هولندي، له عدةُ مؤلفات، منها «مفاتيح العلوم»، وكتاب «الفصول».

□ قال في الأخير (ص١٠٣): «إن محمداً لم يَلبثْ أن أصبحَ له تفوُّقٌ رُوحيٌّ وزمنيٌّ بعدَ سنين قلائلَ من الجهادِ والاضطهاد، كما يدلُّ على ذلك غيرُ آيةٍ من القرآن، وذلك بتحوُّلِ أهلِ المدينةِ إلى الإسلامِ بفضلِ ذلك النفوذِ الذي كان يتمتعُ به الرسولُ دينًا قويًّا، وقد انتَشر بينَ الشعوب عن طريقِ الإنذارِ والوعيد[1]، ولم يتردد النبيُّ في رَمي أهلِ الكتابِ بالكذبِ والتضليل، واتهامِهم بالتحريفِ في كُتبهم، حين رأى دينَه الذي كان يَرمي إلى نَشرِه لم يُرضِ اليهود، كما أنه لم يَرُقْ للنصارى، هكذا استطاع أن يُحاجَّ أهلَ الكتاب بتصريحه أنه أرقى الأديان، وأن دينَه وحدَه دينُ الحق، وكان من أثرِ اصطدام محمدٍ بالنصارى واليهودِ في بلاد العرب أن طَردوا اليهودَ من المدينة، وشُنَّت الغارات على المسيحيين في بلاد بيزنطة في اللحظةِ التي انتقل فيها محمدٌ إلى جِوارِ ربِّه».

* **المسيو راينهارت دوزي الهولندي:**

مستشرق هولندي، ولد في «اتروخت» ١٨٢٠، وتوفي عام ١٨٨٤، مدرس للغة العربية في «لايدين»، اشتغل في تواريخ الدول الإسلامية في

---

(١) ما انتشر الإسلام بالإنذار والوعيد، وإنما دخل الناس في دين اللَّه أفواجًا؛ لأنه الحق، وما سواه باطل.

الأندلس والمغرب، له عدَّةُ مؤلفات، منها «عرب إسبانيا».

◻ قال فيه: «كان يوجدُ علىٰ عهدِ محمدٍ في بلادِ العرب ثلاثُ ديانات؛ المُوسَوية والعيسوية والوثنية».

◻ ثم بَسَط القولَ خصوصًا في عاداتِ الوثنيين الذميمة إلىٰ أن قال: «في عهد هذه الأحوالِ الحالكة، ووَسَط هذا الجيلِ الشديدِ الوطأة، وُلِد محمدُ بنُ عبداللَّه في شهرِ أغسطس ٢٩ منه عام ٥٧٠، من هذا نرىٰ أن العالم الإنسانيَّ كان بحاجةٍ إلىٰ حادثٍ جَلَلٍ يُزعجُ الناسَ عما كانوا فيه، ويضطرُّهم إلىٰ النظرِ والتفكير في أمرِ الخروجِ من المأزقِ الذي تورَّطوا به، وللَّهِ في خلقه شؤون».

◻ إلىٰ أن قال: «لقد جاء محمدٌ بتعاليمَ رَفعت مستوىٰ البشرِ إلىٰ عالَمِ الكمال».

ومن إيطاليا

* **العلامة لورافكشيا فاليبري الإيطالي:**

مستشرق إيطالي، ولد عام ١٨٣٩، وتوفي ١٨٩٧.

◻ قال في مقدمة كتابه «الأديان» المترجَم إلىٰ الفرنسية (ص٩٦): «إنه مما لا شك فيه أنَّ وَصفَ «محمد» بتلك الأكاذيب التي كانوا يُشيعونها في القرون الوسطىٰ عنه وعن ديانته، قد خَفَتَ كثيرًا في هذا العصر، وصاروا يَنشُدون الحقيقةَ التاريخيةَ عن محمدٍ وعن الإسلام الذي قَلَب وجهَ العالم، وإنَّ جماعةً من المستشرقين يؤيِّدون رسالةَ محمد، ويقولون: إنه خاتمُ الرسل».

* **المحامي العلامة غوسطن كرستا الإيطالي :**

أحدُ رجالِ الفكرِ الإيطاليين، وُلد في بلدته «كيا» ١٨٤٠ ، وتوفي ١٨٩٧ .

◻ قال في كتابه «الكياسة الاجتماعية» : «وإنك لَتجدُ في كلِّ موضعٍ من القرآنِ الذي جاء به محمدٌ إلىٰ العرب آياتٍ تحثُّ عن فِعل الخير ، وأما هو ، فقد كان أمينًا وأعدلَ رجلٍ ، ولا يَسَعُنا إلاَّ أن نُقدِّرَ له جهودَه في سبيلِ دينهِ وعقيدتهِ» .

◻ إلىٰ أن قال : «لقد جَعل محمدٌ الإخاءَ والمحبةَ رُكنَينِ للمجتمع الإسلامي ، وهذا لَعَمري تقدُّمٌ باهر إذا قابلنا عَهْدَ الإسلامِ بعهدِ الجاهلية أيامَ كان أربابُ الثروةِ والسيادةِ يَزدرون بصَلَفِهم المساكينَ ويَسُومونهم الخَسْفَ» .

* **المسيو ميخائيل أماري الإيطالي :**

مستشرق إيطالي ، ولد في بلده «بالرمو» في «فبرنزة» ، درس اللغات العربيةَ والفارسيةَ والتركية في مدينة باريس «فرنسا» ، وانتهىٰ إلىٰ التخصص بالأدب العربي وتاريخِه ، له مؤلفاتٌ كثيرة ، منها «تاريخ المسلمين» .

◻ قال فيه : «لقد جاء محمدٌ نبيُّ المسلمين بدينٍ إلىٰ جزيرةِ العرب يَصلُحُ أن يكونَ دينًا لكلِّ الأمم ؛ لأنَّه دينُ كمالٍ ورُقي ، دينُ دَعَةٍ وثقافة ، دينُ رِعايةٍ وعناية ، ولا يَسَعُنا أن نَنقُصَه ، وحَسْبَ محمدٍ ثناءً عليه أنه لم يُساوِمْ ولم يَقبَلِ المساومةَ لحظةً واحدةً في موضوعِ رسالته ، علىٰ كثرةِ فنونِ المساوماتِ واشتدادِ المحن ، وهو القائلُ : **«لو وضعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يساري على أن أتركَ هذا الأمر ، ما تركتُه»**[1] . . عقيدةٌ راسخة ،

---

(١) إسناده ضعيف.

وثباتٌ لا يُقاس بالنظير، وهمَّةٌ تَركت العرب مَدينين لمحمد بن عبداللَّه، إذ تركهم أُمةً لها شأنُها تحت الشمسِ في تاريخ البشر».

ومن بلجيكا

*** الدكتور هنري ماسه البلجيكي:**

وُلد في «بروكسل» ١٨٢٠، وتوفي ١٨٨٦، علاَّمةٌ في الكيمياء والتاريخ.

◻ قال في كتابه «حول الإسلام» (ص١١): «إذا بَحَثْنا عن محمدٍ بحثًا إجماليًّا، نجِدُه ذا مِزاجٍ عصبي[1]، وفكرٍ دائم التفكير، ونفسٍ باطنُها حُزن، وأمَّا مداركُه، فهي تمثِّلُ شخصًا يعتقدُ بإلهٍ واحد، وبوجودِ حياةٍ أخرىٰ، ويتَّصفُ بالرحمةِ الخالصة، والحزمِ في الرأي والاعتقاد، ويُضافُ إليه أنه رَجلُ حكومة، وأحيانًا رجلُ سياسةٍ وحَربٍ، ولكنه لم يَكن ثائرًا، بل كان مسالِمًا».

*** ألفرد ألفانز البلجيكي:**

◻ قال في كتابه «علم النفس»: «شَبَّ محمدٌ حتىٰ بَلَغ، فكان أعظمَ الناسِ مروءةً وحِلمًا وأمانةً، وأحسنَهم جوابًا، وأصدقَهم حديثًا، وأَبعَدَهم عن الفُحش، حتىٰ عُرِف في قومه «بالأمين»، وبَلغت أمانتُه وأخلاقُه المَرضيةُ خديجةَ بنتَ خويلد القرشية ـ وكانت ذاتَ مال ـ، فعَرَضت عليه خروجَه إلىٰ الشام في تجارةٍ لها مع غلامها «ميسرة»، فخَرج ورَبِح كثيرًا،

(١) حاشا للَّه أن يكون رسول اللَّه ﷺ هكذا.

وعاد إلىٰ مكة، وأخبرها ميسرةُ بكراماته، فعَرضت نفسَها عليه ـ وهي أيِّم، ولها أربعون سنة ـ، فأصْدَقَها عشرين بَكْرةً، وتزوَّجها وله خمسٌ وعشرون سنةً، ثم بَقيت معه حتىٰ ماتت»[1].

* **العلاَّمة إدوار جيبون البلجيكي:**

ولِد ١٧١٥، وتوفي ١٧٨٣ في بلدته «دوداف».

□ قال في كتابه «الحضارة الشرقية» (ص٢٧): «إن دينَ محمدٍ خالٍ من كلِّ شيءٍ يَشينه، وإن القرآنَ لأكبرُ دليلٍ علىٰ وحدانية اللَّه، وقد نهىٰ محمدٌ عن عبادةِ الأصنام والكواكب».

ومن أسكتلندا

* **روبرستن سميث الأسكتلندي:**

مستشرقٌ أسكتلندي، وُلد في بلدته «بروزا» ١٨٥٦، وتوفي ١٩١١، جاب بلادَ الشرق، له كتابٌ في «أنساب العرب وزواجِ الجاهلية»، قال فيه: «من حُسنِ الحظ الوحيدِ في التاريخ أن محمداً أتىٰ بكتابٍ هو آيةٌ في البلاغة، دستورٌ للشرائع والصلاة والدين في آنٍ واحد».

* **وليم موير الأسكتلندي:**

مُستشرق شهير، وُلِد في «أديبورك» عام ١٨٢٩م، وتوفِّي في عام ١٩٠٥م، وله مؤلَّفانِ: «حياة محمد» و«التاريخ الإسلامي».

□ قال في كتابه «حياة محمد» ـ وذلك عند كتابته عن رحلتِه مع عُمَرَ

---

(١) هذه القصة ضعيفة السند.

إلىٰ الشام (ص٤٢ و٤٣) ـ: «إن الذين دوَّنوا سيرةَ الرسولِ قد ذَكروا تفاصيلَ كثيرةً تدلُّ علىٰ عظمةِ نبوَّته المنتظَرة، وأنه في نفسِه عظيمٌ، وفي رسالتِه عظيم، وما عسىٰ أن نتحدَّثَ عن سيرةٍ لرجلٍ خَلق أمةً مترامية بعد أن كانت خاملةً، وإذا بها ذاتُ كِيانٍ عظيم».

☐ وقال في كتابه «حياة محمد» المترجَم إلىٰ اللغة الفارسية عام ١٩٣٤ (ص٤٦): «لقد جاء محمدٌ بتوجيهاتٍ رائعةٍ وتعاليمَ قيمةٍ، تحدَّىٰ ببلاغتها العَهدَين التوراةَ والإنجيل، وترك لهما الغبارَ في سباقِ التعاليمِ الرسولية، وإن مَن يعرفُ محمداً في عقيدتِه باللَّه، وعَطْفَه علىٰ الفقراء، وزُهدَه في دنياه، ومُضيَّه لتركيزِه مبدأَه وإدارتَه وحِنكتَه وبطولته، يَشرُفُ علىٰ الاعتقاد بدينه والتصديقِ برسالته التي ما جاء بها إلىٰ العالَم إلاَّ لرفعِ مستوىٰ الإنسان».

* **العلامة: روبر أسميث الأسكتلندي:**

مستشرق، ولد في «أديمبورغ» عام ١٨٥٦، وتوفي ١٩٠١، كان رئيسًا لواضعي «دائرةِ المعارف البريطانية» عام ١٨٨٧، جاء إلىٰ بلاد الشرق، وتعرَّف علىٰ بيئتهم وعاداتهم، وله مؤلَّفٌ في أحوالِ لعرب قبلَ الإسلام وبعده.

☐ قال فيه (ص١٧ و١٨): «لقد كان العربُ قبلَ الإسلام علىٰ جانبٍ من الغِلظةِ والخشونة، ويَعيشون عن طريقِ الغزو، وكان قد نُزعت الرحمةُ من صدورهم، وكانوا يَعبدون الأصنامَ، ولكلِّ قبيلةٍ صَنَمٌ، حتىٰ جَمَعوا في كَعبتهم ثلاثَمئة ستينَ صنمًا، وقد جاء محمدٌ في أواخرِ القرن السادس، فدعاهم إلىٰ دينه، وأعلن أنه لا يجوزُ أن تتخذوا أصنامَكم أربابًا من دونِ

اللَّه، وكان محمدٌ علىٰ خُلقٍ عظيم، فاتبعوه بعد أن لاقىٰ منهم الأذىٰ، حيث دعاهم إلىٰ دينِه القويمِ، وعَرَفوا أنه دينٌ لا يُصادِمُ الخيرَ والإنسانية، وأنه جاء لصلاحِ المجتمع».

ومن أيرلندا

*** جون ديفو الأيرلندي:**

مستشرق معروف، له قلمٌ سيَّال في التاريخ والرياضيات، ولد في بلده «دبلن»، وتوفي فيها عام ١٩٠٦.

◻ قال في كتابه «العرب وعاداتهم»: «ما كان محمدٌ بعد هجرته إلىٰ المدينة يستقرُّ قرارُه حتىٰ أصبحَ مع القيامِ بالأعباء الإلهية والدعوةِ الدينية محاربًا وفاتحًا، وصاحبَ دولةٍ ونظامِ جماعةٍ تزدادُ كل يوم، فاصطبغ الإسلامُ بصِبغته الأخيرة، وأُسِّستِ القواعدُ الأولىٰ لأوضاعه الدينية والسياسية والاجتماعية، فكانت هذه الأسسُ نبراسًا يُستضاءُ به في تشريعِ الأجيال المقبِلة، واقتفىٰ آثارَها العلماءُ والفقهاءُ، فانتشرت المذاهبُ الإسلاميةُ ذلك الانتشارَ الرائع». اهـ.

*** المستر موير الأيرلندي:**

وُلِد في بلدته «ليشكانا» عام ١٨٠٨م، وتُوفي سنة ١٨٦٧م.

◻ قال عند ذِكرِه رحلةَ الرسولِ ﷺ سنةَ ٥٩٥ للميلاد من كتابه «الإسلام» (ص١٠٣): «إن محمدًا لم يكن في وقتٍ من الأوقات طامعًا في الغنىٰ، إنما سَعيُه كان لغيره، ولو تَرك الأمر لنفسِه لآثر أن يعيشَ في هدوءٍ وسلامٍ قانعًا بحالته، ولَمَا فكَّر في رِحلةٍ كهذه، ولكنه لَمَّا عَرض عليه عمُّه

السفر، شَعُرت نفسُه الكريمةُ بضرورةِ تفريجِ كُربةِ عمِّه، فأجاب طلبَه مسرورًا».

◻ إلىٰ أن قال: «إن محمدًا إنما لُقِّب «بالأمين» بإجماعِ أهلِ بلدِه لشرف أخلاقه وحُسنِ سلوكه بين قومه، ولذا سَرعانَ ما انقلبوا عن عبادةِ الأصنامِ ورَحَّبوا بتعاليمه المباركة».

*** المستر هربرت وايل الأيرلندي:**

◻ قال في كتابه «المعلِّم الأكبر» (ص١٧): «بعد سِتِّمئة سنةٍ من ظهور المسيح، ظَهَر محمدٌ، فأزال كلَّ الأوهام، وحَرَّم عبادةَ الأصنام، وكان يُلقِّبُه الناس بالأمين، لِمَا كان عليه من الصدقِ والأمانةِ، وهو الذي أرشد أهلَ الضلال إلىٰ الصراطِ المستقيم».

ومن الأرجنتين

*** البحاثة جون ديفو الأرجنتيني:**

وُلد عام ١٨٤٥، وتوفي ١٩١٧.

◻ قال في كتابه: «الحياة تبدأ بالأربعين»: «ولما استكمل محمدٌ أربعين سنةً، جاء بدينٍ للعالَم يدعو فيه إلىٰ الإصلاحِ وتركِ العاداتِ التي كان عليها أهلُ الجاهلية من وأدِ البنات وغيره، ومحمدٌ نبيُّ المسلمين عُرف منذ الصغر بالصدقِ والأمانةِ والعفَّةِ والنزاهة».

*** دون بايرون الأرجنتيني:**

وِلد في بلده «آنسيكار» عام ١٨٣٩م، وتُوفي عام ١٩٠٠.

◻ قال في كتابه «أَتِح لنفسك فرصةً» تعريب «عبدالمنعم محمد الزيادي»: «لا يَبعُد أن يكونَ محمدٌ يُحسُّ بنفسه أنه في طينته أرقىٰ من

معاصرِيه، وأنه يفوقُهم جميعًا ذكاءً وعبقريةً، وأن اللَّهَ اختارَه لأمرٍ عظيم، وقد اتَّفق المؤرِّخون جميعًا على أنَّ محمداً بن عبداللَّه كان ممتازًا بين قومه بأخلاقٍ جميلة، مِن صدقِ الحديث والأمانـةِ والكرم وحسنِ الشـمائلِ والتواضعِ، حتى سمَّاه أهلُ بلدِه «الأمين»، وكان مِن شدَّةِ ثقتِهم به وبأمانته، يُودِعون عندَه ودائعَهم وأماناتهم، وكان لا يَشربُ الأشربةَ المُسْكِرَةَ، ولا يحضرُ للأوثانِ عيداً ولا احتفالاً، وكان يَعيشُ مما يُدِرُّه عيه عَمَلُه من خير».

ومن المَجَر

* **الدكتور إيليوس جرمانوس المَجَري:**

وُلد عام ١٨٨٤، أستاذٌ بجامعة «بودابست ـ المجر»، مستشرقٌ هنغاري، جال في البلادِ الإسلامية في آسيا ومصر، وخَبَر الديانةَ الإسلامية، فأسلَمَ وحَجَّ إلى مكةَ، له كتاب «اللَّه أكبر» ترجَمه إلى العربية الأستاذ «فتحي رضوان» قال فيه: «إن تعاليمَ القرآنِ هي أوامرُ اللَّه، وهي مُرشِدٌ أبديٌّ للبشر، إنه كتابٌ ملؤُه الصراحةُ والوضوحُ لمن صَدَقت رغبتُه في تفهُّمه، وإنَّ محمداً لأعظمُ مُصلِحٍ ثوريٍّ عَرَفه التاريخُ مؤيَّدٍ بوحيٍ من عند اللَّه، ونحن مأمورون أن نفهمَ تعاليمه، ونُطبِّقَها على شؤون حياتنا الدنيوية، مع الإيمان بأن ما أُوحي به إليه إنما هو أساسٌ لا يهتزُّ ولا يتعثَّرُ لكونه إلهيًّا.

ولقد أخطأ المسيحيون إذ لم يَفهموا الإسلامَ على حقيقته، وبالتالي لم يتشبَّعوا برُوحه، إن ما يُميِّزُ الإنسانَ عن الحيوان هو إدراكُه أن الكونَ تحكمُه قوانينُ روحيةٌ، وتُسيِّرُه قوىً غيرُ محسوسة.

وهذه الحقيقةُ هي أساسُ كلِّ دين، ولكنه لا يُوجَدُ دينٌ يؤكِّدُها أكثرُ

من دين الإسلام، الذي يُبسِّطُ أمامَ الإنسان طريقًا وَسَطًا لا تتجرَّدُ فيه الروحُ عن البَدَن، ولا البدنُ عن الروح، بل يكونُ وسطًا بين المادة والروح، على أن لا يَنسى أنه كائنٌ رُوحيٌّ قبلَ كلِّ شيءٍ».

ومن أسوج

* كازانوفا الأسوجي:

وُلد عام ١٨٣٧، وتوفي ١٩٠٣.

قال في كتابه «حضارة الشرق» (الجزء الأول، ص٢٣): «يُهمُّني أن أَجْهَرَ أولاً بأنني لا أُسلِّمُ أصلاً بكلِّ نظريةٍ يُفهم منها الريبُ بصِدقِ محمد، إن سيرةَ النبيِّ العربيِّ من بدايتها إلى نهايتها تدلُّ على أنه ثَبْتٌ رصينٌ أمين، ولا مَناصَ من الإقرارِ بأن محمداً كان على ذكاءٍ عظيم.

إن التعقلَ ونضوجَ الفكرِ اللذَين دلَّ عليهما، إذ أظهَرَ الآياتِ الأولى الموحاةَ إليه، وحُسْنَ سياستِه في توحيدِ القبائل العربية، رَغمَ الخرافات المتأصِّلة، وفي تمييزِ ما ينبغي الإبقاءُ عليه من تقاليدِها القديمة، كلُّها أدلةٌ على أنه كان له في الأُمور نَظَرٌ سديد، كان يَرى الغايةَ ويَسعى إليها بغريزةِ السياسيِّ العاقل، ونُورانيةِ النبيِّ الصادقِ على السواء.

* العلاَّمة سينرستن الأسوجي:

مستشرق أسوجي، وُلد عام ١٨٦٦، أستاذ اللغات السَّاميَّة، ساهَمَ في «دائرةِ المعارف»، وجَمَعَ المخطوطاتِ الشرقيةَ، محرِّرُ مجلَّة «العالم الشرقي» له عدَّةُ مؤلَّفات، منها «القرآن الإنجيل المحمدي»، ومنها: «تاريخ حياة محمد».

قال في الأخير (ص١٨): «إننا لم نُنصِفْ محمداً إذا أنكرنا ما هو

عليه من عظيمِ الصفات وحَميد المزايا، فلقد خاض محمدٌ معركةَ الحياةِ الصحيحةَ في وجه الجهل والهمجية، مُصرًّا علىٰ مبدئه، وما زال يُحاربُ الطغاةَ حتىٰ انتهىٰ به المطافُ إلىٰ النصرِ المبين، فأصبحت شريعتُه أكملَ الشرائع، وهو فوقَ عظماءِ التاريخ».

* **رودلف دتوراك الأسوجي:**

مستشرق أسوجي، ولد في «سلمو» ١٨٥٢، وتوفي ١٩٢٠، أستاذ اللغات الشرقية في «براغ» عاصمة «تشكوسلوفاكيا»، من مؤلَّفاته كتابٌ في شِعر «أبي فِراس الحمداني» وترجمةِ حياتِه باللغةِ الألمانية.

❑ قال فيه (صفحة ١٣): «ليس بالبعيد، بل ولا شكَّ أن محمداً نبيَّ العرب كان يتحدَّثُ إلىٰ الناس عن وحيٍ من السماء؛ لأنَّه أتىٰ إلىٰ العالَم بدعوةٍ ومِن ورائها المعجزاتِ والآيات، وهي أعظمُ شاهدٍ علىٰ مُدَّعاه، ولا يجوزُ لنا أن نُفنِّدَ آراءَه، بعد أن كانت آياتُ الصدقِ باديةً عليها، فهو نبيٌّ حقٌّ، وأولَىٰ به أن يُتَّبَع، ولا يجوزُ لمن لم يَعرفْ شريعتَه أن يتحدثَ عنها بالسوء، لأنها مجموعةُ كمالاتٍ إلىٰ الناس عامةً».

* **ماكس سايكس الأسوجي:**

ولد في بلدته «ملمو» سنة ١٨٧٦، وتوفي ١٩٢٧ ـ نقلاً عن مجلة «الهلال» المجلد الخامس (العدد ٣)ـ.

❑ قال: «إن محمداً قد استطاع بعبقريته الفذَّةِ والتعليماتِ الواسعةِ المعنىٰ أن يَجمعَ التفكيرَ إلىٰ العمل، فكانت مملكتُه من هذا العالم، كان نبيًّا ثاقِبَ الفِكر، وكان مُشرِّعًا، وكان حاكمًا بين الناس».

* **غوستاف الأسوجي:**

◻ وُلد في «ملمو» عام ١٧٤٦، وتوفي ١٧٩٢، حارَبَ روسيا، ونَشَر في أسوج مبادئَ الثورةِ الفرنسية، قال في مقدمة كتابه «الإسلام في الحجاز»: «إن الأساسَ للدين الإسلاميِّ بسيطٌ جداً، وهو «لا إله إلا اللَّه»، وإن محمداً هو الذي أتىٰ بهذه الحقيقة، ولا يوجدُ في هذه الحقيقة ما يُصادِمُ ويُخالِفُ علومَ العصرِ الحالي، فحريٌّ بهذا الدين أن يُتَّبَع».

ومن يوغوسلافيا

* **الدكتور ألتر بتكين اليوغسلافي:**

ولد في «مكدونيا» ١٨٣٣، وتوفي ١٩٠٧، وله مؤلَّفاتٌ قيمة، منها «الحياة تبدأ بالأربعين»

◻ قال فيه: «في إحدىٰ ليالي شهرِ رمضانِ، بينما كان محمدٌ نائمًا في أحدِ كهوفِ حِراء، عاد فتجلَّىٰ عليه ذلك الشَّبح، وفي يدِه قِطعةٌ من الحرير عليها كتابة، وقال له ذلك الشخصُ: «اقرأ» فأجابه: «لست بقارئ»، فأعاد عليه القولُ ثانيًا: «اقرأ»، ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ**﴾، إلىٰ آخرِ السورة، فردَّد محمدٌ هذه الكلمات، وأحسَّ بالنورِ قد أَشرق علىٰ قلبه».

* **الدكتور ويلسن اليوغسلافي:**

ولد في مدينة «زارا» ١٨١٥، وتوفي ١٨٨٧.

◻ قال في إحدىٰ محاضراته: «إننا إذا لم نَعتبر محمداً نبيًّا، فإننا لا نَستطيعُ أن نُنكِرَ أنه مُرسَل من اللَّه، ذلك أنه ليس هناك غيرُه قد راح يُفسِّرُ المسيحيةَ الأولىٰ تفسيراً رائعًا صادقًا، وإنَّ دينَه الذي جاء به لا يُعارِضُ

الديانةَ المسيحية[1] ، وكلُّ ما جاء به حسن» .

ومن لبنان

* **الأستاذ رشيد سليم الخوري اللبناني :**

الشاعرُ المعروفُ بالملقَّبُ بالشاعرِ القَرَوي، ولد في «البربارة» لبنان ١٨٨٧ ، له ديوان «الرشيديات» ١٩١٦ و«القرويات» ١٩٢٢ .

❑ قال في إحدىٰ محاضراته : «فلا «وليم شكسبير» ولا «فكتور هوغو» ولا «لاون تولستوي» ، ولا غيرهم من أمثالهم يطولون مهما اشرأبت أعناقُهم إلىٰ الدرجةِ السُّفلىٰ من تلك المنصَّة العالية التي يقفُ عليها محمدُ بنُ عبداللَّه ؛ لأنَّه الرجلُ الذي تلتقي أكملُ الصفاتِ في قلبِه الكبير ، وعقلِه الفريد ، ورِقَّتِه المتناهية ورُوحِه المتدفِّقة بشرفِ الإحساسِ ورُوحِ العاطفة» .

❑ وقال في قصيدته اليائية المعروفة :

عيدُ البرية عيــدُ المولد النبــــوي	في المَشْــرِقَين له والمَغْـرِبَـين دَوي
عيدُ النبيِّ ابنِ عبد اللَّه مَـن طَلَعت	شمسُ الهداية من قُرآنه العُــلْوي
بَدا مِن القفرِ نــوراً للورَىَ وهُدًى	يا للتمدُّنِ عـمَّ الكونَ مِن بـدوي
يا فاتحَ الأرضِ مَيدانًا لقــوتــه	هذي بـلادُك مَيــدانٌ لكلِّ قوي
يا شـاهرَ السيفِ للفتــحِ المُبينِ به	اليـومَ يَندى حياءً سَيفُك الدموي
يا قومُ هذا مـسيحي يـنـاشـدُكم	لا يُصْلِحُ الشرقَ إلاَّ حُبُّنا الأَخَوي
إذا ذكرتــم رســولَ اللَّه تكرمــةً	فبلِّغــوه ســلامَ الشاعرِ القَرَوي

* **جورج جرداق اللبناني :**

❑ الكاتبُ الشهيرُ البحَّاثة . . قال في كتابه : «الإمام علي صوت

---

(١) إن قصد شريعة المسيح النازلة من السماء، نعم. . وأما غير ذلك، فلا .

العدالة الإنسانية» (١/ ٣١) تحت عنوان: «صوت محمد»: «مِن لهيبِ الصحراء المُحرقةِ وَهَجٌ في عينيه، ومن انبساطِ الرمالِ أمامَ وَهَجِ الشمس صراحةٌ على شفتيه، ومن جنائنِ يثربَ وخمائلِ الطائفِ ومِن واحاتِ الحجازِ السابحةِ في الفضاءِ كأنها الجُزُرُ المتناثرةُ في محيطٍ من الرمل تحتَ ضوءِ القمر، نداوةٌ في قلبه ورِفقٌ في دمه، ومِن عَصْفِ الريحِ الهُوْجِ ثورةٌ في خياله، ومِن بيانِ الشِّعر ونورِ السماءِ سِحرٌ في لسانه وقَبسٌ في روحه، ومِن صِدقِ العزيمةِ ولغةِ اللَّه مَضاءٌ في حسامه ورسالة في يمينه.

ذاك هو محمدُ بنُ عبداللَّه نبيُّ العرب ومُحطِّمُ الوثنية، التي أقْصَتِ الإنسانَ عن أخيهِ الإنسان، وثنيَّةِ المال ووثنيةِ العادة ووثنية العنصر الخرقاء».

إلىٰ أن قال (ص٣٥): «واتسع ظلُّ محمدِ بن عبدِاللَّه وتعاظَمَ حتىٰ اكتَنَف العالَمَ القديم، فإذا هو مِن مَطْلَع الشمس إلىٰ مغربها أرضٌ تُنبتُ الخيرَ والمعرفةَ والسِّلم، وإذا بنبيِّ الصحراء يَمُدُّ يَدَه فوقَ الدنيا لِيبذُرَ في أرضِها بُذورَ الإخاءِ والحبِّ، يَمُدُّها حتي تُطاوِلُ الأُفق، وهي ما زالت في امتدادٍ، وصار لدولةِ العرب رِجلٌ في الهند ورِجلٌ في الأندلس، وعُقد علىٰ جَبينِ الشمسِ تاجُ شعب عظيم».

* **أمين بك نخلة اللبناني:**

الأستاذ المعروف، والشاعر المحلِّق أمين بن رشيد نخلة.

◻ قال في مقدمة كتاب الأستاذ لبيب الرياشي «نفسية الرسول العربي» (ص١٦): «محمد نغمةٌ لا كلمة، لفَرط ما مسحت علىٰ شفاه الخلائق، تأخذُ بالسمع قبلَ الأخذِ بالذهن، وتُفيدُ خفَّةَ الحُروفِ وحلاوةَ اللفظاتِ قبل

أن تُفيدَ العلاقةَ باللَّه، وليس على الأرضِ بسيطٌ لا ينفتحُ لها صدره، ولا تَرُجُّ جوانبَ نفسه، فمن لم تأخذْه بالإسلام أخَذَتْه بالعروبة، ومَن لم تأخذْه بالعروبة أخذته بالعربية».

* **لبيب الرياشي اللبناني:**

☐ قال في أول كتابه «نفسية الرسول العربي»: «لِنتجرَّدْ ولنتطَّهرْ من جُذام التعصُّب وأَثَرَةِ الجنسية».

☐ وقال في أولِ كتابِه «فلسفة الرسول العربي» (ص٦) تحت عنوان «اعتراف قبل التحلل وقبل الدرس»: «ما نَدِمتُ على شيءٍ في حياتي ندمًا عصبيًّا ساحقًا، مثلَ نَدَمي على جَهل نفسيةِ الرسول العربي والإمامِ الأعظمِ العالمي».

☐ وقال في آخر كتابه المذكور: «حقًّا يا محمدُ، إنك رسولُ الثقافة والعلم، رسولُ الهداية والتضحية، رسولُ الفلسفة الجديدة، رسولُ الإنسانيةِ الجديدة».

☐ وقال في (ص١١): «أمَا لو أدرك المسلمون سِيرةَ الرسول بجَوهرها، وشَرْعَ الرسولِ بسَنائه، وحِكَمَ الرسول بجلالها، وإبداعَ الضمائرِ الجديدةِ التي ابتدعها الرسولُ بجدَّتها الوضَّاءة، وعَمِلوا بما أدركوا، لكان المسلمون غيرَ هؤلاء المسلمين، ولكان العالَمُ غيرَ هذا العالم».

☐ ثم قال: «أمَا لو دَرَس عُشَّاقُ الرسولِ وعُشَّاقُ العظماء والحكماء والمُبدِعين غيرِ العرب، بطهارةِ وجدانٍ وبراءةِ سريرة، وتَحليلٍ عبقريٍّ، حياةَ الرسول العربي، وسُمُوَّ الرسول العربي، وبراءةَ سريرته وأعمالِه

وشَرعِه، لاستكشفوا أعظمَ شخصيةٍ وأقدَسَ رسالةٍ للتاريخ الإنساني، ولقد طالعت مئات المجلَّدات وقرأتُ حياةَ ألوفِ العظماء والرسل، ولكنَّ مئاتِ المجلدات وحياةَ ألوفِ العظماء والرسلِ ما فَعَلت بنفسي وأثَّرت في دماغي، وهَذَّبت وثقَّفت وأدهشَت، مثلما فَعَلت حياةُ الرسولِ العربيِّ العالمي، محمد بن عبدالله».

* **الكاتب ميخائيل طعمة:**

□ نَشر الصحافي المعروف «نجيب نصار» صاحب جريدة «الكرمل» التي كانت تَصدُرُ في «حيفا»، نَشر فيها مقالاً للكاتب «ميخائيل طعمة»، جاء فيه: «لو لم يكن خُلُقُ محمدٍ عظيماً لانقلب عليه مُحيطُه، ولو لم يكن خُلُقُ محمدٍ عظيماً لَضَعفُ أمامَ ما اعتَرضه من العقبات، ولرأى نفسَه مضطرًّا إلى مُجاراتِ محيطِه، ولَمَا قَوِيَ على إحداثِ ما أوجَدَه من الانقلابِ العظيم، فبدَّل الضلالَ بالهدى، والجَهلَ بالعلم، والهمجيَّة بالمدنية».

* **الدكتور شبلي شميِّل اللبناني:**

وُلِد في «كفر شيما» بلبنان عام ١٨٦٠، وتوفي ١٩١٧م، له مؤلَّفات عديدة ـ «الأهوية» و«المياه» و«البلدان» لأبي الطب أبقراط الحكيم، ورسالةُ «الحقيقة»، وكان يَرى فيها مذهبَ «دارون».

□ قال في إحـدى مقالاته ـ مأخوذة عن «المقتطف»، المجلد السابع عدد ٦ـ: «لقد أصبح من أكبرِ العارِ على أيِّ فرد متمدِّن من أبناءِ هذا العصرِ أن يُصغيَ لِما يُظنُّ من أن دينَ الإسلام كَذِبٌ، وأن محمداً خَدَّاعٌ مزوِّر، وآن لنا أن نُحاربَ ما يُشاعُ مِن مِثلِ هذه الأقوالِ السخيفةِ المُخجِلة، فإن

الرسالةَ التي أدَّاها ذلك الرسولُ ما زالت السراجَ المنير».

❑ وقال في قصيدةٍ له:

دَعْ من محمــدٍ في سُدى قرآنـه	ما قد نَحـاه للحمــةِ الغـايــاتِ
إني وإن أكُ قــد كَرتُ بدينــهِ	هل أكفــرنَّ بمُحــكَمِ الآيــاتِ
أو ما حَوَت في ناصعِ الآيـاتِ من	حِـكَمٍ روادعَ للهــوى وعـظـاتِ
وشــرائعَ لو أنهم عَـقَـلوا بها	ما قـيِّــد العـمـرانُ بالـعــادتِ
نِعمَ المدبِّرُ والحكيــمُ وإنــه	ربُّ الفصـاحة مُصطفَى الكلماتِ
رجلُ الحِجى رجلُ السياسةِ والنهى	بطــلٌ حليفُ النصــرِ والغاراتِ
ببلاغــةِ القرآن قد غَلَب النهى	وبســيفه أنـحى على الهامــاتِ
مِنْ دونـه الأبطـالُ في كلِّ الورى	مِن غــائبٍ أو حـاضــرٍ أو آتــي

* الأستاذ حنَّا خير الله اللبناني:

❑ قال في إحدىٰ حفلات ذكرىٰ ميلاد الرسول ﷺ نقلاً عن مجلة «العرفان» ـ المجلد السابع والعشرين الجزء ٣ ـ: «يكفي النبيَّ العربيَّ عظمةً أنه خَلَّد اللغةَ العربيةَ وقُدْسَها، وأوجب علىٰ جميعِ أتباعِه تَعلُّمَها».

❑ إلىٰ أن قال: «إننا نُعظِّمُ ذِكْرَ مَن خَلَّد لأُمَّتنا أعظمَ مجد، وأشرفَ تاريخ، وأسمىٰ منزلةٍ، وحَفِظ لغتَنا مقدَّسةً إلىٰ أبدِ الدهر، لِنُبرهنَ علىٰ أننا نُكرِّمُ محمَّدًا ـ النبيَّ العربي ـ ونحتفلُ بذكرىٰ مولِدِه المبارَك، إنا نقدِّرُ محمداً، وأعمالَ محمد، وعظمةَ محمد، وغاية محمد».

* شبلي الملاط اللبناني:

❑ من قصيدةٍ قالها في مهرجانٍ أُقيم لأميرِ الشعراء «أحمد شوقي» في

القاهرة:

مَن للزمـانِ بِمثـلِ فَضـلِ محمدٍ ... وعَدالـةٍ كعـدالـةِ الخَطَّـابِ
رَفَـعَ الرسولُ عمادَ أُمـةِ يَعربٍ ... وأعـزَّهـا بالآلِ والأصـحـابِ
فَشَتِ الفتـوحُ وصَفَّقت راياتُهـا ... في الشرقِ فـوقَ أباطحٍ وهـضابِ
وتَغلغلت في الغَربِ طائـرةً على ... أكتافِ صـقـرٍ جـارحٍ وعُقـابِ

❑ إلى أن قال:

أخذت قريشُ بحُزنها وبكَتْ بهـا ... غـرناطـةُ في رِقَّـةٍ وعِتـابِ
لولا يـدُ الإسـلامِ لم يَسْلَـمْ بما ... فـيـهـا مـن الأخـلاقِ والآدابِ
مَن لم يُطِقَّ لغـةَ الجدودِ فليس مِن ... قوميـةٍ تَنسِبُه في الأنسـابِ

* **الشاعرُ محبوب الخوري الشرتوني اللبناني:**

هو شاعرٌ معروف من أُدباء «عالية لبنان» ١٨٨٦، تُوفي ١٩٣١، له ديوانٌ طُبع في نيويورك، ومِن شعرِه قصيدتُه المعروفة:

قالوا: تُحِبُّ العُرْبَ قلتُ أُحِبُّهُـمْ ... يَقضي الجِـوارُ عليَّ والأرحـامُ
قالوا: لقد بَخلوا عليكَ أَجبتُـهُـم ... أهـلي وإن شـحُّوا عليَّ كـرامُ
قالوا: البداوةُ، قلتُ: أطهـرُ عُنصرٍ ... صَفَت القلوبُ هناك والأجسـامُ
ومحـمـدٌ بطـلُ البـريَّةِ كلِّها ... هو للأعاربِ أجمـعين إمـامُ

* **إلياس فامور السوري:**

«إلياس فامور» شاعرٌ وأديب، وُلد في «اللاذقية» ١٨٩٧، نَشرت له بعضُ الصحفِ السوريةِ قصيدةً قالها في حَفلٍ أُقيم لميلادِ الرسول عام ٩٣٤، منها:

بَزَغَتْ ولكن في جَبـين محمد ... شَـمسٌ تـدلُّ على سَناهُ الأنور

فتهلَّلت بشراً ملائكـةُ السـماً ... في يوم مَولده العظيم الأكبـرِ

أمحـمدُ ولأنت أرفـعُ رتبـةً ... مِن كلِّ سـامٍ في الـورى ومُوقَّـرِ

إني لأعـجزُ عن مديحـك عالمًا ... أني أعـودُ بصفـقـة المتـحيِّـرِ

أطلعتَ شمسَك فاختفت وتضاءلَتْ ... كلُّ النجـومِ وسال ذَوبُ المرمرِ

وملأتَ أفئدةَ الخصـوم بحِكمـةٍ ... فيَّاضـةٍ وبَـهَـرتَ كلَّ منكَّرِ

وشَقَقْتَ جلبابَ الظـلامِ بصـارمٍ ... تجلُو مضاربُه ضَبـابَ العثْـيَـرِ

وبَذَلْتَ نفسَك للصـوارمِ والقَنـا ... بين الجحافلِ في العِجـاجِ الأكدرِ

نفسٌ بشامخةِ النجـومِ مُهمَّـةٌ ... أَزْرَتْ بسابقةِ العتـاقِ الضُّـمَّرِ

فُرقانُه كالشمسِ يَسطعُ في الضحى ... وحديثُه كضـياءِ بَدرٍ مُقـمرِ

ذو طَلعةٍ رَدَّت ظـلامَ زمانـه ... صُبْحًا بمثلِ ظلامِ ماضي الأعـصُرِ

لو شئتَ نَظْـمَ فرائـدَ مِن نثرهِ ... أعيَتْ وضـاق بها مِـدادُ الأبحُرِ

* قسطاكي الحِمْصي السوري:

◻ وُلد في «حلب» ١٨٥٨، وتُوفي في «حمص» ١٩٤١، عُضوُ المجمع العلمي في دمشق، وصديقُ إبراهيم اليازجي، له مؤلَّفاتٌ عدَّةٌ، منها «أدباء حلب ذَوُو الأثر»، وهو شاعرٌ معروفٌ وكاتبٌ لا يُنكرُه أحد، وقد نَشرت له «مجلةُ الفتح» التي تَصدُر في القاهرة عام ١٩٣٠ ما يلي: «إذا كان سيِّدُ قريشٍ نبيَّ المسلمين ومؤسسَ دينهم، فهو أيضًا نبيُّ العرب ومؤسسُ جامعتِهم القومية، وكما أنه منَ الحُمق والمكابرةِ أن نُنكرَ ما لسيدِ قريشٍ مِن بعيدِ الأثرِ في توحيدِ اللهجاتِ العربية، وقتلِ العصبياتِ الفرعيةِ

في نفوسِ القبائل، بعدَ أن أنهكَها القتالُ في قتالِ الصحراء، وتناحَرَ ملوكُها في الشامِ والعراقِ تناحُرًا طالَ أَمَدَ الحمايةِ الرومانية والفارسية في البلدَين العربيِّين الشقيقَين حتى الفتحِ الإسلاميِّ، فمن الخَطَلِ أن تُنكرَ ما للرسولِ العربيِّ الكريم وخُلفائه من يدٍ على الشرق في إثارةِ تلكَ الحَمَاسةِ والبطولةِ النادرةِ المتدفِّقةِ في صُدورِ أولئك النَّفَر الميامين ـ الذين كانوا قابِعين في حُزونِ الجزيرة وبِطاحها ـ في سبيلِ الفتح، والمنافحةِ لتحرير الشرقِ من رِقِّ الرومان وأسرِ الفرس.

إن سيدَ قريشٍ هو المُنقذُ الأكبرُ للعرب مِن فَوضى الجاهلية، وواضعُ حَجَر الزاويةِ في صَرحِ نَهضتِهم الجبارةِ المتأصِّلةِ في تُربةِ الخلود، ولقد بَنيتُ قصيدتي الآتية، وحَذَوتُ فيها حَذْوَ «البردة» في مناجاةِ رسولِ العرب وحارسِ العرب «بالمصحف الخالد الآيات والكلم»، وإذا حُقَّ لأولئك الأعلام ـ وهم من حُماةِ الإسلام ـ إطلاقُ اسم «البردة النبوية» على قصائدهم، فقد حُقَّ لي ـ وأنا من شباب العرب المنادين في سبيلِ الجامعة القومية ـ أن أُطلِقَ على قصيدتي اسمَ «البردة العربية»، وأصُبَّ حِمَمِها على المستعمِرين الطغاة.

□ وإذا كان فقيدُ الإسلام محمد علي يقول: «الإسلامُ أولاً والهندُ ثانيًا»، فأنا أقول: إن مسيحيَّتي لا تَحُولُ ولن تحولَ دونَ وقفٍ يُراعي على خدمةِ أمتي وتَضحيتي في سبيلِ استقلالها، كما أن عروبتي لا تحولُ ولن تحولَ دون قيامِي بشعائِري الدينية، وهذه قصيدتي:

بالله يا جِيرةَ البطحاءِ والعلَمِ عُودُا خشوعًا وحَيُّوا ساكِنَ الحَرَمِ

واستـــعطفوا على صَبٍّ تمـلَّكه ... حُبُّ العروبـة نَبْتِ المجد والشِّيَمِ
عساه يُصغي إلى شـكواه إن لها ... بثَّ الفؤادِ ومعنى الشجوِ والشَّمَمِ
ويُلهِمُ العُرْبَ من إعجازِ حكمته ... أن يَنهضوا لاقتحامِ الهولِ والعُظَمِ
ويستردُّوا مَقامًا طالَما سَجَدَتْ ... له الجبابرُ من رُومٍ ومن عَجَمِ
فما الحيــاةُ التي يَحْيَون وَيْحَهُمُ ... إلاَّ حيـاةَ ضِعافِ الشـاةِ والبَهَمِ
يا سيدَ العُرْبِ والأيامُ شاهـدةٌ ... إني أُوفِّي لعهــدِ العُـرْبِ كلِّهمِ
أنقذتَ قُدْمًا بني عدنـان من عَمهٍ ... في غمرةِ الجهلِ والطغيانِ والظُّلَمِ
وقُدْتَهم صُعُدًا والدينُ قائــدهم ... والعَدلُ رائدُهم في مَسلَكِ العلمِ
فصافَحوا المجدَ والأيامُ في يَدهـم ... طَوْعَ البَنـانِ وأضحَوْا سادةَ الأُمَمِ
ودَوَّخوا الغَربَ حتى لان جامحُـه ... وخَرَّ مسترحمًا من وطءِ خَيـلِهِمِ
والآن قد دال مَجدُ العُربْ وا لَهَفي ... وأصبحوا كُبغاثٍ لطيـرٍ والغَنَـمِ
يسُومُهم عبدُهم بالأمس وا كَبدي ... مُرَّ العذابِ ويُغليهم على ضَـرَمِ
ويَستبيحُ حِماهم غيــرَ مُحتَشِمٍ ... كأنهم عنده من أحقــرِ الخَــدَمِ

□ إلى أن يقول:

فاهبطْ أبا القاسـمِ الميمـونِ مؤتزرًا ... بالعَزم وابْعَثْ مَوَاتَ العزمِ والهممِ
وانفُخْ بعَدنـانَ من رُوحِ النبوةِ ما ... يُثيـرُهَا للعُلى في أرفـعِ القِمَمِ
واسألْ لها نُصـرةً من ربِّنا فعسـى ... نَصرٌ قريبٌ وفتــحٌ غيرُ مُنْثَـلِمِ
سيندمُ الغَربُ عمَّا جـاء مُعتسفًا ... ولاتَ ساعةَ عَضِّ الكَفِّ مِن نَـدَمِ

□ وقد وَقَّع الشاعرُ المذكورُ المسيحي تحتَ القصيدةِ المذكورة:

«فتى العرب» حِمْص. . الشام

*** الأستاذ ميشيل عفلق السوري:**

رئيسُ حزب «البعث» العربي في دمشق.

◻ قال في كتابه «في سبيل البعث» (ص٥٣): «حتىٰ الآن كان يُنظرُ إلىٰ حياةِ الرسولِ محمدٍ من الخارج، كصورةٍ رائعةٍ وُجدت لنعجَبَ بها ونُقدِّسَها، فعلينا أن نبدأَ بالنظرِ إليها من الداخل لنحياها، كلُّ عربيٍّ في الوقت الحاضرِ يَستطيعُ أن يحيا حياةَ الرسول العربي، ولو بنسبةِ الحصاةِ إلىٰ الجبل والقطرةِ إلىٰ البحر، طبيعي أن يَعجِزَ أيُّ رجلٍ مهما بَلغت عظمتُه أن يَعملَ ما عَمِلَ محمدٌ، ولكنْ من الطبيعي أن يستطيعَ أيُّ رجلٍ مهما ضاقت قدرتُه أن يكونَ نموذجًا مصغَّرًا ضئيلاً لمحمدٍ، ما دام ينتسبُ إلىٰ الأُمةِ التي حَشَدت كلَّ قواها فأنجبت محمداً، أو بالأحرىٰ ما دام هذا الرجلُ فرداً من أفرادِ الأمة التي حَشَد محمدٌ كلَّ قُواه فأنجبها، في وقتٍ مَضَىٰ تلخَّصت في رجلٍ واحدٍ كلُّ حياةِ أمته، واليومَ يجبُ أن تُصبحَ كلُّ حياةٍ هذه الأمةِ في نهضتِها الجديدة تفصيلاً لحياةِ رجلِها العظيم، كان محمدٌ كلَّ العرب، فليكنْ كلُّ العربِ اليوم محمداً».

◻ إلىٰ أن قال: «إنَّ الإسلامَ لم يُوجَدْ ليكونَ مقصوراً علىٰ العرب، إذا قلنا ذلك ابتعدنا عن الحقِّ وخالَفْنا الواقعَ، فكلُّ أمةٍ عظيمةٍ عميقةِ الاتصال بمعاني الكونِ الأزلية، تَنزعُ في أصلِ تكوينِها إلىٰ القِيَمِ الخالدةِ الشاملة، والإسلامُ خيرُ مُفصحٍ عن نزوعِ الأمةِ العربيةِ للخلودِ والشمول، فهو إذاً واقعه عربي، وفي مراميه المثاليةِ إنساني، فرسالةُ الإسلامِ إنما هي خُلُق إنسانية عربية.

إن العربَ ينفرِدون - دونَ سائر الأُممِ - بهذهِ الخاصيةِ، إنَّ يقظتَهم القوميةَ اقتَرنت برسالةٍ دينية، أو بالأحرىٰ كانت هذه الرسالةُ مُفصِحةً عن هذه اليقظة القوميَّة، ولم يتوسَّعوا بُغيةَ التوسُّع، ولا حكموا البلاد استناداً إلىٰ حاجةٍ اقتصاديةٍ مجردة، أو ذريعةٍ عنصريةٍ أو شهوةٍ للسيطرةِ والاستعبادِ، بل ليؤدُّوا واجباً دينيًّا كلُّه حقٌّ وهدايةٌ ورحمةٌ وعَدلٌ وبَذلٌ، أراقوا من أجله دماءَهم، وأقبَلوا عليه خِفافًا ومتهلِّلين لوجه اللَّه، وما دام الارتباطُ وثيقًا بين العروبة والإسلام، وما دمنا نرىٰ في العروبةِ جسمًا رُوحُه الإسلام، فلا مَجالَ إذاً للخوفِ من أنْ يشتطَّ العربُ في قوميتهم، إنها لن تبلغَ عصبيةَ البغيِ والاستعمار».

* **الدكتور نجيب أرمنازي المصري:**

وُلِد في بلدته «ماهاي» عام ١٨١٩، وتوفي ١٨٨٧م، له كتاب «عن «الشرع الدولي في الإسلام».

❑ قال فيه «ص٥٦»: «كان العربُ لَمَّا بُعث محمدٌ فيهم علىٰ الفِطرة البيضاءِ النقية، لم يُكَدِّرْها مُكدِّر، ولم يَعْبَثْ برَونقها عابث، تطلَّع إلىٰ أمرٍ عظيم، وخَطبٍ جسيم، قد استكنَّت من المواهبِ الشريفةِ والقوىٰ الكامنة والعزائمِ الشديدة ما يسمو كالنارِ إلىٰ إشاعةِ ذكره وتعرُّفِ خَبَرِه، واستفاضت فيها رُوح الحياة، وشاع في الناس نبأُ حادثٍ دينيٍّ كبير، يكونُ عنوانَ تاريخٍ جليل».

❑ إلىٰ أن قال: «فقد ظَهر الإسلامُ في عنفوانِ تلك البعثة، وأصاب بدعوته شاكلةَ القلوب، ودانت له العربُ، فأصلح بينَهم، وجَمَع كلمتَهم، وحينئذٍ نَفَروا من البادية، وانتشروا في أقطارِ الأرض، تَنقادُ لهم أَعِنَّةُ الأُممِ

انقياداً يُشابِهُ المُعجِزات، ولَمَّا أظهر محمدٌ دعوتَه قال لعشيرته الأقربين: ما أعلمُ أن إنسانًا في العرب جاء قومَه بأفضلَ مما جئتُكم به، فقد جئتُكم بخير الدنيا والآخرة».

☐ وقال في (ص٦١): «قام محمدٌ ـ وهو عربيٌّ من صميمِ العرب ـ يدعو قومَه إلىٰ توحيدٍ لا رَيبَ فيه ولا هوادة، مُنوِّهًا عن رموزِ الأحبار وزخارفِ الكُهَّانِ، ويَحُثُّهم علىٰ الاستكثارِ من الخيرِ في هذه الدنيا، والحِرصِ علىٰ مَدارِكَ أخرىٰ في الحياةِ أشرفَ منزلةً وأبعدَ غايةً».

*** عبدالمسيح أفندي وزير المصري:**

نشرت جريدة «الاستقلال» ١٩٢٧ مقالاً للأستاذ «عبدالمسيح أفندي وزير» الكاتب المعروف، تحت عنوان «محمد والحضارة»، وذلك يومَ ذكرىٰ مَبعَثِ الرسول محمدٍ ﷺ.

☐ جاء في المقال ما يلي: «في مثلِ هذا اليوم المبارك ننشرُ في هذه الجريدةِ مقالاً في محمدٍ فيه ذكرىٰ ـ والذكرىٰ تنفعُ المؤمنين ـ، وقد عالجتُ الموضوعَ فيما مضىٰ من وجوهٍ غيرِ الوجه الذي عَقدتُ العزيمةَ علىٰ مُعالجته الآن، إذ كانت المقالاتُ السابقةُ في قالب شِعريٍّ أدبيٍّ، أما اليوم، فأبحثُ في بعثةِ محمدٍ بحثًا علميًّا محضًا لا أثرَ للتخريبِ فيه، وقد آليتُ علىٰ نفسي أن أُبرهِنَ أن الحضارةَ الأوربيةَ الحديثةَ ـ أو بالأحرىٰ الحضارة المسيحية ـ إنما قامت ـ وهي قائمةٌ وستقومُ ـ علىٰ مبادئِ الإسلام، مبادئِ محمدٍ التي نَشرها علىٰ العالم، فعَمِل بها العالَمُ المتمدِّنُ كلُّه مِن يومِ محمدٍ حتىٰ هذه اللحظة، والحضارةُ في واقعِ الأمرِ حضارةٌ واحدة لا أدوارَ لها».

◻ إلىٰ أن قال: «قال «بوذا» و«كنفونيس» و«عيسىٰ» بالمسالمة والاستكانة، وقال محمدُ بنُ عبداللَّه النبيُّ العربيُّ بالقوة، وأصبحت جميعُ الأممِ اليومَ لا تعملُ إلاَّ بالقوة، ففي العالم اليوم فلسفتانِ في الدين، فسلفةُ التصوف، وفلسفةُ العمل - أي: القوة -، فلنأخذِ المسيحيةُ - وهي أرقىٰ ما في التصوف بمبادئها -، ولنأخذ الإسلام - وهو القائم علىٰ مبدإ القوة -، ونقارِنْ بين المبدأين لنرىٰ أيهما الفائزُ في حضارتنا:

◻ قال المسيح عليه السلام: «مَن ضَرَبك علىٰ خَدِّك الأيمن، فحوِّلْ له خَدَّك الأيسر، ومَن طلب ثوبَك، فأعطِهِ رداءك»، ومعنىٰ هذا أن علىٰ الإنسانِ أن يكون مسالمًا مستكينًا لا يُبدي حِراكًا في حضارةٍ تُنازعُ البقاء، أمَّا محمدٌ فيقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠]، أي: نازعْ من أجلِ بقائك وكيانِك بكلِّ ما أُوتيتَه من قوة، فالمبدأُ الأساسيُّ هو مبدأُ تنازعِ البقاء، فإذا ثَبَتَ لزومُ المبدإِ لكِيانِ الحضارة، كان محمدٌ فائزًا في هذا المضمار، وكفىٰ بهذا المضمار مسرحًا للمبدإِ الصحيحِ الذي جاء به محمدٌ وعَمِلِ لأجله».

◻ إلىٰ أن قال: «ثُمَّ لَمَّا كان المسلمون خاصةً والعربُ عامَّةً عامِلين بمبدإِ نبيِّهم - محمد - شادوا حضارةً مجيدةً وأصبحوا سادة الدنيا، ولكنهم فرَّطوا بالابتعادِ عن هذا المبدإِ، وركَنوا إلىٰ الاستكانةِ فباتوا مَسُودين».. إلىٰ آخر المقال.

* **البحَّاثة جرجي زيدان:**

وُلد في «بيروت - لبنان» عام ١٨٦١، وتوفي ١٩١٤م. مؤسِّسُ مجلة

«الهلال» عام ١٨٩٢، نَشَر فيها المقالاتِ الأدبيةَ والتاريخيةَ واللغويةَ، ومؤسِّسُ «دار الهلال» للطباعة والنشر، وله دراساتٌ قيمةٌ في الأدب والتاريخ، أهمها: «العرب قبل الإسلام» و«تاريخ التمدُّن الإسلامي» و«تاريخ آداب اللغة العربية»، و«تراجم مشاهير الشرق».

☐ قال في «تاريخ العرب قبل الإسلام»: «إن أقدمَ المصادرِ العربيةِ لتاريخ العرب وأقربَها إلىٰ الصحة القرآنُ، فقد جاء فيه ذِكرُ القبائلِ البائدةِ -كعادٍ وثمود-، وبعضُ أخبارِ ملوك اليمن -كسَيلِ العَرِمِ وغيره-، وإذا قرأتَ تلك الأخبارَ فيه، تجدُ ما ذكره القرآنُ صحيحًا تؤيدُه الاكتشافاتُ الحديثةُ، وهو المُعجِزُ الذي جاء به محمد».

☐ وقال في كتابه «التمدُّن الإسلامي»: «ولَمَّا عَمَد المسلمون إلىٰ تلاوةِ القرآن والحديثِ وتفسيرِهما، أُشكل علىٰ غير العرب إعرابُهما؛ لأن مَلَكةَ اللغةِ غيرُ راسخةٍ فيهم».

☐ إلىٰ أن قال: «جملةُ القول: إن ما اشتَغل به المسلمون في صدرِ الإسلام من العلوم مَرجِعُه إلىٰ القرآن الذي نَزل علىٰ محمدٍ، فهو المِحورُ الذي تدورُ عليه العلومُ الأدبيةُ واللسانيةُ فضلاً عن الدينية، ورَسَخ في الأذهانِ أنه لا يجوزُ أن يُنظرَ في كتابٍ غيرِ القرآن؛ لأنَّه جاء ناسخًا لكلِّ كتابٍ قبلَه، وقد نهىٰ الشرعُ الإسلاميُّ يومئذٍ عن النظرِ في الكُتب المُنزَّلةِ غيرِ القرآن لاتحادِ الكلمةِ واجتماعِها علىٰ الأخذِ به، وقد أعلن محمدٌ النبيُّ العربيُّ أن رسالتَه خاتمةُ الرسالات، وصحيحٌ ذلك؛ لأنَّ فيها ما يَصلُحُ للبشرِ في مختلفِ أطوارِهم وسائرِ أدوارِهم».

* **الدكتور نيس الأندونيسي:**

أستاذُ الديانةِ المسيحيةِ في جامعة «برمنكهام».

◘ قال في إحدىٰ محاضراته نقلاً عن «مجلة الهلال» الجزء الخامس من المجلد الثالث: «يا ابنَ مكة، ويا نَسلَ الأكرمين، ويا مُعيدَ مجدِ الآباء والأجداد، ويا مُخلِّصَ العالَمِ من العبودية، إن العالَمَ يفتخرُ بك، ويشكرُ اللّٰهَ علىٰ تلك المِنحةِ العزيزة، بل ويُقدِّرُ لك مجهوداتِك كلَّها، يا نَسلَ الخليلِ إبرهيم، يا مَن مَنحتَ السلامَ للعالم، ووَفَّقتَ بين قلوبِ البشر، وجَعلتَ الإخــلاصَ شِـعارَك، يا مَن قُلتَ في شريعتك: «**إنما الأعمالُ بالنيات**»، لك منَّا الشكرُ الجزيل».

* **«رينيه جينو» «الشيخ عبدالواحد يحيى»:**

«رينيه جينو» مِن الشخصيات التي أخذت مكانَها في التاريخ، وهو العالِمُ الفيلسوف الذي يُدوِّي اسمُه في أوروبا قاطبة، وفي أمريكا، يَضعُه المسلمون بجوارِ «الغزَّالي» وأمثالِه، ويَضعُه غيرُ المسلمين بجوارِ «أفلوطين»، صاحب الأفلاطونية الحديثة.

وقد كان إسلامُه ثورةً كبرىٰ هَزَّت ضمائرَ الكثيرين، مِن ذَوِي البصائرِ الطاهرة، فاقتدَوا به، واعتَنقوا الإسلام، وكوَّنوا جماعاتٍ مؤمنةً مخلِصةً، تعبدُ اللّٰهَ علىٰ يقينٍ في معاقلِ الكاثوليكية في الغرب.

وكان سببُ إسلامه يسيراً؛ لقد أراد أن يعتصمَ بنصٍّ مقدَّس، لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا مِن خلفه، فلم يَجدْ - بعد دراسةٍ عميقةٍ - سوىٰ القرآن، فهو الكتابُ الوحيدُ الذي لم يَنَلْه التحريفُ والتبديلُ؛ لأن اللّٰه تكفَّل

بحِفظِه، وحَفِظه حقيقةً: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

لم يجد سوىٰ القرآن نصًّا مُقَدَّسًا صحيحًا، فاعتصم به، وسار تحتَ لوائِه، فغَمَره الأمنُ النفسانيُّ في رِحابِ الفرقان.

ومؤلَّفاتُه كثيرةٌ مشهورة، مِن بينها كتابُ «أزمة العالم الحديث»، بيَّن فيه الانحرافَ الذي تسيرُ فيه أوروبا الآن، والضلالَ المبين الذي أعمىٰ الغربَ عن سواءِ السبيل.

◻ أما كتابه «الشرق والغرب»، فهو من الكتبِ الخالدة، التي تجعلُ كلَّ شرقيٍّ يفتخرُ بشرقيتِه.

◻ يقول الشيخ الدكتور «عبدالحليم محمود» شيخ الجامع الأزهر: «وإذا كان الشخصُ في بيئتنا الحالية لا يُقدَّرُ التقديرَ الذي يستحقُّه إلاَّ بعد وفاته، فقد كان من حُسنِ حظِّ «رينيه جينو» أنه قُدِّر في أثناء حياته، وقُدِّر بعد وفاته، أمَّا في أثناءِ حياته، فكان أولُ تقديرٍ له: أنْ حَرَّمت الكنيسةُ قراءةَ كتبه، والكنيسةُ لا تفعل هذا إلاَّ مع كِبارِ المفكِّرين الذين تخشىٰ خطرهم، فقد وضعتْه بذلك بجوار عباقِرةِ الفِكرِ الذين اتخذت تُجاهَهم نفسَ المَسْلَك، ولكنها رأت في «رينيه جينو» خطرًا يَكبُرُ كلَّ خطرٍ سابق، فحرَّمت حتىٰ الحديث عنه.

واستجاب كثيرون لدعوةِ «رينيه جينو»، فألفَّوا جمعياتٍ في أنحاءِ العالم، وعلىٰ الخصوص في سويسرا وفي فرنسا وتخذوا الإسلام دينًا.

ومن التقدير الإيجابي أنَّ كتب «رينيه جينو» برغم تحريمِ الكنيسة لقراءتها، قد انتَشرت في جميعِ أرجاءِ العالم، وطُبعت المرةَ بعدَ الأخرىٰ، وتُرجم الكثيرُ منها إلىٰ جميع اللغات الحية، ما عدا العربية.

وبعد مماته كَتبت عنه جميعُ صُحفِ العالم، وقد خَصَّصَتْ له مجلة «فرنسا ـ آسيا» وهي مجلةٌ محترمة، عدداً ضخماً؛ كَتب فيه كبارُ الكُتَّاب الشرقيين والغربيين، وافتتحته بتقدير كاتب فرنسا الأكبر «أندريه جيد»، وقوله في صراحةٍ لا لبس فيها: إن آراءَ «رينيه جينو» لا تُنقض.

وخصَّصت مجلة «ايتودترا ديسونيل» عدداً ضخماً من أعدادها، ثم خَصَّص له الكاتبُ الصحفيُّ الشهير «بول سيران» كتاباً ضخماً تحدَّث فيه عن حياتِه وعن آرائه.

بعد أن بَهرت أشعةُ الإسلامِ الخالدةُ «رينيه»، وغَمَره ضياؤُه الباهرُ، اعتَنَق الإسلامَ، وأصبح جنديًّا من جنوده يدافعُ عنه ويدعو إليه.

ومن أمثلتِه ما كَتبه في كتابه «رمزية الصليب» تفنيداً للفِريةِ التي تقول: «إن الإسلام انتشر بالسيف».

ومن أمثلةِ ذلك أيضاً ما كتبه في مجلة «كابيه دي سور» في عددها الخاص بالإسلامِ والغرب، دفاعاً عن الرُّوحانية الإسلامية، لقد أنكر الغربيون رُوحانية الإسلام، أو قلَّلوا من شأنها، و أشادُوا برُوحانيةِ المسيحيةِ وأكبَرَوا من شأنها، فأتى الشيخ «عبدُالواحد يحيى» وبيَّن سُمُوَّ الروحانيةِ في الإسلام وروعتـها، وقارَنَ بين ما يُسـمُّونه بـ «التصوُّفِ المسيحي» أو «المستيسزم»، وانتهى بأن هذا «المستيسزم» لا يمكنُه أن يبلغَ ـ ولا عن بُعدٍ ـ ما بلغه التصوُّفُ الإسلامي[1] من سُموٍّ وجلال»[2] .

(١) أي الصحيح القائم على الكتاب والسنة الصحيحة، لا أقوال أصحاب التصوف الفلسفي أو البدعي الذي ضيَّع الأمة.

(٢) «أوربا والإسلام» (ص٧٢ـ٧٦).

* **الفنان الفرنسي «ألفونس إتيين دينييه»:**

وُلِد «ألفونس إتيين دينييه» في باريس سنة ١٨٦١، وهو من كبارِ أهلِ الفنِّ ورجالِ التصوير، وصاحبُ اللوحاتِ الكبيرةِ النفيسةِ القيِّمة، وله في مُتحف «لوكسمبرج» عدةُ صورٍ، منها الصورةُ الشهيرةُ المعروفة باسم «غداة رمضان»، وكذلك له صورةٌ في متحف «بو»، وكذلك في متحف «سدني» باستراليا، و«الحج إلى بيت اللَّه الحرام»، وله عدةُ مؤلَّفاتٍ منها «حياة العرب»، وكتاب «السراب»، و«حياة الصحراء»، وكتاب «ربيع القلوب»، وكتاب «الشرق كما يراه الغرب»، ومن أهمِّ كُتبه «السيرة النبوية» وهو مجلد كبيرٌ جليلٌ وَضَعه باللغةِ الفرنسية، وله رسالةٌ «أشعة خاصة بنور الإسلام»، قام بتعريبها الأستاذُ الأديب «راشد رستم»، وقد أعلن إسلامه رسميًّا بالجامع الجديد بمدينة الجزائر، عام ١٩٢٧م، وسمى نفسه «ناصر الدين دينيه»، وطَلَب أن يُدفنَ في بلده «بوسعادة» بالجزائر حنيفًا مسلمًا.

❑ قال في كتابه «محمد رسول اللَّه» (ص٤٨): «إنَّ حدودَ هذا السِّفْرِ لن تسمح لنا بأن نقدِّمَ جميعَ التفاصيلَ وجميعَ النواحي لحياةٍ حافلةٍ بالعظائم، إلى هذا الحدِّ كما هو الشأنُ في حياةِ النبي محمد نبيِّ المسلمين».

❑ وقال (ص٤٩) منه: «والحقُّ أننا نَرىٰ من بين جميعِ الأنبياءِ الذين أَسَّسوا دياناتٍ، أن محمداً هو الوحيدُ الذي استطاع أن يَستغنيَ عن مَدَدِ الخوارقِ والمعجزاتِ المادية، معتمداً فقط على بداهةِ رسالته ووضوحِها، وعلى بلاغةِ القرآنِ الإلهية، وإنَّ في استغناءِ محمدٍ عن مَدَدِ الخوارقِ والمعجزاتِ لأكبرُ معجزةٍ على الإطلاق».

□ وقال (ص٥٢) منه: «إن في مَرأىٰ المؤمنين وفي أعمالهم لَصورةٌ تلمحُها منعكِسةً من مآثر محمد، وإذا ما كانت بالطبعِ باهتةً بالقياس إلىٰ كمالاته العليا، فإنها لا جِدالَ في صحَّتها، هذا علىٰ حين نجدُ قياصرةَ روما ـ مع دِقَّةِ تماثيلهم ـ لا يطالعُنا منهم سوىٰ قِناعٍ مزيَّفٍ لوجوههم الجامدة تحت صورةٍ من الخُيلاء، إن صُورَهم تظلُّ مَيتةً يَعجزُ خيالُنا عن أن يَلمحَ لها شيئًا من الحياة، وإنه لبوحي هذه الحقيقة المقرَّرةِ قامت برؤوسنا فكرةُ نشرِ لوحاتٍ في تاريخِ محمدٍ، تمثِّلُ المآثرَ الدينيةَ لأتباعه، وبعضَ صُورٍ من حياةِ العرب، وبعضَ مُدنِ الحجاز الذي هو وطنه».

□ وقال (ص٨٧) منه: «محمد لم يؤلِّفِ القرآن، حقًّا أنه لَيُدهِشُني أن يَرىٰ بعضُ المستشرقين أن محمدًا قد انتهز فرصةً، فروَّىٰ ورتَّب عَمَله المستقبل، بل لقد ذَهب بعضُهم إلىٰ أبعدَ من ذلك، فوسوس بأن محمدًا ألَّف في تلك الفترة القرآنَ كلَّه!.

أحقًّا لم يُلاحظوا أن هذا الكتابَ الإلهيَّ خالٍ من أيةِ خُطةٍ سابقةٍ علىٰ وجوده، مرسومةٍ علىٰ نَسَقِ المناهجِ الإنسانية، وأن كلَّ سُورَةٍ من سُوره منفصلةٌ عن غيرها، وخاصةٌ بحادثةٍ وقعت بعد الرسالةِ طيلةَ فترةٍ تَزيدُ علىٰ عشرين عامًا، وأنه كان من المستحيل علىٰ محمدٍ أن يتوقَّع ذلك ويتنبَّأ به؟!».

□ وقال (ص٣٤٥) منه: «فدينُ الرسول محمدٍ أكَّد من الساعة الأولىٰ لظهوره أنه دينٌ عامٌّ صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكان، وإذًا كان صالحًا بالضرورة لكلِّ عقل، إذ هو دينُ الفطرةِ، والفطرةُ لا تختلفُ في إنسانٍ عن آخر، وهو

لكلٍّ هذا صالحٌ لكلِّ درجةٍ من درجاتِ الحضارة».

◘ وقال في كتابه «أشعة خاصة بنور الإسلام» ترجمة الأستاذ «راشد رستم»: «إن نبي الإسلام هو الوحيدُ من بين أصحابِ الدياناتِ الذي لم يَعتمدْ في تمامِ رسالته على المعجزاتِ، وليست عمدتُه الكبرىٰ إلاَّ بلاغةَ التنزيل الحكيم، وفي ذلك يقول تعالىٰ: ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ ﴾ [الإسراء: ٥٩]».

* **فاندبرج:**

◘ قال: «لقد وَضَع الإسلامُ قواعدَ جليلةً للرقيق تدلُّ علىٰ ما كان يَنطوي عليه محمدٌ ﷺ من شعورٍ إنسانيٍّ نبيلٍ يُناقِضُ - كلَّ المناقضة - تلك الأساليبَ التي كانت تتخذُها إلىٰ عهدٍ قريبٍ شعوبٌ تدَّعي أنها تمشِي في طليعةِ الحضارة.

لهذا كان كثيرٌ من الرقيق يُفضِّلُ حياة الرِّقِّ في ظلالِ هذه المبادئِ علىٰ الحريةِ الوهميةِ في بلادٍ وأممٍ تَسترِقُّ شعوبَها بالجملة»[1].

الإسلامُ العظيمُ الذي رَفع شأنَ «بلال»، فجعله من أئمةِ الصحابة، حتىٰ قال عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أبو بكر سيدُنا.. أعتق بلالاً سيدَنا».

وفيه نزل قولُ اللَّه عز جل: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

---

(١) «لماذا يخافون الإسلام» (ص١٢٢) - للدكتور عبدالودود شلبي - دار الاعتصام.

أين هذا من قول الفيلسوف العُنصري «لونج» في كتابه «تاريخ جامايكا» عن الزنوج: «إنهم غيرُ خَليقين بالحياة، وإنهم لا يَزيدون عن القرود التي تتعلَّمُ لتأكلُ وتشربَ، وإن قيمتهم لا تَزيدُ عن قيمةِ أيِّ سِلعةٍ تُباعُ في الأسواق»؟.

□ بل ويقول «منتسيكو» عن السُّود: «إني أعتقدُ أن اللَّهَ أحكَمُ مِن أن يَضَعَ رُوحًا ـ فضلاً عن رُوحٍ طيبةٍ ـ في جِسمٍ حالِكِ السواد»[1].

*** الكاردينال «أشوك كولن يانق» أمين عام «مجلس الكنائس العالمي» لوسط وشرق أفريقيا سابقًا يُشهِرُ إسلامه:**

□ في مقال الكاردينال السابق «أشوك كولن يانق»، يكشف جوانبَ جديدةً عن رحلته إلىٰ الإسلام لرجب الدمنهوري والمنشور بمجلة «المختار الإسلامي» العدد (٢٨١) ـ غرة المحرم ١٤٢٧هـ ـ ٣١ يناير ٢٠٠٦م (ص٦٨) إلىٰ (ص٧١) قال: «أثارت المقابلةُ التي أجرتها «المختار الإسلامي» مع أمين عام مجلس الكنائس العالمي لوسط وشرق إفريقيا سابقًا «أشوك كولن يانق» ردودَ فعلٍ واسعةَ النطاق، وتناقلتها عشراتُ المواقع الإلكترونية ووسائلِ الإعلام.. وكان «كولن يانق» الذي اعتنق الإسلام عام ٢٠٠٢ قد كَشف في حوارِه أبعادَ المُخطَّطِ الكَنَسيِّ الرامي لتنصيرِ المسلمين وضَربِ الحركةِ الإسلاميةِ عَبْرَ توظيفِ العِلمانيين لمواجهةِ المدِّ الإسلامي، وإنفاق أموالٍ طائلة علىٰ بعض الأجهزة والأفراد ذَوِي الصِّلة.. وفي هذا العدد يكشفُ الكاردينال السابق جوانبَ جديدةً في رحلتِه «من الظلمات إلىٰ النور ومِن الكفر إلىٰ الإسلام، ومن حالِ أهلِ النار إلىٰ حالِ أهلِ القِبلة» ـ علىٰ حدِّ

(١) المصدر السابق (ص١٢٨).

تعبيره ـ، وفيما يلي التفاصيل:

❑ «تغييرُ الإنسان عقيدتَه ليس أمرًا سهلاً، خاصةً إذا كان هذا الإنسانُ يحتلُّ قمةَ الهَرَمِ الذي يدعو إلىٰ هذه العقيدة.. فما الذي قادك إلىٰ التغيير، ومِن ثَم اعتناقِ الإسلام من واقع دراستك للأناجيل؟.

ـ سؤال مهم.. الإنسان مهما علا شأنُه إذا كان صادقًا وجادًّا في البحث عن الحقيقة، فإنه حتمًا سيصلُ إليها يومًا ما، وهذه الحقيقةُ التي سيصلُ إليها إما أنها تُعززُ ما يؤمنُ به، أو تَهديه إلىٰ سبيلٍ آخَرَ.. هذا أولاً.

أما كيف غيَّرتُ عقيدتي، فأُجيبُ من خلالِ أقوالِ المسيحِ التي وردت في الأناجيل، فقد جاء في إنجيل «يوحنا» في «الإصحاح الثامن ـ فقرة ٤٠» عندما هَمَّ اليهودُ بقتله: «ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسانٌ قد كَلَّمكم بالحق الذي سَمِعه من اللَّه».

فالمسيحُ عليه السلام إنسانٌ اختارَه اللَّهُ وحمَّله رسالةً، وجعله نبيًّا؛ ولذلك يقولُ عليه السلام كما جاء في «الإصحاح الثامن ـ فقرة ٤٢»: «لو كان اللَّهُ أباكم لكنتم تُحبونني؛ لأنني خرجتُ من قِبَلِ اللَّه وأَتيتُ، لأني لم آتِ من نفسي، بل ذلك أرسلني، لماذا لا تفهمون كلامي؟»، وقد صرَّحَتْ بعضُ الأناجيلِ بنبوة عيسىٰ عليه السلام كما جاء في «لوقا ـ الإصحاح السابع ـ فقرة ١٦»: «فأخذ الجميعَ خوفٌ ومجَّدوا اللَّه قائلين: قد قام فينا نبيٌّ عظيم».

وجاء في «متىٰ ـ الإصحاح الحادي والعشرين ـ فقر ٩، ١٠، ١١»: «ولما دخل أورشليم ارتجَّتِ المدينةُ كلُّها قائلةً: مَن هذا؟ فقالت الجموعُ: هذا النبيُّ الذي مِن ناصرةِ الجليل».

وهذه النصوصُ تتفقُ مع قوله تعالىٰ في القرآن الكريم: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [المائدة: ٧٥].

* **رسالة عيسى:**

إذًا أنت ترىٰ أن هذه النصوصَ التي اقتبستَها من الأناجيل كفيلةٌ بتغييرِ العقيدةِ من النصرانية إلىٰ الإسلام؟.

ـ الإيمانُ برسالة سيدنا عيسىٰ عليه السلام يكونُ بتصديقِه فيما أَخبر، فلا نردُّ خَبَرَه ولا نُكذِّبُ قولَه ولا نخالفُه، فالمسيحُ عليه السلام جاءنا من اللَّه لأمرَين مهمَّين:

أولاً: لِتَعلَمَ الأُمةُ التي بُعث إليها كيف تتقربُ إلىٰ اللَّه وتَعبدُه، أمَّا معرفةُ اللَّه، فيقول المسيحُ عليه السلام: «إنَّ اللَّهَ واحدٌ لا شريك له ولا نظيرَ له ولا شَبيهَ له».

فقد جاء في إنجيل «مرقص» في «الإصحاح الثاني عشر ـ فقرة ٣٠» لَمَّا سأله الكاتبُ: «أيُّ وصيةٍ هي أولُ الكل؟ فأجاب يسوع: إن أولَ كلِّ الوصايا هي: اسمَعْ يا «إسرائيل»، الربُّ إلهُنا ربٌّ واحد، وتُحِبُّ الربَّ إلهَك من كلِّ قلبك ومِن كلِّ نفسِك ومِن كلِّ فِكرِك ومِن كل قُدرتِك، هذه هي الوصيةُ الأولىٰ، وثانيةٌ مِثلُها، هي أن تحبَّ قريبَك كنفسِك، ليس وصيةٌ أخرىٰ أعظمَ من هاتين.

فقال له الكاتب: صحيحٌ يا مُعلِّمُ، حَسَبَ الحقِّ تكلمتَ، فإن اللَّهَ واحدٌ لا آخَرَ سواه».

وتتأكدُ هذه الحقيقةُ عن ذاتَ اللَّه بما جاء في إنجيل «متىٰ ـ الإصحاح

٢٣ ـ فقرة ٨»، يقول المسيح عليه السلام: «وأما أنتم فلا تَدْعوا لكم أبًا على الأرضِ؛ لأن أباكم واحدٌ الذي في السماء»، وجاء في «يوحنا» في «الإصحاح ٢٠ فقرة ١٨» قال المسيح: «إني أصعدُ إلىٰ أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم».

وكلمة «الأب»: «أبي وأبيكم» تعني في لغةِ الإنجيل «الرب» أي: «ربي وربكم».

فإلىٰ مُحبِّي المسيح أقول: ألم تتضمَّنْ وصايا المسيحِ عليه السلام تعريفًا واضحًا لذاتِ اللَّهِ العليِّ الكبير المتفرِّد؟.

* يقول اللَّه تعالىٰ في القرآن: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص].

* وكما جاء في القرآن الكريم أيضًا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ثانيًا: إن مهمةَ عيسىٰ عليه السلام الثانيةَ أن يَهدِيَ الأُمةَ التي بُعث إليها إلىٰ عبادة اللَّه، وهي أُمةُ بني إسرائيل، أما غيرُهم من الأمم فلا تَعنِيهم شريعةُ عيسىٰ، وهذا ما تقرِّرُه الأناجيلُ المسيحية، فقد جاء في إنجيل «متىٰ - الإصحاح ١٥ فقرة ٥» قولُ يسوع: «لم أُرسَل إلا لخرافِ بني إسرائيلَ الضالة».

وجاء في «متىٰ - الإصحاح ١٠ فقرة: ٥»: «هؤلاء الاثنا عَشَرَ أَرْسَلَهم يسوعُ وأوصاهم قائلاً: إلىٰ طُرُقِ أُممٍ لا تَمْضُوا، وإلىٰ مدينةِ السامريين لا تَدخُلوا، بل اذهبوا بالحَرِيِّ إلىٰ خِرافِ بني إسرائيل الضالة» (أعمال الرسل ١١ الفقر الأولىٰ).

وإلىٰ مُحبِّي المسيح أقول: يا مَن تبحثُ عن الحق، ويا مَن آمَن باللَّه الواحد الأحد، إليك هديةً من القلب: آمنْ باللَّه إلهًا واحدًا، وبأن المسيحَ رسولُ اللَّه وكلمتُه ألقاها إلىٰ مريمَ ورُوحٌ منه، وبأن محمدًا عبد اللَّه ورسوله وخاتمُ النبيين والمرسلين، واتَّبعْه حقَّ الاتباع، قل: «لا إله إلا اللَّه» يؤتِك اللَّهُ أجرَك مرتين.

* قال تعالىٰ في القرآن الكريم: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [القصص: ٥٤].

*** اللحظة الفاصلة:**

❑ صِفْ لنا اللحظةَ الفاصلةَ التي قرَّرتَ فيها اعتناقَ الإسلام؟ وماذا ترتب علىٰ ذلك.

ـ حينما قررتُ اعتناقَ الإسلام، ذهبتُ إلىٰ الكنيسة، وتقدَّمتُ بطلب إجازةٍ لكي أقضيَها مع أسرتي، فطُلب مني أن أنتظرَ حتىٰ تعتمدَ لي الكنيسةُ من ٥٠ إلىٰ ١٠٠ ألف دولار لكي أنفقَها علىٰ أولادي، قلتُ لهم: أنا لا أريدُ «قروشكم» وكانت عندي للكنيسة عمارتان و«قروش» تبلغ مليونين و٤٠٠ ألف دولار أمريكي، و٣٢٠ مليون جنيه سوداني، فقمت بتسليمها إلىٰ راعي ميزانيةِ التنصير، فكانت مفاجأةً كبيرةً للكنيسة.

وبعد ذلك قضيتُ يومين مع أسرتي نفكِّرُ في هذا الأمر ونناقشُه، وقد كانت أسرتي المكونةُ من زوجتي وأربعةِ أبناءَ تدركُ أنني أفكِّرُ في اعتناقِ

الإسلام، وحينما أبلغتُهم أنَّ الوقتَ قد حان، كان ردُّهم: «أنت أعلمُ منا، ونحن نثقُ بك، وقرارُك قرارنا»، وبالفعل ذهبنا إلىٰ أحدِ المساجدِ المجاورةِ «مسجد النور» وأشهَرْنا الإسلام، وصحيحٌ أنني خسِرتُ أموالاً كثيرةً، غيرَ أنني كَسَبتُ الإيمانَ والراحةَ النفسيةَ بعد ٤٠ سنة قضيتُها في الباطل، وعلىٰ إثْرِ ذلك اتَّهمتني الكنيسة بالجنون وأنني مريضٌ نفسيًّا!.

*** لست مجنونًا:**

◘ قلت: إن الكنيسة اتهمتك بالجنون.. فهل أثبتَّ لها أنك في كاملِ قُواك العقلية وقد أسلمتَ بعد قناعةٍ ودراسةٍ أم ماذا حدث؟.

ـ لقد شاء اللَّه أن أدرسَ مقارنةَ الأديان، وكان الهدفُ أن أتعرفَ علىٰ الأديانِ السماويةِ وغيرِ السماوية من أجلِ ممارسةِ التنصيرِ بعلمٍ وخبرةٍ ومنهجية، لكنَّ اللَّهَ أراد شيئًا آخر، فقد درستُ الأديانَ السماويةَ وهي معروفة، كما درستُ غيرَ السماوية ـ وهي البوذيةُ والهندوسيةُ وعبادةُ النار والشمسِ والشيطانِ والأصنام ـ، وخلالَ مرحلةِ الدراسة كانت تتكشَّفُ أمامي الحقائقُ عن الإسلام أولاً بأول، وبدأ تكويني الديني يتشكلُ وأفكاري تتغيَّر وتتداخل، وفي إحدىٰ مراحلِ الدراسة أيقنتُ أن الإسلام هو الدينُ الصحيح، فكنتُ حينما أسمعُ الأذان أتوقفُ عن إلقاءِ المحاضرةِ احترامًا للنداء الإلهي، وحينئذٍ أصبحتُ شخصًا بوجهين، وجهٍ يرىٰ أن الإسلام الدينُ الحقُّ وأن اللَّهَ واحدٌ لا شريك له، ووجهٍ يغالِطُ نفسَه، ويواصلُ انخراطَه في الأعمال الكَنَسية والتمتعِ بأموالها الطائلة.

ولما بدا تعاطُفي مع الإسلام اجتمعَتْ مجالسُ القساوسة والرهبان

والكاردينالات، وكان رأيُهم أنني أَميلُ للإسلام، وهنا مارس مجلسُ الكنائس ضغوطًا كثيرةً عليَّ، ولَمَّا فَشِل قرَّر إيقافي عن العمل بالكنيسة، وصَدَر قرارٌ من الكنائس بأن الجنونَ قد أصابني، فقلتُ لهم: إنني لستُ مجنونًا، فأنا أخافُ اللَّهَ الواحدَ ربي وربَّكم وربَّ محمدٍ وعيسىٰ، إنني أخافُ من عذابِ اللَّه، إنني أخافُ من اللَّه، وعلمتُ بعد ذلك أن تقريرَ الأطباء أثبت أنني لستُ مجنونًا، ولكنني أتطلَّعُ إلىٰ اعتناق الإسلام.

◻ السيد أشوك.. لماذا لم تُغيِّرِ اسمَك إلىٰ اسمٍ مسلم كما جرَت عادة كلِّ مَن يعتنقُ الإسلام؟.

- لم أغيِّر اسمي لاعتبارين:

الأول: لأن الإسلام لا يَرىٰ في ذلك حَرَجًا، وهذا ما يُهمُّني بالدرجة الأولىٰ، فلا بأسَ أن يَعتنقَ غيرُ المسلِم الإسلامَ ويَبقىٰ محافظًا علىٰ اسمِهِ القديم، فالدينُ الإسلامي يركِّزُ علىٰ الإيمان.

الثاني: لقد أحببتُ الاحتفاظَ باسمي لأهدافٍ دعويةٍ وهي أنْ أَظَلَّ مقبولاً لدىٰ غير المسلمين، ومن ثَم أستطيعُ أن أبيِّنَ لهم الحق، بعد أن شَرَح اللَّهُ صدري بالإسلام وخرجتُ من الظلمات إلىٰ النور، ومِن الكفر إلىٰ الإسلام، ومِن حال أهلِ النار إلىٰ حالِ أهل القبلة.

*** الكاردينالية:**

◻ وصلتَ في الكنيسة إلىٰ درجةِ «كاردينال»، كما احتَلَّ والدُكم هذا المنصب.. ماذا يعني منصب كاردينال؟ وما وظيفتُه في الكنيسة؟.

- لقد تقلدتُ مناصبَ كبيرةً في الكنيسة، ومن بين ذلك كنت كاردينالاً

كما كان والدي كذلك، وهذا المنصبُ في الكنيسة الكاثوليكية يوازي وظيفةَ «المفتي» في الإسلام، ويجبُ أن يعرفَ القَسُّ أنه ليس إلهًا لكي يغفرَ للناس ذنوبَهم وآثامَهم، فالعجيبُ أنه إذا أخطأ عبدٌ ذهب إلىٰ القَسِّ يومَ الأحد قبلَ الصلاة، ويقول له: «لقد أخطأتُ في كذا وكذا»، فيقول القسُّ: «اذهبْ قد غُفر لك»، كيف يتجرأُ هذا القسُّ علىٰ حَمْلِ سُلطةِ اللَّه؟! ومَن الذي أعطاه هذه الصلاحيةَ وهو بشر؟!.

وأنا أتحدَّىٰ أيًّا من كبارِ القساوسةِ الشرقيين أو الغربيين أن يُحاجِجَني، بل أنا علىٰ استعدادٍ لمناظرةِ أيِّ درجةٍ عاليةٍ في الكنيسة لإثباتِ صحَّةِ الإسلام وأحقيَّتِه بالاتباع، فأنا لم أُسلِمْ عاطفيًّا أو عَبَثًا، وإنما أسلمتُ بعد دراسةٍ معمَّقةٍ للأديان، ووصلتُ في نهاية الدراسةِ إلىٰ أن الإسلامَ هو الدينُ السماويُّ الذي خَتم اللَّهُ به الرسالاتِ السماويةَ، وأن النبيَّ ﷺ هو خاتَمُ الأنبياء والمرسلين، وأن عيسىٰ عليه السلام إنسانٌ من البشر، وهو نبيٌّ ورسولٌ وليس أكثر من ذلك.

* قال تعالىٰ في القرآن الكريم: ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾ [المائدة: ٧٥]، وأنا لستُ أولَ مَن يُسلِمُ من القساوسة، فقد سبقني إلىٰ الإسلام عددٌ كبيرٌ من القساوسة والمبشِّرين، وعلىٰ رأسهم الأمينُ العام لمجلس مؤتمر المطارنة في الكنيسة الكاثوليكية، ورئيسُ القساوسة في الولايةِ الشرقية» اهـ.

* * *

يا لــه مــن دين أتى به محمــدٌ ﷺ لو أنَّ له رجالاً!!

هذا الدينُ العظيمُ الذي جاء به رسولُ اللَّه ﷺ مَفْخَرةٌ للبشرية، والقرآنُ الذي أُنزل عليه فيه سعادةُ كلِّ البشرية ـ لو التزمت نَهْجَه وسارت على دربه ـ.

*** مرجيلوث يُثني على القرآن:**

مستشرقٌ إنجليزي، شديدُ التعصُّبِ ضدَّ الإسلام ونبيه، وُلِد عام ١٨٥٨، وتُوفي عام ١٩٤٠م، كان أستاذاً للغة العربية في جامعة «أكسفورد» منذ عام ١٨٨٩، وعضواً بعدَّةِ مجامعَ علميةٍ، كالمجمع اللغوي الإنجليزي، والمجمع العلمي العربي بدمشق، والجمعية الشرقية الألمانية، كما كان مرجليوث من محرِّري «دائرة المعارف الإسلامية»، وله مؤلفاتٌ عديدةٌ عن الإسلام والأدبِ العربي وتاريخه، ومنها كتابه: «أصول الشعر العربي»، وهو المرجعُ الذي اعتمد عليه «طه حسين» في كتابه عن «الشعر الجاهلي» الذي صدر عام ١٩٢٦م.

❐ يقول مرجليوث عن القرآن: «باعترافِ الجميعِ، يحتلُّ القرآنُ مكانةً هامةً بين الكتبِ الدينيةِ العظيمةِ في العالم، وعلى الرَّغمِ من أنه قد جاء الأحدثَ في قائمةِ مِثلِ هذا النوع من الأعمال التي تُعتبرُ مَطْلَعَ عهدٍ جديدٍ في الفكر والتاريخ، فيكادُ لا يُضاهيه عملٌ آخَرُ في تأثيرِه العجيبِ الذي أحدَثَه في جموعٍ هائلةٍ من البشر! لقد خَلَق طَوراً جديداً في الفِكرِ الإنسانيِّ، ونوعًا حديثًا من الشخصيةِ الإنسانية.

ففي بدايةِ الأمر، حَوَّل القرآنُ عدداً من القبائلِ الصحراويةِ غيرِ المتجانسةِ في شبهِ الجزيرةِ العربية إلى أُمةٍ من الأبطال، ثم واصل ـ على نحوٍ مطَّرد ـ خَلْقَ الهيئاتِ الدينيةِ السياسيةِ الكبيرةِ في العالم الإسلامي، والتي تُعتبر إحدى القوى العُظمى التي يجبُ على أوربا والشرق أن يَحسبَا لها حسابًا اليوم».

* مونتجمري وات:

رئيس قسم الدراسات العربية في جامعة «أدنبرة»، له عدةُ كتبٍ ودراسات، منها «من تاريخ الجزيرة العربية» (١٩٢٧)، و«عوامل انتشار الإسلام» (١٩٥٥)، و«محمد في مكة» (١٩٥٨).

◻ يقول «مونتجمري وات» في كتابه: «الإسلام والمسيحية اليوم»: «ولستُ مُسلِمًا بالمعنى المألوف، ومع ذلك فإني أرجو أن أكون مُسلمًا كإنسانٍ استسلم للَّه، بَيْدَ أني أعتقدُ أن القرآنَ وغيرَه من تعبيراتِ المنظورِ الإسلامي، يَنطوي على ذَخيرةٍ هائلةٍ منَ الحقِّ الإلهيِّ، الذي ما زال يجبُ عليَّ أنا وآخَرينَ منَ الغربيين أن نتعلمَ منه الكثير.

ومن المؤكَّد أن الإسلامَ منافِسٌ قويٌّ في مجالِ إعطاءِ النظامِ الأساسي للدينِ الوحيدِ الذي يَسُودُ في المستقبل».

* إدوارد مونتيه:

مستشرقٌ من أصلٍ سويسري، ولد عام ١٨٥٦، ودَرَس في جامعاتِ «جنيف وبرلين وهايدلبرج»، حَصَل على الدكتوراة في اللاهوت من «جامعة باريس» عام ١٨٨٣، عُيِّن أستاذًا للعبرية والآرامية والعهدِ القديم في

جامعة «جنيف»، ثم أُضيف إليه العربية وتاريخ الإسلام، رَأَسَ جامعة «جنيف» (١٩١٠ ـ ١٩١٢)، وتُوفي عام ١٩٢٧.

❑ يقول «إدوارد مونتيه» في كتابه «الدعاية المسيحية وأعداؤها المسلمون»: «إن الإسلامَ في جَوهره دينٌ عقلانيٌّ وِفقَ أوسَعِ المعاني لهذا المصطلح من الوجهةِ الاشتقاقيةِ والتاريخية، إن تعريفَ العقلانية، باعتبارها نظامًا يُقيمُ المعتقداتِ الدينيةَ على مبادئَ يُدعِّمُها العقلُ، إنما يَنطبقُ تمامًا على الإسلام، وعلى الرَّغم من التطورِ الخِصب ـ بكلِّ ما في هذه الكلمة من معنًى ـ لتعاليمِ النبي، فقد احتَفَظ القرآنُ بمنزلتِه الثابتة، كنقطةِ البدايةِ الرئيسةِ لفهم الدين، وصار يُعلِنُ دائمًا عن عقيدةِ توحيدِ اللَّه في سموٍّ وجلالٍ وصفاءٍ دائمٍ مع اقتناعٍ يقينيٍّ متميزٍ، من الصعبِ أن يوجَدَ ما يفوقُه خارجَ نطاقِ الإسلام، إن هذا الإخلاصَ للمعتقَدِ الأساسي للدين، والبساطةَ الجوهريةَ للصيغة التي يَنطقُ بها، والبرهانَ الذي يكتسبُه من الاقتناع الذي يلتهبُ حماسةً لدعاته القائمين بنشره، كلُّ ذلك يُقدِّمُ أسبابًا كثيرةً تُعلِّلُ نجاحَ مجهوداتِ الدعاةِ المسلمين.

إن عقيدةً بمِثلِ هذه الدقة، ومجردةً من كلِّ التعقيداتِ اللاهوتية، وبالتالي يمكنُ للفهم العادي أن يتقبَّلها بسهوله، فمِن المتوَّقعِ أن تكونَ لها قدرةٌ عجيبةٌ وهي في الواقعِ تمتلكُ هذه القدرةَ ـ على اكتسابِ طريقِها إلى ضمائرِ البشر».

* جرونيباوم:

❑ قال في كتابه «الإسلام»: «إن الأمرَ الذي اقتضى عشراتِ السنين

من المسيحيين الأوائل لكي يُدركوه، قد أدركه محمدٌ بعد سنواتٍ قليلة، وهو: أنه ما دامت إرادةُ اللَّهِ قد اقتضت أن تمتدَّ الحياةُ الدنيا فترةً من الوقت - طالت أو قَصُرت -، فإن جماعته[1] ينبغي أن تستقرَّ فيها في التقاءٍ كاملٍ مع تعاليمِ الوَحيِ المُنَزَّل. . ومن ثَمَّ أصبحت مهمةُ الجماعةِ أن تُنشِئَ نَمَطًا شاملاً للحياة في ظِلِّ «اللَّه»[2] يشملُ كلَّ وجهٍ من وجوهِ الوجود البشري - مِن أوَّل التصوُّرِ إلىٰ الدفن[3] -، ويُلغي كلَّ تمييزٍ بين المقدَّسِ والدنيويِّ من مظاهر الحياة، يجعلُ كلَّ دقيقةٍ من دقائق الحياة متصلةً بعضُها ببعضٍ برباط الدين، ومحتاجةً إلىٰ مراسم «دينية» لتكملتها عند أيِّ عملٍ من الأعمال - مهما كان نوعه -، وبهذه الطريقة توحَّدت صور السلوك إلىٰ حدٍّ ما. . ولكنَّ الحياةَ كلَّها - حتىٰ أدقَّ تفصيلاتِها - أُعطيت صورةً ساميةً مستمدَّةً من دلالتها الدينية. . ولم تكن حياةُ الفرد وحدَه هي التي ينبغي لها أن تتحوَّل إلىٰ مجموعةٍ مُتَّسقةٍ من الأعمال التي يطلبُها اللَّه منه. . بل إنَّ المجتمعَ الإسلامي - في مجموعه - كان ينبغي أن يُحوَّلَ بالمِثل، فصارت الدولة والجيش والخزانة[4] في اصطلاح المؤمنين الأوائل: دولةَ اللَّه، وجيشَ اللَّه، وخزانه اللَّه»[5] .

* * *

(١) أي: المسلمين.

(٢) أي: في ظلِّ وحي اللَّه.

(٣) أي: يشملُ الأمور الفكرية والمعنوية، كما يشمل الأمور السلوكية والمادية.

(٤) أي: بيت المال.

(٥) نقلاً عن: «هل نحن مسلمون؟» لمحمد قطب (٢٥-٢٦).

صفاءُ العقيدةِ الإسلاميةِ وقوَّتِها

* **إدوارد جيبون:**

وُلِد إدوارد جيبون في إنجلترا عام ١٧٣٧م، وكان عُضواً في البرلمان، وقد بدأ حياته الأدبية عام ١٧٦١م، وظَهَر الجزءُ الأولُ من مصنَّفه الضخم: «انحدارُ الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» عام ١٧٧٦م، ثم استكمل بقية الأجزاء حتىٰ ظهر آخرها عام ١٧٨٨م، وتُوفي عام ١٧٩٤م.

□ أفرد «جيبون» البابَ الخمسين من كتابه «انحدار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» للحديثِ عن الإسلام.. ولم يَستطع «جيبون» التخلُّصَ من أَسْرِ الأفكارِ الشائعةِ حول الإسلام، ومع هذا فقد قال: «إنَّ عبقريةِ النبيِّ العربي، وسلوكياتِ أُمَّتِه، ورُوحَ ديانته، كلُّ ذلك يتضمَّنُ أسبابَ انحدارِ الإمبراطوريةِ الرومانية الشرقية وسقوطها، وإن أنظارَنا لتتَّجهُ في دهشةٍ نحوَ واحدةٍ من أكبرِ الثوراتِ الجديرةِ بالذِّكر في العالم، والتي طَبعت بعمقٍ أثراً جديداً وخالِداً في أمم الأرض».

□ وقال: «إن عقيدةَ محمدٍ خاليةٌ من الشكِّ أو الغموض، والقرآنُ شهادةٌ مجيدةٌ علىٰ وحدانيَّةِ اللَّه، ومِن الهند حتىٰ مراكش يَشتهرُ المهتدون إلىٰ دينِه باسمِ «الموحِّدين»، وقد انزاح خَطَرُ الوثنية بتحريمِ الصور.

إنَّ مواهبَ محمدٍ تجعلُنا نُكيلُ له المَدْحَ، إلاَّ أن نَجاحَه ربَّما كان هو الذي جَذَب انتباهَنا إليه، وإنَّ ما يَستحقُّ إعجابَنا ليس انتشارَ ديانته، وإنما استمراريتُها.

إنَّ نفسَ الانطباعِ النقيِّ الكاملِ الذي حَفَره في الأذهانِ في مكة

والمدينة لا يزالُ مصونًا إلىٰ اليومِ بعد انقضاءِ اثني عَشَرَ قرنًا، عند الذين اهتَدَوا بالقرآنِ من هنودٍ وأفارقةٍ وتُرك».

◻ وقال: «نجدُ أنه من المحيطِ الأطلسي غربًا إلىٰ أقاصي الهند شرقًا، يُعترفُ بأن القرآن هو الدستور الأساسي، ليس فقط في مسائلِ الإلهيات، ولكن فيما يتعلَّقُ بالقوانينِ المدنيَّةِ والجنائيةِ والقوانين التي تنظِّمُ سلوكياتِ البشر.

لقد نَفَثَ محمدٌ بين المؤمنين رُوحَ الأخوَّةِ والإحسانِ، وأوصىٰ بممارسةِ الفضائلِ الاجتماعية، وكَبَحَ بشريعته وتعاليمه الأخلاقيةِ التعطُّشَ إلىٰ الانتقامِ وظُلمِ الأرامل واليتامىٰ، ولقد تَوحَّدَتِ القبائلُ التي كانت في عَداءٍ تحت مَظِلَّةِ الدينِ والطاعة، وتوجَّهت شجاعةُ المقاتلين ـ التي أُنفقت هدرًا في صراعَاتٍ داخليةٍ ـ نحوَ العدوِّ الخارجي، فانتشرت بذلك أمصارُ الأمةِ الإسلاميةِ شرقًا وغربًا»[1].

◻ وقال «فولتير» عن العقيدة الإسلامية: «إن عقيدةَ محمدٍ خاليةٌ من الشكِّ أو الغموض، والقرآنُ شهادةٌ مجيدةٌ علىٰ وحدانية اللَّه.. هذه هي كلماتُ سورة الأخلاص تقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص].

إنني أقول: إن هذه الكلماتِ أَخضعت له الشرقَ أكثرَ مما فَعَله سيفُه»[2].

---

(١) «الإسلام في الفكر الغربي» (ص٣٥ ـ ٣٨) مُلخَّصًا.

(٢) المصدر السابق (ص١٢٩).

الغرب عاش على تَشْويه الإسلام

◻ قال «فولتير»: «لقد أَلْصَقْنا بالقرآنِ ما لا نهايةَ له من السفاهاتِ التي لم تكنْ به على الإطلاق.

إن مؤلِّفينا لم يَجِدوا صعوبةً تُذكرُ في جَعلِ نسائنا تقفُ في صفِّهم، لقد أقنعوهنَّ بأن محمداً لم يَعتَبِرْهُنَّ ضمنَ الحيواناتِ الذكية، وأنهنَّ جميعًا إماءٌ وِفقَ شريعة القرآن.. ومن الواضح أن كلَّ هذا كذبٌ وبطلانٌ اعتقدوا فيه بكلِّ قوة.

أيها الجهلةُ الأغبياء الذين خَدَعهم جَهَلةٌ آخرون، إذ أقنعوكم بأن الديانةَ المحمديةَ ديانةٌ شهوانيةٌ ولذَّاتٌ جسدية، بينما هي ليست شيئًا من ذلك».

◻ وقال «روجيه دي باسكيه»: «إن الغربَ المسيحيَّ، أو الذي فَقَد مسيحيتَه، لم يَعرِفِ الإسلامَ أبداً، فمنذ أن ظَهَرِ على المسرحِ العالمي، والمسيحيون لا يَكفُّون على اختلاقِ الأكاذيب حولَه وتحقيرِه من أجلِ إيجادِ المبرراتِ اللازمةِ لقتاله، لقد أُلحقت بالإسلام صُوَرٌ مشوَّهةٌ كثيرةٌ، لا تزال آثارُها منطبعةً بعُمقٍ في العقلية الأوربية إلى اليوم.

ويجبُ الاعترافُ بأن الدراساتِ الاستشراقيةَ في الغَرب لم تكن مستوحاةً أبداً من رُوحِ النزاهةِ العلميةِ الخالصة، ولا يمكنُ إنكارُ أن بعضَ المتخصِّصين في الدراساتِ الإسلاميةِ والعربيةِ قد قاموا بأبحاثهم بهدفٍ واضحٍ هو تحقيرُ الإسلام والمسلمين» اهـ.

***

الإسلامُ دينُ التقدُّمِ والحضارةِ وهو دينُ المستقبل

يا لِجمالِ الإسلام الذي أتىٰ به رسولُ اللَّه ﷺ، هذا الدينُ العظيمُ لا يُعرِضُ عنه إلاَّ منكوسٌ موكوسٌ مطموس.

* **برنارد لويس:**

وُلِد عام ١٩١٦م، وحَصَل علىٰ الدكتوراة من جامعةِ لندن عام ١٩٣٩م، وهو أستاذُ دراساتِ الشرق الأدنىٰ بجامعة «برنستون»، وأستاذٌ زائر في «كاليفورينا وكولومبيا وأنديانا»، وعضوُ شرفٍ في «الجمعيةِ التاريخيةِ التركية»، وعضوٌ في «الجمعية الفلسفية الأمريكية».

▭ يقول عن الإسلام: «أرسل اللَّهُ المَلَكَ جبريلَ ليُمليَ القرآنَ علىٰ محمدٍ، بهذا يُكمِلُ القرآنُ سلسلةَ الوحيِ التي سَبقت إلىٰ أنبياءِ اليهودِ وإلىٰ عيسىٰ، ومِن ثمَّ يكونُ محمدٌ أعظمَ الأنبياء وخاتَمَهم، ويكونُ القرآنُ هو «الكتاب» الأخيرُ والتعبيرُ الكاملُ عن إرادةِ اللَّه فيما يتعلَّق بحياةِ الناس».

▭ وقال: «كان الإسلامُ تأسيساً لدينٍ جديد، وإمبراطوريةٍ جديدة، وحضارةٍ جديدةً».

▭ وقال: «لقد قامت حضارةٌ أصيلةٌ مستوحاةٌ من العقيدةِ الإسلامية، ومتمتعةٌ بحمايةِ الدولة الإسلامية، ومُدعَّمةٌ بثراءِ اللغة العربية، حضارةٌ تنمو وتتسعُ وتعيشُ طويلاً وقد صنعها الرجالُ والنساءُ من مختلفِ الأعراق والديانات، وقد اصطبغ كلُّ شيءٍ فيها بالعروبة والمبادئِ والقيمِ الإسلامية».

* **هربرت فيشر :**

مؤرِّخٌ سياسيٌّ إنجليزي، عَمِلَ بعدَ الحرب العالمية الأولىٰ مندوبًا مفوَّضًا لدىٰ «عصبة الأمم»، وفي عام ١٩٢٦م عاد إلىٰ جامعة «أوكسفورد» عميدًا بإحدىٰ كلياتها.

❑ يقول في فَصْلٍ كَتَبه عن الإسلام ضمن كتابه «تاريخ أوروبا»: «لقد وَجَدَتِ الدولُ المسيحيةُ نفسَها تُواجِهُ التحدِّي من حضارةٍ شرقيةٍ جديدةٍ تأسَّست علىٰ دينٍ شرقيٍّ جديد.

وهكذا انتَشرت الحضارةُ الإسلاميةُ، وساهَم فيها (الكثيرون) ليُقدِّموا جميعًا العصرَ الرائعَ للآدابِ والفنونِ الإسلاميةِ، التي مَكَّنت شعوبَ الإسلام من السيادةِ الفكريةِ للعالَم طِيلةَ أربعةِ قرون، بينما كان العقلُ الأوربيُّ غارقًا في قِيعانِ الجهلِ والكسل».

* **مارسيل بوازار:**

أستاذُ جامعةٍ سويسري، عاش لمدةٍ أكثرَ من اثنَيْ عَشَرَ عامًا في بلادٍ عربيةٍ وإسلاميةٍ خاصة، كممثِّلٍ للجنة الدولية للصليب الأحمر في: الجزائر واليمن والمملكة العربية السعودية وسوريا والأردن ومصر، وبصفته مديرًا مشاركًا في برامج التثقيفِ الدبلوماسي بالمعهد الجامعي للدراسات الدولية العليا بجنيف، وكمندوبٍ مفوَّضٍ أوربي بالجمعيةِ الثقافيةِ الدوليةِ المعروفة باسم «الإسلام والغرب»، فإنه قام بنَشرِ عدةِ بحوثٍ حولَ بعضِ أوجُهِ الحضارةِ الإسلامية، وحولَ عددٍ من موضوعاتِ السياسةِ الثقافيةِ في بلجيكا والنمسا وباكستان والمغرب وغيرها من البلدان.

□ يقول «مارسيل بوازار» في كتابه «الجوانب الإنسانية في الإسلام»[١]: «الإسلامُ دينٌ وحضارة. . لا شك في أن الوحيَ الدينيَّ قد ظَهر في منطقةِ الشرقِ الأوسط، مَهْدِ دياناتِ التوحيدِ الثلاث، ولعل الإسلامَ يُعتبرُ هو التجلِّيَ الأخيرَ والأكملَ للحضارةِ في هذه المنطقةِ من العالم، ولقد نَفَذَت أفكارُه إلىٰ أوربا، وآسيا باللغة العربية، عَبْرَ البحرِ الأبيضِ المتوسطِ وفوقَ جبالِ البرانس.

والإسلامُ باعتبارِه دينًا ـ وِفقَ المعاني الاشتقاقيةِ الثلاثِ لكلمةِ الدين في اللغة الفرنسية ـ، فإنه يَقتضي ـ من ناحيةٍ ـ اختياراً تطوُّعيًّا، أو اختياراً حرًّا بالخضوعِ إلىٰ شـريعةٍ وإلىٰ قواعدَ للأخلاق، وممارسةِ الشعائرِ، كما يستلزمُ ـ من ناحيةٍ أخرىٰ ـ تصنيفَ تراثٍ إنسانيٍّ خاصٍّ والحفاظَ عليه.

وأخيراً ـ وعلىٰ وجهِ الخصوص ـ، فإنَّه يُحدِّدُ وَضْعَ المؤمنِ أمامَ القيوم، وكذلك علاقاتِ التضامنِ بين الناس، وهكذا يَظهرُ لنا الإسلامُ كعملٍ باهرٍ ومتوافقٍ سياسيًّا واجتماعيًّا، وظاهرةً تاريخيةً جديرةً بالتأمل والاعتبار.

وفي كلمةٍ موجزة، فإنَّ الإسلامَ حضارةٌ أَعطت مفهومًا خاصًّا للفرد، وحدَّدت بدقةٍ مكانَه في المجتمع، وقَدَّمت عدداً من الحقائقِ الأوليةِ التي تحكمُ العلاقاتِ بين الشعوب، كما أن هذه الحضارةَ لم تُقدِّمْ فقط مساهمتَها التاريخيةَ الخاصةَ في الثقافةِ العالمية، ولكنها كانت تؤكِّدُ أيضًا ـ ولها مبرراتُها ـ علىٰ تقديمِ حلولٍ للمشاكلِ الرئيسةِ للأفرادِ والمجتمعاتِ، والمشاكلِ الدوليةِ

(١) الترجمة الحرفية لاسم الكتاب هي «إنسانية الإسلام» وأولىٰ منها أن يقال: «الجوانب الإنسانية في الإسلام».

التي تُثيرُ الاضطراباتِ في العالمِ المعاصر».

❑ وقال: «لقد أنجَب هذا الدينُ «أمَّةً»، وأوجَدَ أسلوبًا للحياةِ والعملِ والتفكير، وفي كلمةٍ واحدة، فقد أنجبَ «حضارةً».

ويؤكِّدُ الإسلامُ طُموحَه السياسيَّ علىٰ المستوىٰ العالمي، ويتابعُ انتشارَه بانتظامٍ، وخاصةً في أفريقيا السوداء، وإذا نظرنا اليومَ إلىٰ كِيانِ الإسلامِ ووِحدته، تَبين أنه ليس جسداً مَيْتاً نُقشت عليه ذكرياتُ ماضٍ مجيد، وإنما هو واقعٌ حيٌّ فعلاً.

ويدلُّ التاريخُ علىٰ وجودِ حقيقةٍ ثابتةٍ مثاليةٍ في الحضارة الإسلامية، التي كانت منذُ بَدئِها ـ ولا تزالُ ـ متوجِّهةً توجُّهًا كاملاً نحوَ اللَّه، وهذه الظاهرةُ التي تَغيبُ دائمًا عن الفكرِ والتحليلِ الغربيِّ الحديث، تُعطي للإسلامِ طابعَه المتميِّزَ بالدوام».

❑ وقال: «لقد أظهرت الرسالةُ القرآنيةُ وتعاليمُ النبيِّ أنها تقدُّميَّةٌ بشكلٍ جوهري، وتُفسِّرُ هذه الخصائصُ المميزةُ انتشارَ الإسلامِ السريعَ بصورةٍ عجيبةٍ خلالَ القرونِ الأولىٰ من تاريخه.

ومن المفيد أن نُسجِّل إلىٰ أيِّ مَدًىٰ يؤثِّرُ مفهومٌ معيَّنٌ للعلم والإيمانِ بمصيرٍ عالميٍّ للإنسانية، في طَبعِ السلوكِ اليوميِّ لملايين الأنفُسِ من البشر، ولا يمكنُ لأيِّ طريقةٍ مُثلىٰ (أيديولوجية) معاصرةٍ أن تَدَّعي منافسةَ الإسلامِ في هذا الصدد».

❑ وقال: «لم يكن محمدٌ حاكمًا مستبِداً (أتوقراطيًّا)».

❑ وقال: «في الإسلام لا يمكنُ فَهمُ السياسةِ بعيداً عن الدين».

* **عالَمِيَّةُ الإسلام:**

◻ وقال: «علاوةً على أن الإسلامَ حقيقةٌ إلهيةٌ تامةٌ ومَثَلٌ أعلى رُوحيٌّ كامل، وأنه خُلق كيانًا سياسيًّا وتنظيمًا اجتماعيًّا خاصَّين به، فهو [حقيقةٌ] عالميةٌ ترتكزُ على وَعيٍ عميقٍ بالتوحيد، إذ كان دينَ اليقين الذي يدفعُ طاقاتِ المؤمنين وإرادتِهم الواعيةَ نحو تنظيمِ العالم الدنيوي».

◻ وقال: «إنَّ فعاليةَ الإسلامِ وحيويتَه حقيقةٌ واقعةٌ على المستوى الديني، يشهدُ لها استمراريتُه في تحولُّ الناسِ إليه، فالإسلامُ ينتشرُ أكثرَ من أيِّ دينٍ آخَرَ وخاصةً في أفريقيا وآسيا، حيث تَكتسبُ البساطةُ المنطقيةُ لعقيدتِه ويُسر تعاليمه مهتدِين إليه جُددًا كلَّ عام».

* **المستقبل للإسلام:**

◻ قال «برناردشو»: «لقد تنبَّأتُ بأن دينَ محمدٍ سيكونُ مقبولاً في أوربا الغد، كما أنه بدأ يكونُ مقبولاً في أوروبا اليوم».

◻ وقال: «إنه الدينُ الوحيدُ الذي يَبدو لي أنه يمتلكُ القدرةَ على استيعابِ تغيُّرِ أطوارِ الحياةِ بما يجعلُه مَحِلَّ إعجابٍ لكلِّ العصور».

* **روجيه دي باسكيه:**

هو الكاتبُ والصحفيُّ السويسري الذي اعتنق الإسلام، تحت اسم «سيدي عبدالكريم»، وكذلك أسلمت زوجتُه الهولندية.

◻ قال «روجيه دي باسكيه»: «إن الإسلامَ بأبعاده الأفقية والرأسية، قادرٌ على عملِ توافُقٍ قويٍّ بين الإنسان والكونِ المحيطِ به، وكذلك بين الإنسانِ والإلهِ خالقِ كلِّ شيءٍ ومبدعه، إن الإسلامَ

عـالميٌّ بكلِّ معنىٰ الكلمة.

فمهما حَدَث في العالَم الغربيِّ المزدهرِ وفاسدِ الأخلاق، أو حَدَث للشعوب التي تُعاني من فقرِ المستلزماتِ الماديةِ للحياةِ مِثلِ تلك التي يُطلَقُ عليها «العالم الثالث»، فإن الإسلامَ يُقدِّمُ الحلَّ الأكثرَ وضوحًا وجوهريةً وحتميةً، من أجلِ مواجهةِ التحدي الحديث.

وبالنسبةِ لهؤلاءِ الذين يَعتنقون الإسلامَ ويُطبِّقونه عمليًّا، فإنه يُقدِّمُ لهم العلاجَ الأكثرَ فعاليةً وشفاءً من شرور هذا العصر».

◻ وكتب كتابًا من أجلِ تعريفِ الغربِ بالإسلامِ تحت اسم «اكتشاف الإسلام» قال فيه: «من المسلَّمِ به حاليًا وبوجهٍ عام، أنه بينما تتراجعُ الدياناتُ الكبرىٰ - أو علىٰ الأقلِّ تتخذُ موقفَ الدفاع -، فإن الإسلامَ ذاتَه في تقدم، وتُعطي أفريقيا أكثرَ الأمثلةِ وضوحًا علىٰ ذلك.

إن قوةَ الإسلامِ هذه - مقارنةً بضعفِ المسيحية - تُمثِّلُ حقيقةً كبرىٰ في التاريخ المعاصر، ولقد قامت عدَّةُ دراساتٍ اجتماعيةٍ واستشراقيةٍ بمحاولةٍ لتفسير ذلك، فأظهرت أن هناك وجهاتِ نظرٍ عديدة.

لقد جاء الإسلامُ إلىٰ الناسِ لمساعدتهم علىٰ عبورِ هذه المرحلةِ الأخيرةِ من التاريخِ العالمي، دون أن يتعرَّضوا للضياع، وباعتبارِه الوحيَ الأخيرَ في سلسلةِ النبوات، فإنَّه يُقدِّمُ وسائلَ لمقاومةِ الفوضىٰ التي تَسُودُ العالَم حاليًا، وإقرارِ النظامِ والنقاءِ في داخلِ الإنسان، وإيجادِ التآلُفِ والانسجامِ في العلاقاتِ الإنسانيةِ، وتحقيقِ الهدف الأسمىٰ الذي من أجله دعانا الخالقُ إلىٰ هذه الحياة».

◻ وقال: «والإسلام بأبعادِه الأُفقيةِ والرأسيةِ قادرٌ علىٰ عَمَلٍ تُوافُقٍ قويٍّ بين الإنسانِ والكونِ المحيط به، وكذلك بين الإنسانِ والإلهِ خالقِ كلِّ شيءٍ ومُبدِعه، إن الإسلامَ عالميٌّ بكلِّ معنىٰ الكلمة، إن الغربَ المسيحيَّ ـ أو الذي فقد مسيحيته ـ لم يَعرفِ الإسلامَ أبدًا».

◻ ويرىٰ مارسيل بوازار أن الإسلام هو الحلُّ لمشاكل العالَم، ويقول: «لقد عَرف الإسلامُ ـ بمحافظتِه علىٰ العقيدة ـ كيف يقاومُ تحطيمَ جماعتِه السياسية، ولم يكنِ الإسلامُ منذ ظهورِه وتحتَ إدارةِ النبيِّ إلاَّ ثوريًّا معتدلاً علىٰ المستوىٰ الاجتماعي، فهناك تكليفٌ مفروضٌ بالتكافل والتضامنِ علىٰ جميعِ أعضاءِ الجماعةِ المسلمة، مِن أجلِ تأمينِ الرخاءِ والكرامةِ لجميعِ الأفرادِ في حدودِ الإمكاناتِ المتاحة، ويُمثِّلُ هذا مظهرًا متمِّمًا لطابعِ الجماعةِ المسلمةِ وشيئًا تتميزُ به مبادئُ الأخلاق التي طَبَعها الوحيُ القرآني.

ولقد أقام الإسلامُ نظامًا اقتصاديًّا مرتكزًا علىٰ الأخلاقِ، وذلك بتنظيمِ توزيعِ الدخلِ عن طريقِ نظامٍ ضريبيٍّ مقدسٍ هو «الزكاة»، وبإدخالِ مفهومٍ جديدٍ للمِلكية الخاصةِ التي ليست في كلمةٍ موجزةٍ سوىٰ حقٍّ انتفاعٍ بالنِّعم التي أفاءها اللَّهُ علىٰ الإنسان، وبذلك حقق الإسلامُ ـ من وجهةِ نظرٍ خاصة ـ الجمعَ بين قِيمتي رأسِ المالِ والعمل».

◻ وقال مونتجمري وات: «من المؤكَّد أن الإسلامَ منافِسٌ قويٌّ في مجال إعطاءِ النظامِ الأساسيِّ للدينِ الوحيدِ الذي يَسُودُ في المستقبل».

◻ وقال إدوارد مونتيه: «احتفظ القرآنُ بمنزلتِه الثابتة، كنقطةِ البداية الرئيسةِ لفَهمِ الدين، وصار يُعلِنُ دائمًا عن عقيدةِ توحيدِ اللَّه في سُمُوٍّ

وجلالٍ وصفاءٍ دائمٍ، مع اقتناعٍ يقينيٍّ متميِّزٍ من الصعب أن يُوجَدَ ما يفوقُه خارجَ نطاقِ الإسلام».

❑ وقال چورچ برنادرشو عن رسول اللَّه ﷺ : «يجبُ أن يُسمَّي «منقذَ الإنسانيةَ»، وإني أعتقدُ لو أن شخصًا مثلَه تولَّىٰ الحكمَ المُطلَقَ للعالَمِ المعاصرِ، لَنجح في حلِّ مشاكِلِه بطريقةٍ تجلبُ له ما هو في أشدِّ الحاجةِ إليه من سلامٍ وسعادة».

❑ وذكر الأمير شكيب أرسلان في كتابه «لماذا تأخَّر المسلمون؟» ـ بعد كلامه عن الفتوحاتِ الإسلامية ـ: «علىٰ أن تلك الفتوحاتِ التي فتحوها في نصفِ قرنٍ ـ أو ثُلُثَيْ قرنٍ ـ قد أدهَشَت عقولَ العقلاء والمؤرِّخين والمفكِّرين، وحَيَّرَتِ الفاتحين الكبار، وأَذهَلَت «نابليون بونابرت»، وله تصريحٌ في ذلك نَقَلَه «لاكاس» الذي رافقه إلىٰ جزيرة «سانتة هيلانة» وغيرُه من المقيِّدين لحوادثِ نابليون المتتبِّعين لأقواله، فقد ثَبَت ثُبوتًا قطعيًّا من أقوال نابليون وسيرتِه أيامَ كان بمصرَ أنه كان مُعجبًا بمحمدٍ ﷺ وعُمر ﵁ وبكثيرٍ من أبطالِ الإسلام، وأن نفسَه حدَّثته لَمَّا كان بمصَر أن يتَّخذ الإسلامَ دينًا له»[1].

❑ ونختم بما قال «مايكل هارت»: «لكنَّ محمداً كان هو الإنسانَ الوحيدَ في التاريخ الذي بَلغ أعلىٰ درجـاتِ النجـاحِ علىٰ المسـتويَيْنِ الدينـيِّ والدنيوي.

وبسببِ هذا الجَمعِ ـ الذي لا نظيرَ له بين الدينِ والدنيا ـ أرىٰ أن محمداً من حقِّه أن يُعتبرَ أعظمَ الشخصياتِ البارزةِ أثرًا في تاريخِ الإنسانية».

---

(١) «لماذا تأخر المسلمون؟» (٢١، ٢٢).